الجمـهوريـة الجـزائريـة الديـمقراطيـة الشـعبيـة
وزارة التعليـم العالي و البحث العلمي
جامعـة وهـران السانيـا
كلية الآداب واللغات والفنـون
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكـرة مقدمة لنيل شهـادة الماجستير في اللّغـة بعنـوان :

النّصّ بين الحضور والغياب في اللّسانيات العامّة
دراسة لسانية تحليلية

مشروع اللّسانيات التّطبيقية وتعليميّة اللّغات

رئيس المشروع : أ/د أحمد حساني

إشراف الأستاذين:
- أ / د أحمد يوسف
- د. عبد الحليم بن عيسى

من إعداد الطّالبة :
- فاطمة فارز

لجنة المناقشة :

أ /د محمّد ملياني..... رئـــيسا
أ / د أحمد يوسف..... مشرفا ومقـــــرّرا
أ / د عبد الخالق رشيد.....عضـــوا مناقـــشا
د عبد الحليم بن عيسى.....مشـــرفا مســـاعـــدا

السنة الجامعية:2009-2010 م

بِسْـــــــــــــمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. ﴾

سورة الرحمن (1 – 4)

صدق الله العظيم

المقدمة

مقدمة

من المعلوم أنّ اللّغة هي رباط شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعلها من الصّلات التيّ تشدّ البشر بعضهم إلى بعض، ولذلك كانت ميزة آدم عليه السلام في معرفة أسماء المسميات، وقد امتحن الله تبارك وتعالى ملائكته بحيث سألهم عن هذه الأسماء فعجزوا عن الحديث عنها، واختبر آدم فنجح في الاختبار، وكان ذلك سببا لرفع شأنه وإعلاء قدره في الملأ الأعلى، ذلك لأنّ الجنس البشري اختاره الله تعالى، لأن يكون اجتماعيا بفطرته، ومدنيا بطبعه، فهو بحاجة إلى التّفاهم وما يتبع ذلك من تعاون. فالنّاس الذّين يجمعهم المبدأ الواحد والفكر الواحد هم بحاجة دائمة إلى أن تكون لهم لغة تربط جميع أطرافهم، وتكون وسيلة للتّفاهم بينهم.

وقد حظيت اللّغة منذ القديم بنصيب وافر من الدّراسات كونها من أهمّ وسائل الاتصال، وقد ارتبطت بالفكر والحضارة، وكانت صورة وجود الأمّة بأفكارها ومعانيها، وباللّغة نعبّر عن مشاعرنا وأفكارنا وتصوّراتنا ومعتقداتنا، ومعظم مظاهر نشاطات الحياة، ولهذا احتلّت منزلة مرموقة بين العلوم الإنسانية، اهتمّ بها العلماء منذ القدم وعنوا بدراستها والتّنقيب عن خفاياها.

إنّ اللّغة أداة هامّة من أدوات الخلق والإبداع اللّغوي كونها إيحائية؛ أي ليست أداة لنقل المعاني الاتّصالية، كما هو في اللّغة العادية؛ إذ قدّمت عطاءها عبر مسار التّاريخ وتحوّلاته الكبرى، وتتجلى في وظائفها الإبلاغية في الاتّصال، باعتبارها مطية للولوج في عالم النصّوص، فهذا الأخير – النّصّ– يعدّ قضية هامّة من قضايا الدّرس اللّغوي الحديث وغدا إحدى الإشكاليات المركزية في الفكر اللّساني باعتباره علماً بكراً، حديث النّشأة كونه تحرّر من المنظورات والرؤى الكلاسيكية التّقليدية؛ إذ أصبح موسوما بأسس علمية ومنهجية؛ وقد أثارت مساءلته جدلاً ونقاشا مستمرا بين الباحثين لبلورة تصوّر مناسب لحدوده ومفاهيمه

وتحديد موضوعه بدقّة، فاختلفت التّوجهات وزوايا النّظر في تقديم تفسير متكامل له باعتباره اتجاها جديدا في الدّراسات اللّسانية الحديثة.

إنّ النّصّ نظام من الأجزاء المكوّنة له، والتيّ لا تقوم على علاقات اعتباطية، وإنّما على علاقات ضرورية، ومن ثمّ كان اللّجوء إلى تقنيات تحليلية محدّدة ضرورة تفرضها أنظمة ومقومات النّصّ في تعالقاته الخاضعة بدورها لأسلوب منطقي محكم تسيّره ميكانيزمات داخلية يفترض أن تباغت المتلقي، كما يفترض أن يباغتها بدوره بإيجاد حلقة تواصلية بين الخطوط العريضة للنّصّ وأبعاده اللاّمتناهية؛ وهو أيضا جملة من العناصر المترابطة والأبعاد الدّلالية المنسجمة والخصائص الفنّية الجماليّة.

فالنّصّ بنية أو كيان لغوي يتطلب كشف طرائق تشكّله وإيحائياته الدّلالية الثّاوية وراء البنية السّطحية المشكّلة للملفوظات الألسنية، وخصوصياته إنّما تستشف من لغته الإيحائية البعيدة عن السّطحية الظّاهرة، وهو أيضا منظومة كلّية متجانسة ومركب معرفي يحوي صرامة فكرية وقوّة جدلية، ويمتلك طاقة دلالية قابلة للتّأويل والتّعدّد والتّغيّر يسعى المتلقي إلى إيضاحها وتبيانها باعتبار القراءة متجدّدة ومتنوّعة في الوقت نفسه.

و يتميّز بالتّنوّع والثّراء من حيث المعارف و المعطيات التيّ يقدّمها, و من حيث انتمائه إلى حقول معرفية مختلفة كالأدب و التّاريخ و الاجتماع, و هو محور الأنشطة التّعليمية المتعدّدة, ووسيلة لبلورتها وأداة لإنجازها, كما يسهم في تنشئة المتلقي فكريا وعلميّا ووجدانيا بشكل متوازن ومنسجم, و من ثمّ فإنّه معرض للحياة بشتى مظاهرها.

وباعتبار أنّ قضايا النّصّ متعدّدة ومتنوّعة, تناولت موضوعا عنونته "النّصّ بين الحضور و الغياب في اللّسانيات العامّة , دراسة لسانيّة تحليلية".

فقد اعتبرت الجملـــة هي المرجعية النّظرية والتـــّطبيقية لكثير من التصوّرات و المفاهيم المعرفية, و الأساس الذّي تقوم عليه الدّراسات و البحوث اللّغوية, أمّا النّصّ كوحدة لغوية كبرى فقد ظلّ جانبا مهملاً.

و خلافا لهذا, ترى اللّسانيات الحديثة تجاوز ما هو قائم و التطلّع إلى مستوى أكبر هو النّصّ؛ باعتباره وحدة لغوية قادرة على تقديم التّفسير العلمي و الموضوعي لجميع الظّواهر اللّغوية و الدّلالية المنطوية تحته.

إنّ الوقوف عند حدود النّصّ, و التّعرّف على مختلف المدارس اللّغوية والاتجاهات المعرفية المتناولة لمفهومه, وتتبع التّأسيس التّاريخي و المسار التحوّلي له, و الكشف عن الإنجازات و الإسهامات الحديثة التيّ تسعى إلى تجاوز مستوى الجملة إلى مستوى أكبر هو النّصّ كانت هذه من أهمّ الانشغالات التيّ حفزّتني لاختيار هذا الموضوع, و شدّتني إليه شدّا وثيقا بغية معالجته.

ولإثراء ذلك أثرنا جملة من التّساؤلات منها: ما طبيعة النّصّ و ما هي حقيقته؟ كيف تعامل لسانيو الجيل الأوّل مع النّصّ؟ و إلى أي مدى تفرض دراساتهم نفسها في ظّل المتغيّرات المعرفية المتجدّدة؟ ما هي شرعية حضور النّصّ؟ وما هي مسوّغات غيابه؟ ما حدّ الجملة؟ وعلى أيّ أسس بنوا دراساتهم على الجملة؟ هل كانت الجملة ووصفها اللّغوي النّحوي كفيلا بإبراز معنى النّصّ ومغزاه وخصائصه الفنيّة الجمالية؟ هل كان نحو الجملة كفيلا لأن يقدّم وصفا دقيقا للنّظام اللّغوي المجرّد باعتباره الطريقة الأمثل في التّحليل و الإجراء في اللّسانيات العامّة؟ كيف تمظهـــر تأثير دراسات وبحوث لسانيي الجيل الأوّل على باقي الأعمال والاجتهادات اللّسانية النصّية الحديثة؟ و أخيرا ما الدّاعي الحقيقي لضرورة الخروج من مستوى الجملة إلى مستوى أكبر هو النّصّ؟

إنّ الأسئلة التيّ ذكرتها سابقا تدفع بي إلى جملة من الفرضيات التيّ أسعى من خلال إثباتها إلى تذليل الصّعوبات التيّ تعترض النّظرية اللّغوية النّصّية، ولا شك أنّ جملة هذه الإشكاليات قد تناولها الباحثون واللّغويون والدّارسون إلاّ أنّ الدّراسات والأعمال والبحوث في مجال النّصّ

– في لسانيات الجيل الأوّل – تبدو قليلة ونادرة، إلاّ أنّني عثرت على بعض منها، وإن كانت لا تشير بدقّة إلى هذا الموضوع، ولكنّها تطرقت إليه من بعض الجوانب وتجسّد ذلك في دراسة لياسين سرايعية المعنونة بـــ "مقاربة نحو النّصّ في تحليل النصّوص – قراءة في وسائل السّبك النصّي –"و عمل للدّكتور أحمد يوسف بعنوان "تحليل الخطاب من اللّسانيات إلى السّيميائيات".

وتحقيقا للغاية المرجوّة فقد توزّع بحثي هذا على ثلاثة فصول مصدرة بمقدمة، وقد عنونت الفصل الأوّل "النّصّ من حيث النّشأة والاصطلاح" حاولت من خلاله أن أستعرض أهمّ الدّراسات والبحوث النّصّية عند العرب باعتبارها الإرهاصات الأولى والأرضية الخصبة له، كون التّراث العربي نشأ وترعرع في ظلّ التّحوّل الحضاري العميق الذّي أحدثه القرآن الكريم من خلال إعجازية لغته والخصائص البلاغية لأسلوبه، وقد تنـــاولت فيه مفهـــوم النّصّ عند كوكبـــة من علمـــاء العرب، واستقبالهم وتلقيهم له, وتجلى ذلك في مدرسة الجاحظ البيانية, و نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، ومدرسة السكاكي الشمولية, وكذا مدرسة ابن خلدون الارتقائية, و أخيرا الكليات لأبي البقاء الكفوي، وذلك بضبط خصوصيات كلّ مدرسة على حدةفي تناولها النّصّ كظاهرة إجرائية من خلال الكشف عن العلائقية القائمة بين وحداته اللّغوية والدّلائلية.

و في الفصل الثّاني المندرج تحت عنوان "النّصّ في منظور اللّسانيات العامَّة" تحدثت فيه عن النّصّ في التّصوّر ما قبل البنيوي، ومقوّماته التيّ تجلّت فيما يلي: الانغلاق، الأحادية والكاتب هو صاحب النّصّ، وأشرت إلى ماهية المناهج الحديثة في دراسة النّصّ وتمثّلت في المناهج السّياقية الكلاسيكية, والتيّ تمثّلها جملة المناهج التّالية: المنهج التّاريخي, والمنهج النّفسي, والمنهج الاجتماعي وكلّها تقوم على دراسة النّصّ انطلاقا من العوامل الخارجية المشكّلة لإبداعيته الفنيّة. ثمّ حاولت الولوج إلى عالم النّصّ من خلال مدخل تمهيدي وأشرت إلى أسس الفكر اللّغوي عند "دي سوسير De Saussure من خلال قراءة تراثه اللّغوي المتمثّل في ثنائياته: اللّغة والكلام، الدّال والمدلول، الألسنية الآنية والزّمانية، وأخيرا العلاقات السّياقية والتّرابطية. وأشرت إلى النّص في منظور اللّسانيات العامّة من خلال توضيح رؤى الجيل الأوّل حول حقيقة النّصّ، وأخيرا النّصّ قراءة في المفهوم حاولت أن أعرض بعض الحدود التيّ تسعى إلى الإلمام بهذا المفهوم، بالإضافة إلى جملة من التعّاريف للنّصّ لأعلام لسانيين أسفرت عن آراء متباينة، ومن خلال هذا حاولت

أن أحدّد موضوعه, وأبيّن حقيقته من خلال تقديم الإجابات الشّافية حوله والإلمام بهذا المفهوم, ليتسنى لي الإجابة عن السّؤال المطروح.

أمّا الفصل الثالث والأخير الذّي جاء بعنوان "إرهاصات البحث في لسانيات الجملة ولسانيات النّصّ" أشرت إلى النّصّ في الدّرس اللّساني الحديث محاولة توضيح حقيقته عند اللّغويين المحدثين، وتحدثت عن المدارس أو النّظريات اللّسانية باقتضاب شديد كونها تمثّل مساهمة جادّة، لأبيّن أنّ جميعها تتآزر لتقديم وصف شامل متكامل لحقيقة النّصّ وموضوعه؛ ومنها: الشّكلانية الروسية بزعامة " رومان جاكبسون Roman Jakobson" من خلال توضيح الشّعرية اللّسانية لديه، ومدرسة براغ اللّغوية، ومدرسة "بلومفيلد Bloomfield" التوزيعية وأصول تحليلها للجملة من خلال المؤلفات المباشرة والنّهائية، وأخيرا مدرسة "تشومسكي Chomsky" التّوليدية التّحويلية، وأشرت إلى أصول تحليل لسانيات الجملة في الوصف اللّغوي من خلال إبراز مفهوم الجملة والسّياق والإحالة.

وأخيرا النقلة من نحو الجملة إلى نحو النّصّ؛ إذ لم يعد يكتف بعلم يدرس نحو الجملة فقط؛ إذ لابد من مستوى أكبر يكون أشمل وأعمّ، وهو النّصّ باعتباره يتعدى المستويات التيّ اختصت الجملة في وصفها لغويا، وبيّنت كيفية تناول الجيل الأوّل لوصف وتحليل الجملة نحويا ودلاليا كون لسانيات الجملة تتطلب إدراك علائقها الدّاخلية ودرجة ترابطها وتركيب عناصرها، والعلاقات النّاجمة عن نظمها لفهمها وتحليل مختلف وظائفها، أدى هذا إلى عدم كفايتها للوصف والتّحليل ممّا استدعى تجاوزها وتوسيع حدود الإجراء والدّراسة إلى ما هو خارج الجملة. و في الأخير أفردت خاتمة استخلصت فيها أهمّ النتّائج التّي توصّل إليها البحث.

وسلكت في إنجاز بحثي هذا، سبيل العرض والوصف، قبل التّحليل والاستنتاج، وكان منهجي فيه وصفيا تحليليا قائما على عرض مختلف القضايا، ثمّ مناقشتها و إثرائها, كما اعتمدت على المنهج التّاريخي و ذلك في الفصل الأوّل, وبذلك يكون أقرب إلى المنهج التّكاملي في البحث.

واعتمدت في إرساء الرّكائز الأساسية لبحثي على مختلف المصادر و المراجع منها: "علم لغة النّصّ: المفاهيم و الاتجاهات" لـــ"سعيد حسن بحيري", و"علم النّصّ" "لـــ"فان ديك ", و"لسانيات النّصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب-" لـــ "محمّد خطابي "، "انفتاح النّصّ الروائي (النّصّ – السياق") لـــ "سعيد يقطين "، وغيرها ممّا حفلت به المكتبة العربية في هذا المجال، والدّوريات والمواقع ممّا له علاقة بموضوع البحث على الرغم من ندرتها.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتوجّه بالشّكر الجزيل للأستاذ الدّكتور "**أحمد حساني**" صاحب المشروع، الذّي أتمنّى له التّوفيق والسّداد والأستاذ الدّكتور "**أحمد يوسف**" الّذي منح مشروعنا أملا جديدا, فله كبير الامتنان، وبخاصّة أشكر الدّكتور "**عبد الحليم بن عيسى**" الّذي أشرف على هذا البحث، فقد بذل جهودا طيّبة في توجيهي الوجهة السّليمة نحو الطّريق الأمثل للبحث، ولولا هذه التّوجيهات ما كان لهذا البحث أن يظهر بالصّورة الّتي هو عليها، ولا يسعني إلاّ الاعتراف بجهوده القيّمة ودوره الفعّال، وأنهي شكري خالصا إلى الأساتذة الأفاضل الذّين شرّفونا بقبولهم مناقشة هذه المذكّرة المتواضعة، وتمنّياتي من المولى عزّ وجلّ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم, كما أشكر كلّ من شجعني على إنجاز هذا العمل.

ولا تعدّ دراستي هذه إلاّ محاولة اجتهادية توحي بإمكانية وجود أعمال وبحوث مقبلة إن شاء الله، وممّا لا شك فيه أنّ الوصول إلى الغاية في هذا الموضوع أمر شائك وبلوغ الأرب فيه دون طموحاتي المتواضعة، إنّما هي لبنة في بناء شامخ أطمح أن يكون لي فيه نصيب لعلّه يجيب على بعض التّساؤلات أملا في المزيد من الدّراسات يتوفر لها سعة من الوقت ومزيد من المصادر والمراجع ما لم يتوفر لي، فيضيء لنا الطّريق لنكون جديرين بحمل لواء العلم والمعرفة والتّجدّد.

الطالبة: فـــارز فاطمـــة.

وهران في يوم: 2010/03/08.

الفصل الأوّل: النّصّ من حيث النّشأة و الاصطلاح .

1. إشكالية النّصّ في ضوء التّراث البلاغي العربي.

2. النّص عند اللّغويين العرب.

أ- أبو بكر الباقلاني وإعجاز النّصّ القرآني.

ب- تجليات النّظرة الشّمولية للنّصّ عند ضياء الدين بن الأثير.

ج- التّماسك النصّي عند حازم القرطاجني.

3. المدونة المثالية للّسان العربي لدى جهابذة الكلام العربي.

أ - المدرسة البيانية عند الجاحظ.

1. دلالة اللّفظ.
2. دلالة الإشارة.
3. دلالة العقد.
4. دلالة الخط.
5. دلالة النّصبة.

ب- نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني.

ج- مدرسة السكاكي الشّمولية.

د- المدرسة الخلدونية الارتقائية.

هـــ- حقيقة اللّفظ في كليات أبي البقاء الكفوي.

لقد بات واضحا – وحالنا هكذا – أنَّ الإلمام بحقل معرفي بعينه، ومتابعة إنجازاته ومستجداته أمر صعب، إن لم نقل مستحيل وذلك بسبب كثرة الأبحاث[01]؛ ورواج المفاهيم ذات الاستهلاك الواسع رواجا سريعا، فتاه المختص ومعه المبتدئ في زحمة هذا الركام المعرفي وغابت الحقيقة فتداخلت المصطلحات والمفاهيم، وتحوَّل الفرد من منتج إيجابي إلى مستهلك سلبي لا يعي خطورة ما يستخدم وما يوظِّف من مصطلحات ومفاهيم، من ذلك أنَّ الواحد يسمع مصطلح النّصّ فيظنُّ أنَّه الخطاب وأنَّ الخطاب هو النّصّ، فتختلط عليه المفاهيم، وتسقط الحواجز المنهجية والعلمية، وإن كان ذلك حتى على المختصين والمهتمين بشؤون النّقد والأدب وما الكتابات، والمؤلفات الكثيرة، وعقد الملتقيات إلاَّ دليل على أنَّ قضية النّصّ إشكالية من إشكاليات الدّرس الحديث التيّ تحتاج إلى إثراء ومناقشة واهتمام[02].

و مصطلح "النّص" يحتاج إلى إيضاح وحصر من جوانب عديدة، فهو ميدان واسع يتقاسمه مجموعة من المختصين من دارسي الأدب، واللّسانيين بمختلف حقولهم وفلاسفة اللّغة وعلماء النّفس، فهو يحتاج إلى جهود مشتركة كي يتّضح أكثر. فثمّة اتجاهات مختلفة في تحليله وتحديد مفاهيمه وأبعاده التيّ ينطوي عليها؛ ثم إنَّ حقيقته لا يمكن العثور عليها إلاّ في صلب الثّقافة اللّسانية والأسلوبية.

1- إشكالية النّصّ في ضوء التّراث البلاغي العربي:

إنّ مفهوم النّصّ في الدّراسات النّظرية العربية قديم قدم هذه الدّراسات، وهو متداول في العلوم النّقلية والعلوم العقلية على حد سواء؛ لكن تواتره عند المفسرين ثم الفقهاء والأصوليين ثمّ المتكلمين والبلاغيين قد يكون مؤشرا يلخص تاريخ تطوّر المفهوم، وهو ما يكون دفع ببعض المنظرين في الأخير إلى البحث عن الإحاطة به والتّفكير في وضع مقاييس كان بالإمكان أن تتشكّل

[01] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامّة، مصر، 1985، ص05.

[02] ينظر: رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص70.

في حقل معرفي متكامل لولا منافسة بعض المفاهيم الشهيرة كمفهوم اللفظ ومفهوم البيان ومفهوم النظم التي تدرس جوانب تنطوي اليوم تحت لواء النّص[01].

إنَّ النَّصّ كمصطلح وضعت له تعاريف كثيرة كانت في مجملها عاكسة لتوجهات أصحابها ولاهتماماتهم، وقد اكتسى أهميّة بالغة بفضل التّطوّرات الأخيرة التيّ عرفها في الغرب.فـــ« النّصّ جمعه نصّوص أصله نصص وهو على وزن فعل الذّي يأتي وزنا للمصدر نصّ ينص نصّا وللصّفة نص أي نصوص، وللاسم نص جمع نصوص، نصَّ على الشيء: حدّده»[02]؛ وقد ذهبت معظم المعاجم إلى معناه المصدري لغلبة هذا المعنى في الاستعمال عند القدماء، وقد يكون في عدم تخلصه من المصدرية وخلوصه للاسمية دليل على عدم نضجه كمفهوم نظري قائم بذاته ومستقطب للمعاني التي تدور في فلكه فيؤدي تطوّره إلى ظهور أفكار مجرّدة يجد المنظّر في تناسقها وتكاملها ما يبحث عنه لتحديد حقل نظري جديد [03].

وجاء في لسان العرب: « النّصّ رفعك للشّيء ، ونصّ الحديث ينصّه نصّا رفعه والمنصّة ماتظهر عليه العروس لترى ، ونصّ المتاع نصّا جعل بعضه على بعض ، ونصّ الشّيء وانتصب إذا استوى واستقام»[04].

و"النّصّ" في اللّغة يفيد "رفع الصّوت"،" نصّ الشّواء ينصّ نصيصا صوت على النَّار". "ونصّت القدر غلت"، و"نصّ ينصّ على الشيء عيَّنه وحدّده، ونصّ الشيء رفعه وأظهره: نصت الظبية جيدها رفعته ونصّ الحديث رفعه وأسنده إلى المحدث عنه، كما يفيد صيغة الكلام الأصلية التيّ وردت من المؤلف" (وهو معنى مولد)[05].

---

(01) ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، مجلة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر العدد 12 شعبان 1418هـــ ديسمبر 1997، ص41.

(02) معجم الكنز، منشورات عشاش، بوزريعة، الجزائر، 2007، ص217.

(03) ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص40.

(04) ابن منظور ، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1413 هـــ - 1992 م ، ص 322.

(05) ينظر: يوسف شكري فرحات، معجم الطلاب عربي-عربي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط6، 2004، ص590.

وللنّصّ في الاصطلاح تعاريف متنوّعة ، منها ما ذكره الجرجاني حينما بيّن أنّ له تعريفين ؛ تعريف عام ويتمثّل في قـــــــولهم:« النّصّ ما لا يحتمل إلاّ معنى واحداً أو ما لا يحتمل التّأويل، وتعريف خاص يتلخص في قـــــــولهم: النّصّ هو ما ازداد وضوحـــا على الظّاهر لمعنى في المتكلّم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإن قيل أحسنوا إلى فلان الذّي يفرح بفرحي ويغتم بغمي كان نصّا في بيان محبته»[01] ومنه قولهم لا اجتهاد مع النّصّ.

والأصل في التّفكير حول موضوع النّصّ عند المنظرين العرب يعود إلى ضرورة فهم النّصّ القرآني فهما صحيحا والإحاطة بأسرار معانيه لتفادي تفسيره تفسيرا خاطئا، ولهذا كان الكلام عن تحديد مفهوم النّصّ في كتب التّفسير وفي علم الأصول على اختصاره أفيد للباحث اليوم وهو على كلّ حال مع ما يوجد في كتب البلاغة المصدر الأوّل للبحث في تاريخ تطوّر المفهوم[02].

إنّ الدّراسات العربية الحديثة التيّ تناولت الموضوع استخدمت المفهوم بالإحالة لا على المعنى القديم ولكن على المفهوم الغربي المأخوذ من اللاتينية Textus، ويعني النّسيج وهو معنى يناسب أكثر مفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجاني الذّي كثيرا ما يشبه النّظم بالنّسيج[03]. وعليه «فالنّصّ هو نسيج لفظي ودلالي مركب يزداد كثافة كلّما ازداد تناميا»[04].

وتنحدر كلمة « النّصّ Textus من فعل نصّ Texère نسج، والنّصّ تبعا لذلك يعني الثّوب ويعني بعد ذلك تسلسل الأفكار وتوالي الكلمات، إنّه الكلام الخاص بكاتب معيّن في مقابل التّعليقات»[05].

---

(01) الشريف علي بن محمّد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص241.

(02) ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص41.

(03) ينظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ج3، ط1، 1943، ص131.

(04) محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص85.

(05) محمّد حمود، تدريس الأدب –استراتيجية القراءة والإقراء- منشورات ديداكتيكا ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993، ص25.

والنّصّ من وجهة النّظر البيداغوجية يعتبر وحدة تعليمية تمثّل محورا تلتقي فيه المعارف اللّغوية المتعلّقة بالنّحو والصّرف والعروض والبلاغة وعلوم أخرى كعلم النّفس والاجتماع والتّاريخ بالإضافة إلى المعطيات المعرفية المتميّزة التي أصبحت تقدّمها علوم اللّسان في دراسة النّصوص وما في ذلك من فائدة جليلة تعود على العملية التّعليمية[01]؛ ومن هنا « فإنّه بنية لغوية ذات دلالات متعدّدة ووظائف متنوّعة، ومحصول معرفي نشأ وترعرع في أحضان ثقافة ما وهو يتنوّع بتنوّع المعارف الإنسانية»[02].

2- النّصّ عند البلاغيين العرب:

إنّ قراءة واعية للتّراث النّقدي العربي في ضوء خبرتنا النّقدية المعاصرة، لكفيلة بأن تكشف عن كثير من المفاهيم والمصطلحات النّقدية التيّ تنبه لها النّقاد العرب القدامى وإن لم يكن لديهم الفهم اللّساني المعاصر[03]؛ ومن هذه المصطلحات "النّصّ"، الذّي يعدّ من المفاهيم اللّغوية الحديثة، على الرغم من أنّ له جذورا تثبت رسوخ قدمه في التّراث العربي كون هذا الأخير منظومة فكرية تتجلى في أنماط وأنظمة متمايزة في كلّ حقل معرفي خاص ، وهو أيضا ركام معرفي هائل ؛ لأنّه يشمل كلّ الإنتاج المادي والفكري، ويحوي مجمل القيم والعادات. ويمثّل إسهاما حقيقيا في بلورة المعرفة اللّغوية؛ و« قضية التّراث تمثّل تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب»[04].

والباحث في "موضوع النّصّ" في التّراث قد لا يعثر على معلومات غزيرة وكافية في أحسن الحـــالات على غرار المفـــاهيم الأخرى كاللّفظ والبيان والنّظم، وهذه المفاهيم نستطيع الحصول

---

[01] ينظر: بشير إبرير، التواصل مع النّص – من أجل قراءة فعّالة محقّقة للفهم- مجلة اللّغة العربية، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر, العدد الرابع، 2000، ص207.

[02] نفسه، ص229.

[03] ينظر: بسّام قطّوس، محمود درابسة، إشكالية المصطلح النقدي المعاصر: السيميولوجيا نموذجا، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 02، 1995، ص72.

[04] عبد السلام المسدي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص13.

عليها ضمن حقل البلاغة وهي في الأصل فنًّا لتأليف الخطاب – على حد تعبير بيير جيرو–[01] و« البلاغة ليست تحفة فنيّة وضعت في متحف تاريخي يتردّد إليه الزّوار للتّمتع بجماليتها السكونية وإنّما هي مادة جمالية حيّة فاعلة يتفاعل معها المتلقي فيستبطن دلالتها ويعتصر وظيفتها، ليستمدّ خصائصها الجماليّة المتجدّدة»[02].

إنّ الدّرس البلاغي العربي يشمل اجتهادات كثيرة تكون لنا سندا، ويمكن أن نتخذها مرجعا والحقيقة، فقد ظلّت دراسات المفكرين العرب ردحا من الزّمان مبجلة، معظمة، وشهد لهم علماء غربيون بذلك[03]، فالبلاغيون العرب وصلوا إلى نظرات بلاغية وجمالية ولغوية لا تختلف كثيرا عمّا نراه في الدّراسات الحديثة؛ بل كان بعض منها أساسا لنظريات معاصرة غير قليلة وفي اتجاهات عدّة[04].

لقد قدّمت الدّراسات اللّغوية والأسلوبية والبلاغية القرآنية للدّرس البلاغي ما لم تقدمه أي دراسات أخرى[05]؛ ولابد « من قراءة هذا التّراث البلاغي والنّقدي قراءة نافعة، تقوم على أساس الوصف والتّحليل والاستنباط»[06].

فتراثنا العربي الذّي نشأ وترعرع في ظلّ التحوّل الحضاري العميق الذّي أحدثه القرآن الكريم، باعتباره نصّاً لغوياً مرتبطاً بسياق حالي ما، ولا يمكن إدراك معناه الصّحيح إلاّ في إطار التّركيب وغرض المتكلّم وقصده من الكلام؛ فإذا حاولنا التّنقيب في البلاغة فإنّنا سنجد لا محالة إرهاصات أولية عند أعلام الفكر النّقدي والبلاغي في التّراث العربي الإسلامي، فنظرة واحدة إلى البلاغة تظهر أنّ عصبة من اللّغويين كان لهم فضل السّبق في تناولهم للنّصّ وتحليله.

---

(01) ينظر: بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص09.

(02) حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية – منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2002, ص11.

(03) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار المعارف، مصر، 1971، ص84.

(04) ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية – ص08.

(05) ينظر: نفسه، ص07.

(06) محمّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، 1984، ص15.

إنّ البلاغيين العرب استطاعوا أن يقدّموا نظرات مبدعة في قراءة النّصّ البلاغي، فأدركوا بدقّة عجيبة المستويات التّركيبية والتّوزيعية للانزياح اللّغوي والبلاغي المعروف اليوم، فقد وقفوا عند بنية الجملة البلاغية وما يطرأ عليها من تحوّلات في داخل السّياق والنّصّ وقفة متميّزة[01]. وكانوا « يثبتون لنا درسا لغويا وبلاغيا عجيبا؛ وهو أنّ أي فاعلية للنّصّ كلّه إنّما تكمن في فاعلية وحداته الصّغرى "الجملة" وما تقوم وظيفتها عليه، ومن ثمّ تتراتب الوحدات الكليّة في النّصّ والوحدة الصّغرى تصبح لديهم بنية معرفية تدخل في بنية العمل الأدبي كلّه، ومن ثمّ هي بنية فنّية بلاغية»[02].

ويذكر إبراهيم خليل أنّه ممّا يؤخذ على البلاغة – في الكتابات المعاصرة – أنّها لم تنظر إلى العمل الأدبي نظرة شمولية أو كليّة، تهتم بوحدته، وكيانه المتنامي. وأنّ قصارى ما تفعله هو الوقوف على الجملة المؤلفة من المسند والمسند إليه فتدرس أحوالها من حيث الحذف والذّكر، أو التّقديم والتّأخير، وتأثير المبنى في المعنى، وتقف كذلك على الجملة المركبة من مشبه ومشبه به، فتسهب في الحديث عن أركان هذه الجملة من حيث علاقة المشبه بالمشبه به، وحذف أحدهما وذكر الآخر، أو حذف الأداة وتصنيف صور البيان، والتّمييز بين الحقيقة والمجاز. وهذا كلّه مما أفاد علما واسعا بخصائص الأسلوب وتفسير التّفاوت والاختلاف بين كاتب وآخر أو شاعر وآخر[03].

إنّ هذه النّظرة المعاصرة إلى البلاغة لا تخلو من تهمة مصدرها سوء الظّن، فليست البلاغة – عموما – من هذا النّوع الذّي لا يوجد الاهتمام إلاّ إلى مسائل جزئية في النّصّ الأدبي؛ ويذكر غير واحد من المعاصرين فضلها قديما في توجيه النّظر نحو معرفة القواعد التيّ تهيئ للمبدع أن ينظّم نصّه الشّعري، أو النّثري، على وفق الأصول التيّ تتبع عند التّلقي، والتّفهم والتّفاعل بين القارئ والمنجز الإبداعي. وفي هذا المنحى ينوِّهون بجهود البلاغي القديم "كونتليان Quintilian" الذّي تطرّق بوضوح إلى مسائل النّصّ المتعلّقة بتنظيمه الدّاخلي، كالوضوح والفصاحة والرشاقة

---

(01) ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية – ص56.

(02) نفسه، ص87.

(03) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، منشورات بيروت، لبنان، 1997، ص54.

والملاءمة[01], وذهب إلى القول: «بأنَّ النصّوص تتفاضل فيما بينها تبعا لقدرة المبدع على التّصرّف بالمادة المستخدمة في كتابة النّصّ»[02].

أ- أبو بكر الباقلاني وإعجاز النّصّ القرآني:

إنّ الدّرس البلاغي عند العرب ظلّ منشدا إلى الدّراسات الإعجازية في القرآن وإلى الدّراسات الأدبية والنّقدية والبلاغية القائمة على الشّعر العربي وبيان خصائصه[03]؛ إذ برزت النّظرة الشّمولية إلى النّصّ لدى غير واحد من البلاغيين, ففي كتاب إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) نجده يؤكّد على النّظرة الشّمولية للقرآن الكريم من خلال إصراره على تفرد أسلوب القرآن وتميّزه عن أساليب كلام البشر وهو سر إعجازه؛ إذ يقول: «فالقرآن معجز في أسلوبه الذّي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما اختلال أو اضطراب، أو تفاوت بين سورة وسورة، أو آية وآية، أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب»[04].

ويشير أبو بكر الباقلاني في غير موضع إلى أنّ أسلوب القرآن مغاير لكلّ الأساليب ومباين لها، وأنّ كلامه ليس من جنس كلام العرب، وإن كان مؤلفا من حروفهم وألفاظهم التيّ يستخدمونها في شعرهم ونثرهم، وخطبهم، وكلامهم العادي، وهذا الاختلاف ينشأ من كون صاحب الكلام هو الله الذي ليس كمثله شيء[05].

---

(01) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص55.

(02) نفسه ، ص 55,عن :

Robert de beaugrande and Wolfgang dresslar, introduction to text linguistics Longman, London, 6 édition, 1992, P16.

(03) ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية – ص24.

(04) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط3، 1971، ص205.

(05) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص26.

إنّ النّصّ القرآني يمتلك قوّة إثارة على مستويات إبلاغية متعدّدة، وحتى في صيغه الإيحائية الموغلة في الأدبية يتجلى فيه المعنى متدفقا بشكل لا يمكن حصره أو تحديد كيانه[01]؛ وأسلوبه – الذّي هو المظهر اللّفظي للـــكلام الإلهي- سمة لافتة للقرآن، ولا يشاركه فيه كلام حتى إنّنا لو خلطنا شيئا من القرآن بكلام الشّعراء، والبلغاء، والأنبياء، برز من خلاله، وبان أنّه من القرآن، وكان الشّعراء قد دأبوا على تضمين أشعارهم بعض آياته، ومن المؤكّد أنّ ذلك الاقتباس برهن دائما على صحة القول بتفرد أسلوبه، وتميّزه عن غيره[02]، ونلفيه يقول: «ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشّعر لأنشدتك ألفاظا وقعت مضمَّنة، لتعلم كيف تلوح عليه، وكيف ترى بهجتها في أفنائه، وكيف تنماز منه، حتى إنّه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبيَّن أنّه أجنبي عن الكلام الذّي تضمّنه»[03].

لقد سبق أبو بكر الباقلاني في دراسته النّصّ المتكامل ما عرف لدى الغربيين بالدّراسة النصيّة واستطاع أن يتوقف عند كثير من الأساليب البلاغية اللافتة للنّظر[04].

ب- تجليات النّظرة الشّمولية للنّصّ عند ضياء الدين بن الأثير:

أنكر ضياء الدين بن الأثير (ت637 هـــ) ما ذهب إليه الجمهور، من أهل النّظر البلاغي حول النّظرة الشّمولية للنّصّ الأدبي، فذكر أنّ البيت الشّعري يجب أن يكون مستقلا الاستقلال الكلّي عن غيره من أبيات، وأنّه لا يجوز أن يكتمل معناه في أوّل البيت الثاني – مثلا – وأنكر ما عابه النّقاد على الشّعراء ممّا سموه التّضمين، وهو ألاّ يكتمل المعنى بقافية البيت؛ بل يحتاج إلى الشّطر الذّي يليه ولو صحّ هذا النّظر- في رأينا- لكانت القصيدة كالسّبيكة الواحدة لا يستطيع –كائن من كان- أن يدّعي تفككها، وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها العضوية، التيّ ينشدها المبدع؛ وتعين القارئ على التّفاعل مع النّصّ، تفاعلا يجعله يقف على مزاياه المتمثّلة في انضباطه وتنظيمه الدّاخلي[05].

---

[01] ينظر: علي ملاحي، عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، مجلة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 12، 1997، ص225، 226.

[02] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص28.

[03] أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص205.

[04] ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية- ص25.

[05] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص56.

كما قدَّم ابن الأثير نماذج وافية للمطابقة، وهي في مجملها تدلّ على أنَّ استخدام هذا الفنّ البديعي، يكون سببا في إضفاء القبول والاستحسان على النّصّ، ممّا يترك أثرا على طبيعة التّلقي؛ وسعى إلى محاولة توسيع مفهوم الطباق ومنحه أبعادا جمالية وأسلوبية حين أطلق على المطابقة اسم المقابلة دون التّخلي عن التّسمية الأولى المعروفة. وقسّم المقابلة إلى قسمين: أحدهما مقابلة في اللّفظ والمعنى والآخر مقابلة المعنى دون اللّفظ[01]، إذ يقول:« أمّا المقابلة في اللّفظ والمعنى فكقوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾[02] وكذلك قوله تعالى: ﴿**لِكَيْلاَ تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾[03]. وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب. وقال رسول الله صلى الله عليه سلم «خير المال عين ساهرة لعين نائمة»[04]. ومن الحسن المطبوع الذّي ليس بمتكلف قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: «إنَّ الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبي، وأنت رجل إن صدقت سخطت وإن كذبت رضيت» فقابل الحق بالباطل والثّقيل المري بالخفيف الوبي، والصّدق بالكذب والسّخط بالرضا. وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار. وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج « لا حكم إلاَّ لله تعالى»[05] «هذه كلمة حق أريد بها باطل»[06].»[07].

فكلّ من المطابقة ، المقام ومقتضى الحال أساليب كتابية وأدوات تصورية وجمالية تنطوي تحت ما يصطلح عليه بالبلاغة.

ج- التّماسك النّصّي عند حازم القرطاجني:

ينفرد حازم القرطاجني (ت 684 هـــ) عن البلاغيين بنظرة أكثر شمولا للنّصّ، تميّزه عن غيره من أهل النّظر في علوم البديع والبيان فهو أوّل من قسّم القصيدة العربية إلى فصول، وأوّل من أدرك الصّلة الرّابطة بين مطلع القصيدة وما سمّاه بالمقطع، وهو آخرها الذّي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنّهائي عن القصيدة، فكأنَّه أدرك ببديهية الصّلة مابين خاتمة النّصّ والتّدرج

---

(01) ينظر: محمّد المبارك، استقبال النّص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص262.

(02) سورة التوبة، الآية 82.

(03) سورة الحديد، الآية 23.

(04) حديث نبوي شريف رواه أبو الحوراء ربيعة بن شيبان السعدي راوي حديث القنوت عن الحسن بن علي.

(05) رواه الإمام الشعبي، رواه عنه أحد الرافضة، ذكر في كتاب البداية والنهاية بدون سند إلا أنّه صحيح باتفاق أهل العلم.

(06) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تح/ناصر الدين الألباني، دار الإمام مالك، الجزائر، ج4، 2006، ص366، 367.

(07) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح/أحمد الحوفي ود، بدوي طبانة، القاهرة، مصر، ط1، ج3, 1960، ص173.

الدّاخلي للمعاني [01]. يسهل توظيف فكرة حازم القرطاجني عن تناسب المطلع والمقطع في القصيدة للعبارة عن التّنظيم الدّاخلي للنّصّ، وتعاضد أجزائه، ومساندة بعضها البعض الآخر، للكشف عن الدلالة الأدبيّة للأثر الفنيّ[02].

يحاول حازم القرطاجني في منهاجه، أن يفتح صفحة من صفحات علم البلاغة بطريقة علمية فبحث في المعاني وعلاقتها بالنّفوس، وبحث في مواقع التّخيّل من الأقاويل، كما درس النّظم وأحواله من حيث ملاءمته للنّفوس أو منافرته لها، يضاف إلى ذلك تطرقه للأوزان والقوافي وعلاقة الوزن بالغرض في النّصّ الشّعري.

ويرى أنّ جديد المعاني ما ارتبط بحياة الإنسان، ومن ثمّة فالمتلقي ينتظر من النّصّ أن يقدّم له المرجعيات الثّقافية والرؤى الحضارية المرتبطة بذاته, و في هذا المقام يقول: «وجب أن تكون أعرق المعاني في الصّناعة الشّعرية، ما اشتدت علاقته بأغراض الإنسان وكانت دواعي آرائه متوفرة عليه. وكانت نفوس الخاصّة والعامّة قد اشتركت في الفطرة على الميل إليها أو النفور عنها أو من حصول ذلك إليها بالاعتياد. ووجب أن يكون ما لم تتوفر دواعي أغراض الإنسان عليه وما انفرد بإدراكه المكتسب الخاصّة دون الجمهور، غير عريق في الصّناعة الشّعرية بالنسبة إلى المقاصد المألوفة والمدارك الجمهورية»[03].

ومن خلال هذا القول يتّضح لنا أنَّ حازم القرطاجني يربط جودة النّصّ بإحالته على البعد الجماعي، فهو: "عريق في المعاني"، إن ارتبطت بالجوانب الاجتماعية التّي تحقّق "أغراض الإنسان".

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص56، 57.

[02] ينظر: نفسه، ص59.

[03] حازم القرطاجني، منـــهاج البلغاء وسراج الأدبـــاء، تحقيق محمّد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ,1981، ص354، 355.

فالمعاني الجيّدة هي التيّ تكون لها علاقة حميمية "بالمقاصد المألوفة"؛ أي التيّ في مقدور عامة النّاس إدراكها. وكأنّه بهذه الفكرة يريد أن يدفع المتلقي بل ويشترط عليه، أن ينظر بعين اجتماعية عند تلقي النّصّ، فيكون المعيار الجماعي/الجمهوري هو المعيار الذي يرفع من شأن النصّ أو لا يرفعه[01].

لقد ربط حازم القرطاجني بين النّصّ والألفة عند الجمهور، ولم يشترط أن تكون هذه الألفة حسّية، ولكن تأكيده على هذا الموضوع يوحي أنَّ قدرا من الاعتدال مطلوب في النّصّ من قبل المنشئ والقارئ أو المتلقي، ويشترط في مستويات المقاصد أن تكون ذات علاقة مألوفة بالمتقبل، فوجود مثل هذه العلاقة يحقّق اللّذة والفائدة في آن معا[02].

وفي موضع آخر يقول حازم القرطاجني: « كلّ شيء له وجود خارج الذّهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذّهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصّور الذّهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللّفظ المعبّر به هيئة تلك الصّورة الذّهنية في أفهام السّامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ. فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدلّ على الألفاظ لمن لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدّالة عليه»[03].

إنَّ ما يطرحه حازم القرطاجني في هذا النّصّ يرتبط بالعلاقة بين الدّلالات الصّوتية والرموز الكتابية على أساس التّرابط الدّلالي، حيث تقيم الرّموز الخطية الكتابية هيئات الألفاظ في الأفهام. فإذا قامت هيئات الألفاظ في الأفهام استدعت – بطريقة الدّلالة الإشارية- الصّور الذهنية، وهي بدورها تشير إلى المدرك العيني الخارجي[04].

---

[01] ينظر: وليد بوعديلة، مظاهر التفكير في التواصل اللّساني عند حازم القرطاجني – دراسة في منهاج البلغاء وسراج الأدباء- مجلة المبرّز، بوزريعة، الجزائر، 5-6 فيفري 2002، ص114.

[02] ينظر: محمّد المبارك، استقبال النّص عند العرب، ص232.

[03] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص18، 19.

[04] ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1994، ص80.

وهكذا نجد أنفسنا في علاقات دلالية قائمة على التّرابط بين كلّ طرفين، وهذه العلاقـــات الدّلالية عند حازم القرطاجني يمكن التّعبير عنها على النّحو التّالي:

الرّموز الكتابية (دال) ← الصّور السّمعية للألفاظ (مدلول).

الصّور السّمعية للألفاظ (دال) ← الصّور الذّهنية (مدلول).

الصّور الذّهنية (دال) ← الأعيان المدركة (مدلول)[01].

ونجد كلّ مدلول يتحوّل بدوره إلى دال، فالصّور السّمعية للألفاظ (هيئات الألفاظ) تكون مدلولا في علاقتها بالرّموز الخطيّة الكتابية، ولكنها تصبح دالا في علاقتها بالصّورة الذّهنية. والصّورة الذّهنية تكون مدلولا في علاقتها بالصّور السّمعية، ولكنها تتحوّل إلى دال في علاقتها بالمدركات الخارجية[02].

يقسّم حازم القرطاجني القصيدة الواحدة إلى فصول؛ ولعلّه يعني بالفصل هنا ما عناه المحدثون بالبنية الكبرى Macro-structure[03],ويؤكّد ترابط الفصلين واتصالهما ببعض. ويتطابق هذا النّظر تطابقا – يكاد يكون – حرفيا مع ما يذهب إليه العالم اللّساني الهولندي "فان ديك Van dijk" في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكلّ نصّ، فهو يدعو إلى جعل كلّ بنية كبرى – وهي الاصطلاح المقابل لكلمة الفصل عند حازم القرطاجني– فضلا عن كونها مترابطة من الدّاخل بالرّوابط النّحوية والزّمنية والصّيغ الصرفية والعلاقات المنطقية النّسبية، ويؤكد على جعل الوظيفية مرتبطة بالبنية التي تليها ربطا يبعث فيهما معا علاقة الاطّراد والتناسب ولأنَّ "فان ديك Van dijk" لا يتحدث عن الشّعر وحده وإنّما يتحدث عن النّص بصرف النّظر عن جنسه الأدبي، فإنّه يستعرض نماذج من النّثر القصصي[04].

ويشير "فان ديك Van dijk" إلى الروابط النّحوية التّي تساعد على ربط البنى؛ ومنها الإحالة référence بواسطة الضّمائر، ويتحدث عن الدّور الذّي تقوم به العلامات الغرافيكية

---

[01] ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص80.

[02] ينظر: نفسه، ص80.

[03] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص56.

[04] ينظر: نفسه، ص60.

Graphical في تمييز البنية الكبرى عن الأخرى، والرّبط فيما بينهما بعبارات يبدأ بها السّطر الأوّل من الفقرة. ويشير أيضا إلى استخدام بعض الظّواهر الفونولوجية – كالتّنغيم- لإشعار المستمع بالانتقال من بنية إلى أخرى في النّصّ المنطوق، أمَّا حازم القرطاجني فإنَّه يطبّق فكرة الرّبط بين الفصول المؤلفة للقصيدة الواحدة[01].

إنَّ النّصّ في نظرهم يقوم على قاعدة التّماسك Cohésion وإمَّا الاقتران Cohérence والصّحيح أنَّ الاقتران في مفهوم المحدثين أكثر تعقيدا مما هو لدى حازم القرطاجني؛ فهو لديه يدلّ على الانتقال من المعاني الجزئية إلى الكليّة، وهذا هو ما عناه "هارفنج Harveng" في وصفه لعلاقات الاطراد في النصّوص؛ فالكاتب أو الشاعر إمَّا أن يأتي بالشّيء مجملا ثم يقوم بذكر الفروع، أو يفعل العكس، فيأتي بالشّيء مجزأ ليقوم بعد ذلك بتجميع الأجزاء في خلاصة تنقله من فكرة إلى أخرى، وهو مطابق أيضا لما عناه "هايزنبرغ Heisenberg" فيما وصفه بعلاقات الاطّراد والمجاورة[02].

وفي هذا يقول حازم القرطاجني: «فأطَّرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطّراد، وانتقل في جميع ذلك من الشّيء إلى ما يناسبه، وإلى ما هو منه بسبب، ويجمعه وإيّاه غرض، فكان الكلام بذلك مرتباً أحسن ترتيب، ومفصّلاً أحسن تفصيل، وموضوعاً بعضه من بعضٍ أحكم وضع»[03].

لقد تعرّض حازم القرطاجني إلى فكرة النّظم من ناحية دراسته للتّماسك الذّي يميّز الفصل وشروطه في شرطين أولاهما حازم القرطاجني أهميّة قصوى:

1. أن تكون مواد الفصل غير متخاذلة النّسج.
2. أن تكون مواد الفصل غير متمايز بعضها عن بعض التّمييز الذّي يجعل كلّ بيت كأنَّه منحاز إلى نفسه، وتبيان ضرورة أن يكون نمط نظم الفصل مناسبا للغرض بحيث تعتمد فيه الجزالة في الفخر والعذوبة في النّسب[04].

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص60، 61.

[02] ينظر: نفسه، ص61، 62.

[03] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص299.

[04] ينظر: محمّد خطابي، لسانيات النّص– مدخل إلى انسجام الخطاب- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص151.

ولا شك في جلّ آراء حازم القرطاجني حول التّرتيب الدّاخلي للنّصّ أنّها تجعلنا نذكرها باعتزاز؛ لأنّها شيء قلّ أن نلاحظ نظيره في كتابات البلاغيين، من قدماء ومحدثين، وربّما كان المنحى من النّظر في بنية النّصّ يسوغ لنا الدعوة لاستئناف النّظر في التّراث البلاغي العربي على هدي ممّا نجده لدى المحدثين الغربيين في علم لغة النّصّ خاصة، فهو أقرب مناهج البحث إلى البلاغة وعلم البيان العربي؛ وقد آن الأوان لكي ننظر إلى هذا التّراث بعيون معاصرة ليكفيها دوام المطالعة والتّكرار في الكتب الصّفراء الذّي أَلِفه المدرسون التّقليديون، ومؤلفو كتب المناهج المدرسية، وما أحسن أن نحبّب إلى النشء الجديد علوم البلاغة بإضفاء الجدّة والمعاصرة عليها، ونبذ الطابع التجريدي الذّي ران عليها في عصور الشّروح، وشروح الشّروح[01].

وعليه فالحضارة العربية الإسلامية لم تكن أقل شأنا من سواها في رحاب النشاط الفكري بعامّة، والنّشاط اللّغوي بخاصة، فالدّارسون العرب القدامى لهم جهود لا تنكر ولا ترد في حقل الدّراسة اللّغوية بكلّ مستوياتها، الصّوتية والتّركيبية والدّلالية، فإذا ما التفتنا إلى التّراث الفكري العربي الذّي نشأ وترعرع في ظلّ التحوّل الحضاري العميق الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع العربي والإنساني بشكل عام نجده يزخر برصيد معرفي لا يحط من شأنه في الفكر اللّساني المعاصر وهو الرصيد الذي يملك الشرعية العلمية والحضارية لكي يعتمد في اكتمال المرتكزات المعرفية للنظرية اللّسانية العالمية[02].

3- المدونة المثالية للّسان العربي لدى جماعة الكلام العربي:

إنّ نظرة واحدة إلى الرصيد اللّغوي العربي تهدي إلى أنّ نفرا من العلماء القدامى قد تعرضوا لدراسات تضاهي اليوم ما يصطلح عليه "بالنّصّ"؛فهذه الاجتهادات العربية قد تسهم لا محالة في تطوير المبادئ العامّة للّسانيات، فإذا ما رمنا ذلك في متون ومدونات اللّسان العربي لدى علمائنا نجد عصبة من اللّغويين كان لهم فضل السّبق في تناولهم موضوع النّصّ. ومن بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" وعبد القاهر الجرجاني

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص62.

[02] ينظر:أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، طبعة 1999، ص3.

(ت 471هـــ)في"دلائل الإعجاز في علم المعاني" والسكاكي (ت626هـــ) في "مفتاح العلوم" وابن خلدون (ت 808 هـــ)في "المقدمة" ،و أبو البقاء الكفوي (ت1095هـــ) في" الكليات".

أ- المدرسة البيانية عند الجاحظ:

إنّ أقلّ النّاس إلماما بالأفكار المتوافرة والمتواترة في مدونة الجاحظ الأدبية يدرك لا محالة أنَّ الجاحظ ينفرد بكثير من المرتكزات الفكرية الرّائدة في الحضارة الإسلامية والعربية؛ إذ يتميّز عمّا سواه بالوعي العميق، والرؤية العلمية النّافذة حين تناوله للقضايا الفكرية والأدبية بعامّة، واللّسانية بخاصة[01]. وكان أستاذا في عصره، وقد لقي رواجا عظيما لسعة علمه وكثرة مؤلفاته، واعتزاله وجرأته في النّهوض على التّقاليد، ونظره النّقدي المقعد على المعقول والتّجربة، واتساع آفاق مواضيعه[02]. كما أنَّه موسوعة في علم الجدل والكلام والفلسفة والأدب والاجتماع. ولعلّه تعرّض إلى الجانب الفلسفي في دراسة البلاغة، وإلى النّظم في القرآن الكريم لذا يعدّ عمدة في التّنظير للنّظم العربي القديم والبيان.

لمّا كان الجاحظ « بصدد تحليل مفهوم البيان كان فكره متجها بلا شك نحو النّصّ باعتباره آلة، يتّم بها الربط بين المتكلّم والسّامع، وتسمح بنقل ما في ضمير المتكلّم من معاني إلى فهم السّامع شريكه في القضية، وهو مدار الاهتمام في موضوع النّصّ، على أن نشير إلى أنّ الجاحظ كان يتناول الموضوع من منظور أوسع؛ منظور التّواصل الاجتماعي في بعديه الثّقافي والفلسفي» [03].

ويذهب إلى تعريف البيان بقوله هو: « اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضّمير حتى يفضي السّامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدّليل. لأنَّ مدار الأمر والغاية التيّ إليها يجري القائل

---

[01] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات, ص146.

[02] ينظر: حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط6، (د.ت)، ص584، 585.

[03] محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص52.

والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللّفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخط، ثمّ الحال التي تسمى نصبة. والنّصبة هي الحال الدّالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدّلالات»[01]. والبيان في معناه الخاص هو "الدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفي".

يتميّز هذا النّصّ بالإحاطة والعمق في التّفكير في موضوع الكلام البشري، وقضايا التواصل بين النّاس بالوسائل اللّسانية وغير اللّسانية، والوسائل الظّاهرة والخفية، والموجودة والمعدومة. وهي قضايا تلتئم في مفهوم النّص، وتترك الجاحظ يبلورها في صفحة لا تفقد شيئا من شموليتها وصحة أفكارها أحد عشر قرنا بعد تحريرها. وهذا لا يعني أنّ الجاحظ لم يكن قد استفاد فيها من غيره، ولكن يعني أنّ عبقريته استطاعت آنذاك أن تدرك أبعاد القضية، وتلخصها في آراء لا تزال نافذة حتى اليوم[02].

يتجسّد البيان في خمسة أصناف لا تزيد ولا تنقص، وهي على التّرتيب: اللّفظ ثمّ الإشارة ثمّ العقد ثمّ الخط ثمّ النّصبة.ويمكن القول اليوم إنّها في الشّكل الذي عرضها عليه وبالنّظر إلى الأطروحات الحديثة التي تتناول موضوع النّصّ تصور الهيكل العام الذي يجري فيه التخاطب بين النّاس، ويتضّمن أيضا المنزلة التي يحتلها النّصّ في هذا الهيكل؛ لأنّ البيان في معناه العام هو في نهاية التّحليل النّص ذاته، هذا النّصّ الذّي يؤدي ظهوره إلى نقل المعنى من ضمير المتكلّم حيث يتّم التّركيب إلى ضمير المخاطب حيث يجري التّفكيك؛ والمراحل الخمسة التيّ يقطعها المعنى قبل ظهوره إلى الوجود في صورة بيان مراحل باطنية تصور النّص باعتباره إجراءاً.

- قائما في الصّدور.
- ومتصوّرا في الأذهان.
- مختلجا في النّفوس.

---

[01] الجاحظ، البيان والتبيين، تح/درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 2000، ص56، 57.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص53.

- ومتصلا بالخواطر.
- وحادثا عن الفكر[01].

يقول الجاحظ في موطن آخر من كتابه "البيان والتبيين":« المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوّرة في أذهانهم، المختلجة في نفوسهم والمتّصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره، وإنّما يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها، والدّلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذّي سمعت الله عزّ وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم»[02].

فواضح أنّ الجاحظ يوسّع من دائرة الدّلالة على المعنى ليصل إلى البيان وهو قمة الإبانة والإفصاح عن الشّيء الذّي يكشف لك قناع المعنى، ويهتك الحجاب دون الضّمير، ولّما كان يعوّل على البيان كثيرا فقد كشف عن أهميّة التّعبير عن المعاني الدّائرة في النّفوس، تلك المعاني التيّ ليس لها حدود تحدّها من جهة متلقيها إلاّ بوقوعه على علاماتها الدّالة عليها، وبهذا يتجلى الغامض، ويقيّد المطلق، ويصبح الغفل موسوما، والمرسوم معلوما، وعلى قدر وضوح الدّلالة وصواب الإشارة، ودقة المدخل يتحوّل ما في ذهن المرسل إلى ذهن المتلقي[03].

وهذه الصّفات تهمّ بالدرجة الأولى علماء النّفس ،ويصعب علينا في الوقت الرّاهن النّفاذ إلى أسرارها؛ لأنّها تحكي بلا شك تصور الجاحظ ومعاصريه للمحطات التيّ يقطعها البيان قبل الظهور في شكل نص ملفوظ من المتكلّم، ومسموع من المخاطب. وهي محطات تبيّن أنّ النّصّ ليس سطحا قارا كما يبدو، ولكنّه إجراء حركي يتطوّر بشكل دائري بين ضمير المتكلّم وضمير المخاطب[04].

---

(01) ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص53.

(02) ج1، ص56، 57.

(03) ينظر: بسّام قطّوس، محمود درابسة، إشكالية المصطلح النقدي المعاصر: السيميولوجيا نموذجا، ص66، 67.

(04) ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص55.

وتعريف البيان بأنّه الدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفي يجعل منه نصّا ذا وجهين؛ وجه خفي وغائب عن الآذان (والعيون إذا كان النّص مكتوبا)، ووجه ظاهر وشاهد تسمعه الآذان وتبصره العيون، ويكون معبّرا عنه بألفاظ صريحة أو مشار إليه أو مرموز إليه بعقد (رموز) خاصة أو برسوم خطيّة. كما يمكن للنّصّ أن يكون غائبا في اللّفظ أو في الرّسم، لكنّه مستنتج من النّصبة أي الحال الدّالة، وهذا يستوجب أن نقف قليلا عند هذه الوسائل البيانية. ونبدأ باللّفظ[01].

1. دلالة اللّفظ:

إنّ ما كتبه الجاحظ عن اللّفظ قد يشكّل مصدرا لإعادة بناء النّظرية العامّة للنّصّ كما تصوّرها في القرن الثّالث، والنّصّ في هذا التّصوّر يقوم على اللّفظ، واللّفظ حركة اللّسان عند تقطيع الصّوت الذّي هو آلة وجوهر يظهر به اللّفظ، ويتمّ به نقل المعنى المراد توصيله إلى السامع.

وبما أنّ اللّفظ يقوم على مبدأ التّقطيع الحرفي فإنّه لا يدرك ظهوره إلاّ من خلال صوت واحد يصير إذا تلاه صوت ثان صوتا ممتدا، مع أنّ الحروف المتتالية كلّما ظهر منها صوت انمحى الصّوت الذّي سبقه، لكن سرعة الإلقاء تجعل الأصوات المتتالية كأنّها مساق واحد من الأصوات المتّصلة. والحروف المنمحية يبقى صداها فقط قائما في الكلمة أو الجملة لكن يتعذر أحيانا استحضار الصّدى الملفوظ بكامله، ولذلك كثيرا ما يطلب السّامع من المتكلّم إعادة ما قاله لترسيخ حروفه في الذاّكرة، ولأمر ما لجأ الإنسان منذ القديم إلى الكتابة لترسيخ ما ينمحى من الأصوات المتصاقبة في النّطق، ولذلك كان اللّفظ والخط دليلين متماثلين[02].

ويقول الجاحظ في هذا المقام: « وليس بين الحروف المجموعة من الصّوت المقطع في الهواء وبين الحروف المجموعة من السّواد في القرطاس فرق كلّها علامات وخلق مواثل»[03].

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص55.

[02] ينظر: نفسه، ص56، 57.

[03] الحيوان، ج1، ص70.

ويترتب عن ذلك قانون صوتي دلالي آخر، لا يقل أهميّة عن الأوّل في مجال تحديد مفهوم النّصّ وهو يجعل التّقطيع الصّوتي في علاقة تناسب عكسي مع المعنى، كلّما ازداد التّماثل الصّوتي نقص التقطيع فنقص المعنى، وكلّما نقص التماثل كثر التقطيع فكثر المعنى[01]. و«فهمك لمعاني كلام النّاس ينقطع قبل انقطاع الصّوت، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملك والمعاون لك ما كان صياحا حرفا وصوتا مصمتا ونداء خالصا ولا يكون ذلك إلاّ وهو بعيد عن المفاهمة وعطل عن الدّلالة»[02].

ويقول الجاحظ أيضا: «كلّها دلالات يعرف منها ما كان في تلك الصّور لكثرة ترادها على السّماع وطول تكرارها على الأبصار»[03]، وهذا يعني أنَّ كثرة ترداد الصّوت على المعنى وتكراره يصبح هو المعنى مثله مثل أسماء الأفعال التّي يصعب التّمييز فيها بين اللّفظ والمعنى، وتزول فيها الثنائية التّي تجمع الألفاظ بالمعاني. وهكذا يتبيّن لنا أنَّ اللّفظ الذّي كنّا نظنه آلة لنقل المعنى فقط يصبح هو المعنى وهو الغاية[04].

ويستخلص من هذا أنّ دلالة النّصّ تقاس بمقياس التّقطيع الحرفي، ودرجة تواتره في النّصّ فالنّصّ الكثير التّقطيع يحمل بالضّرورة معاني كثيرة، والقليل التّقطيع كثير التّجانس (يعني كثير التّجانس الصّوتي) قليل المعنى؛ فكلّما ازداد تقطيع النّصّ ازدادت نصيته، وكلّما نقص نقصت ومن ثمّ قوله عن النّصّ الشّعري، إنّه يصير فيه البيت بأسره كأنَّه كلمة واحدة، وحتى كأنَّ الكلمة بأسرها حرف واحد[05].

ويستنتج من كلام الجاحظ أنَّه ينشأ عن النّصّ المتجانس الأصوات نص ثاني تحتي، يلخص معاني النّصّ الفوقي الذي ينوب عنه؛ كما هو الشأن في النّصوص الشّعرية التّي تتميّز بالازدواجية والتّي نجدها أيضا في أنواع أخرى من النصّوص في مقدمتها النّصّ الإشاري.

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص57.

[02] الجاحظ, الحيوان، ج 1، ص48.

[03] نفسه، ص70.

[04] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص57.

[05] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص67.

2. دلالة الإشارة:

إنّ الإشارة هي الوسيلة الثّانية بعد اللّفظ، وهي نوع من أنواع الدّلالات، كما أنّها عون للفظ وترجمان عنه وتسهم أيضا في تمحيص المعنى وتدقيقه، وفي هذا الشّأن يقول الجاحظ:«الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم التّرجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللّفظ وما تغني عن الخط! وبعد، فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة على اختلاف في طبقاتها ودلالاتها، ولولا الإشارة لم يتفاهم النّاس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة ولولا أنّ تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم»[01].

ومن خلال قوله:« ولولا الإشارة لم يتفاهم النّاس معنى خاص الخاص» يكشف الجاحظ عن العلاقة بين النّصّ وعالمه، وإنّ استدعاء هذا العالم هو أخص خصوص الدلالات، ويعدّ هذا الأخير فرعا من فروع الدّراسات السّيميائية اللّغوية، وبات محور اهتمام كثير من العلماء المعاصرين مثل "تودوروف Todorov"[02].

تتنوع معاني الإشارة بتنوّع الصّور التيّ ترد فيها ممّا يؤدي إلى إمكانية دراسة صورها وتصنيف نصوصها، فمثلا علامة التعجب (!) هي حركة إشارية تتحوّل إلى علامات في النّصّ المكتوب، وتعدّ أيضا نظاما تبليغيا، ونستطيع القول إنّها نصّ رغم اختصارها، ومدلولها يتغيّر حسب السياق الذّي وضعت فيه، فهي علامة تعجب بالنسبة لتلميذ المدرسة، وهي حركة بارعة بالنسبة للاعب الشّطرنج، وهي علامة تحذير بالنسبة لسائق السّيارة، وأخيرا رمز عاملي بالنسبة للرياضي – باحث في الرياضيات-.

إنّ الإشارة حركة جسدية تتميّز باختصار دالها، واتساع مدلولها؛ أي تقليص النّصذ، فإيماء باليد أو حركة بطرف العين نص يحمل مدلولات عديدة. وفي هذا المقام يقول الجاحظ: « فأمَّا الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشّخصان، وبالثّوب

---

[01] البيان والتبيين، ج 1، ص57، 58.

[02] ينظر: بسّام قطّوس، محمود درابسة، إشكالية المصطلح النقدي المعاصر: السيميولوجيا نموذجا، ص67.

وبالسّيف؛ وقد يتهدد رافع السّيف والسّوط فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا»[01].

و من ههنا يتّضح أنّ النّصّ الإشاري نصّ مزدوج يتكوّن من النّصّ اللّفظي والنّصّ الإشاري الذّي يصاحبه وينبغي التّذكير بأنّ اللّسانيات تؤكّد أنّ التّخاطب بين النّاس يتمّ بالرّموز؛ يعني بالإشارات أكثر منه بالدّلائل اللّسانية، وهذا يعطي الإشارة – كما تصوّرها الجاحظ – مكانة خاصة في دراسة النّصّ[02].

ويبدو أنّ النّقاد الذّين جاؤوا بعد الجاحظ« لم يستفيدوا من نظرته الثّاقبة، حيث نلحظ تطورا في مفهوم الإشارة عنده من كونها نوعا من أنواع الدّلالات على المعاني إلى معنى آخر لصيق بنظرتيه البلاغية والأدبية العامّة، حيث فطن إلى قدرة اللّغة على تجاوز قصورها بما يكمن فيها من طاقات، وأهمّها طاقة الإيحاء التيّ تصبح من بعض الجهات الرّديف الأدبي لمفهوم الإشارة في التّخاطب العادي»[03].

3. دلالة العقد:

العقد هو أحد المفاهيم المغلقة في كلام الجاحظ، فهو عنده الحساب في قوله: «والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة»[04].

ودلالة العقد يعني الحساب إن كانت تتلخص عادة في وجود دال مقتضب يتمثّل في مستوى النّصّ في ظهوره رقم عددي، أو لفظ مجازي فإنّه في مستوى المدلول قد يتسع

---

[01] البيان والتبيين، ج 1، ص57.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص61.

[03] بسّام قطّوس، محمود درابسة، إشكالية المصطلح النقدي المعاصر: السيميولوجيا نموذجا، ص67.

[04] البيان والتبيين، ج1، ص59.

إلى ما لا نهاية له من المعدودات أو المجازات بحيث يفوق طاقة العقل في الإحاطة بمعناه مع أنّه يتميّز بالضّبط والحساب، فهي دلالة تختصر اللّفظ لتوسع المعنى.

العلاقة في العقد بين الدّال والمدلول تقوم على مبدأ التضّمن؛ أي أنّها عقلية تعتمد العدّ والاستنباط الذّي هو عملية منطقية بحتة. فقولنا "كثير الرماد" يعني كريم يجعل معنى الكرم يستنتج بالاستقراء، وتتبع ما يترتب عن التّلازم بين المعاني في الوهم: "فكثير الرماد" أي كثير الطّهي بمعنى كثير الضيوف الذّي يستلزم بالضّرورة كريم. وهي علاقات لا تخضع للمنطق كما نرى ولكن للعرف والعادة[01].

فالعقد إذن هو الدّلالة الرّياضية التيّ تعتمد على العقل والمنطق لاستنباط المعنى الذي يبحث عنه كلّ من المتكلّم والسّامع، وهو أيضا دلالة نظرية بحتة منشأها العقل، وصورتها المنطق، وغايتها الإقناع المطلق فقط؛ إذ لا تكلف صاحبها ربحا أو خسارة مادية إلاّ إذا رضي هو بتطبيقها في حياته المادية فقولنا: "خذ ثلث النّقود" يختلف عن قولنا: "ثلاثة نقود"، ولا يتمّ ذلك إلاّ بالعد المنطقي. والعقدّ في كلام الجاحظ لا يختلف عن العقل، ولذلك أباح لنفسه تعمد الالتباس باختيار مفهوم العقد[02].

4. دلالة الخط:

تعني دلالة الخط الكتابة؛ أي تصوير اللّفظ بحروف هجائية مكتوبة لنقل المعنى من المتكلّم (أو الكاتب) إلى المخاطب (أو القارئ). ولذلك كانت دلالة الخط (الكتابة) أقرب الدّلالات إلى مفهوم النّصّ.

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص62، 63.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص19.

ويوسّع الجاحظ مفهوم الخط إلى النّقوش والرّسوم والوسوم (Icônes)، وينقله من وضعه الحرفي إلى الصّورة التيّ تختلف في أبعادها عن الكلام المقطّع، وتكون بذلك ضربا من الرّموز التيّ تحمل الدّلالة اللفظية الوضعية، والدّلالة الإشارية الوهمية، والدّلالة العقلية، ويضاف إليها الدّلالة الخيالية التيّ في الخطوط والرّسوم والوسوم. فالعلاقة بين الدّال والمدلول في الكتابة علاقة رمزية قائمة على الخيال والتّشبيه، ذلك أنَّ المعنى ينقل أولا إلى حروف ملفوظة، ثم تنقل هذه الحروف الملفوظة إلى الحروف المكتوبة[01].

5. دلالة النّصبة:

يضع الجاحظ النّصبة في قمة التّصنيف الدلالي بعد الخـــط والعقد والإشارة واللّفـــظ, وهي مفهوم لا يمكن تصوّر أبعادها إلا بتصوّر مفهوم الصّفر ووظيفته في العمليات الحسابية والعددية. وقد عرّفها بأنّها: «الحال النّاطقة بغير اللّفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السّموات والأرض وفي كلّ صامت، وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص. فالدّلالة التي في الموات الجامد كالدّلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدّلالة والعجماء معربة من جهة البرهان»[02].

ومن خلال هذا القول يتضّح لنا « أنَّ النّصبة في – نظر الجاحظ– هي معنى بغير لفظ أو مدلول بغير دال؛ أي دليل عدم يدل على الوجود. لكن ينبغي الاعتراف بأنَّ دلالة العدم هذه تطرح عدّة إشكاليات لابد من مواجهتها؛ لأنَّ النّصّ إذا كان هو الظّهور والوجود فإنَّ العدم هو اللاّنص ذاته. وتسمية اللانص نصّا قد يرفضه الكثير من المنظرين، وهو ما يفهم من كلام الجاحظ ذاته عن النّصبة في كتاب الحيوان حيث تردد في عدّها من بين وسائل البيان»[03].

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص65.

[02] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص59، 60.

[03] محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص67.

والنّصبة مفهوم لساني لم تكتشف أهميّته في اللّسانيات الحديثة إلاّ قليلا مع اللّسانيات الرّياضية، فهي رموز تجريدية يذهب صاحبها في الرمزية إلى أقصى الحدود المنطقية، حيث يكون السّلب دليلا على الإيجاب والسّكوت دليلا على الكلام (أو على الرضاء كما يقول الفقهاء) والصّفر دليلا على الحساب في الرّياضيات[01]

ولسانيات الجاحظ نصّت أيضا على أهميّة المقام، وجعلته العنصر الثّالث الضّروري بعد اللّفظ والمعنى لتكوين المعنى في النّصّ؛ إذ يقول: «والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصّة وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامّة. وإنّما مدار الشرف على الصّواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكلّ مقام من المقال»[02]، ويقول أيضا: « وتجد اللّفظة لم تقع موقعها و لم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها و لم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها، لأنّ النّفوس لا توجد بمكنونها مع الرّغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرّهبة كما تجود به مع المحبة والشّهوة فهكذا هذا»[03].

لابدّ لنا أن نذكر ههنا أنّ النّصّ يدخل عنده في باب المطابقة، وهو يبيّن مكانة الحال والمقال والمقام في نسج العبارة، ويندرج اليوم فيما يسمى بالسّياق المقالي Contexte verbal، والسّياق المقامي Contexte Situationnel [04].

وقد درس الجاحظ أيضا المشاكلة؛ وهي عنده المرحلة القصوى التي يرتقي فيها النّصّ إلى درجة الإبداع الفّني، وإلى الأدبية التي تأتي فوق المطابقة، وتطمح إلى ما بعد البلاغة؛ يعني تحقيق الأدب بشقيه الجمال والتّربية في المعنى الواسع[05]. يقول الجاحظ في هذا الباب: «ومتى شاكل —

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني ، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص20.

[02] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص91، 92.

[03] نفسه، ص91، 92.

[04] ينظر: محمّد الصغير بناني ، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص21.

[05] ينظر: نفسه، ص22.

أبقاك الله- ذلك اللّفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر لفقا. وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التّكلف، كان قمينا، لحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطّاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة، والصّدور مأهولة. ومتى كان اللفظ كريما في نفسه متخيرا من جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التّعقيد، حبِّب إلى النّفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشَّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في النّاس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرّئيس، ورياضة للمتعلّم الريِّض»[01].

ومن هنا يمكننا القول – وباقتضاب شديد- أنَّ المدرسة البيانية هي مفاهيم وتصوّرات فكرية متسقة متكاملة استنتجها الجاحظ من قراءته للنّصّ القرآني، وما جاء فيه عن خلق الإنسان واللّسان وما يتّصل بهما من معاني التّبليغ والتّذكير والتّوليد.

ب- نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني :

صاغ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) نظرية في التّراث العربي تعرف بنظرية النّظم وضع فيها قوانين كليّة للدّلالة اللّغوية على مستوى التّركيب، وأدخل علم "معاني النّحو" أساسا صلبا لهذه النّظرية. كما تنبه للعلاقات النّحوية وتأثيرها على الدّلالة الوضعية للعلامة اللّغوية في سياق بعينه[02]؛ فكتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني" حوى شرحا هاماً ومعمّقاً في توضيح نظام العلاقات في التّراكيب اللّغوية، ثم إنَّ تحليله للتّراكيب اتّسم بالبعدين التّركيبي والدّلالي.

تقوم الدّراسة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني على النّصّ القرآني الكامل والنّص الأدبي واللّغوي لتقدّم نظرات رائعة في إطار الأساليب البلاغية تنظيرا وتطبيقا سبق بها أصحاب الدّراسات

---

[01] البيان والتبيين، ج2، ص240.

[02] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، العوامل المائة، تح/بدراوي زهران، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص13.

الحديثة[01]؛ ولقد ذهب إلى أبعد من ذلك لتأسيس نظام دلالي فلسفي يمكن من خلاله أن يشرح لنا طبيعة العلاقات اللّغوية المقدمة في التّركيب[02].

فالغاية من العلم الذّي بشّر عبد القاهر الجرجاني بظهوره على يديه في كتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني" هي أن يزوّد المؤمن بهذا القرآن، وإعجازه، بالوسائل التي تمكنه من الدّفاع عن هذا الإعجاز، وإقامة الحجّة عليه والبرهان[03].

فالقرآن معجزة، وقد تحدى الله بها العرب فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة؛ بل بآية من مثله وهو من ألفاظ ومعان، وهذه الألفاظ يعرفها العرب، ويستعملونها في نثرهم ونظمهم، طبقا لقواعد النحو والإعراب، فما الذي جعل القرآن معجزا مع أنَّه لم ينزل بألفاظ غير الألفاظ، أو بنحو غير النّحو؟ الجواب هو، هذا الذّي سمّاه عبد القاهر الجرجاني "النّظم"[04].

وجاء في تعريفات الشّريف علي بن محمّد الجرجاني (ت816هـ): «النّظم في اللّغة جمع اللّؤلؤ في السّلك. وفي الاصطلاح تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدّلالات على حسب ما يقتضي العقل. والنّظم هو العبارات التيّ تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة وهو باعتبار وصفه أربعة أقسام: الخاص والعام والمشترك والمؤول ووجه الحصر أنَّ اللّفظ إن وضع لمعنى فخاص. أو لأكثر، فإن شمل الكلّ فهو العام وإلاَّ فمشترك إن لم يترجح أحد معانيه وإن ترجح فمؤول. واللّفظ إذا ظهر منه المراد يسمى ظاهرا بالنسبة إليه ثمّ إن زاد الوضوح بأن سيق الكلام له يسمى نصّا، ثمّ إن زاد الوضوح حتى سقط باب التّأويل والتّخصيص يسمى مفسرا، ثمّ إن زاد حتى سقط باب احتمال النّسخ أيضا يسمى محكما»[05].

---

[01] ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة –دراسة جمالية بلاغية نقدية– ص25.

[02] ينظر: مازن الوعر – نحو نظرية للسانيات عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللّغة العربية– دار طلاس، بيروت، لبنان, ط1، 1987، ص46.

[03] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص39.

[04] ينظر: نفسه، ص39.

[05] التعريفات، ص241.

وقد استمدّ عبد القاهر الجرجاني أفكار النّظم من ملاحظات سابقيه الذّين تعرّضوا للمصطلح في صورة مجملة و لم يعطوه مضمونا ملموسا، وأيضا لم يحللوه تحليلا لغويا يكشف عن طاقات اللّغة وما توفره للمستعمل من إمكانيات التّركيب والتّأليف[01].

ما من أحد ينكر أنّ الإمام اللّغوي عبد القاهر الجرجاني كان في سبيل بيان نظرية في النّظم لإبراز مسألة الإعجاز في القرآن الكريم ؛ وهو القائل بشأن النّظم على اختلاف تأليفه: «واعلم أنَّ ليس النّظم إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التيّ نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها وذلك أنَّا لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في كلّ باب وفروقه»[02].

ارتأى الجرجاني أن يولي أهميّة بالغة لما بين المفردات من علاقات ووشائج على اعتبار هذه الأخيرة تحيل على نشاط عقلي صرف؛ لذلك كان له « الفضل العظيم في تقريره قضية النّظم ضمن اللّفظ والمعنى في طريق الأداء الحاسم لتصوير المعنى، وبذلك يربط المعاني بطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعاني والألفاظ كلّ على انفراد ولا نفصل بينهما بفاصل ولن يبرز المعنى الواحد إلاّ في صورة واحدة، فإذا تغيّرت الصّورة الواحدة تغيّر المعنى بمقدارها وأي تبدّل في الألفاظ لابد أن يقابله تبدّل في المعنى وهذه هي الطريقة المثلى في الفنّ»[03].

وفي هذا المقام يقول عبد القاهر الجرجاني: «إنَّ الألفاظ لا تدّل على البلاغة، ولا توصف بالفصاحة وحدها وإنَّما المزية التيّ من أجلها استحق اللّفظ الوصف بأنَّه فصيح عائدة في الحقيقة إلى معناه، ولو قيل أنَّها تكون فيه دون معناه لكان ينبغي إذا قلنا في اللّفظة أنَّها فصيحة أن تكون تلك الفصاحة واجبة لها بكلّ حال، ومعلوم أنَّ الأمر بخلاف ذلك، فأنّا نرى اللّفظة تكون في غاية

---

[01] ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس)، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1985، ص494.

[02] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح/محمّد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1981، ص64.

[03] وليد محمّد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند الجرجاني، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1983،ص08.

الفصاحة في موضع، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير»[01].

لابدّ لنا أن نذكرههنا أنّ هذه النّظرة إلى اللّفظ مفردا تتطابق مع نظرية سوسير Saussure في تأكيده على تعلّق الألفاظ ببعضها في الكلام، إنَّ وصف عناصر اللّغة لا يمكن أن يتّم إلاَّ بالنظر إلى علاقة كلّ عنصر بما عداه من عناصر أخرى؛ لأنَّ واحدا من هذه العناصر لا يملك أي قيمة ذاتية إلاَّ متقابلة مع العناصر الأخرى[02].

فأوّل قضية أثارها عبد القاهر الجرجاني تمهيدا لعرض نظريته في "النّظم" هي قضية التّفريق بين اللّغة والكلام، فالكلام في نظره هو تعلّق الألفاظ، بعضها ببعض عن طريق العلاقات النّحوية[03].

و في هذا المقام يقول: «إنَّ العلم باللّغة من حيث هي ألفاظ وقواعد، لا يؤدي حتما إلى جودة الكلام والشّعر، فأولئك الذين فضّلوا شعر الأقدمين بحجة أنَّهم أعلم من المحدثين باللّغة، أو فضّلوا شعر العرب على المولّدين بحجة أنَّهم دخلاء عليها»[04].

فقد وقف عبد القاهر الجرجاني أمام إشكالية التّوفيق بين الكلام المنطوق، وما يجري في الذّهن , ولو أنَّ الأوَّل لم يكن يعنيه بشيء؛ إذ كان همّه الوحيد البحث عن العلاقة التيّ تربط بين مفردات الكلم، والتيّ هي أساس نظرية "النّظم"؛ حيث تتجلى هذه العلاقة في محاولة إيجاد الروابط النحوية التيّ تدلّ عليها سواء أكانت هذه المفردات متجاورة أم متباعدة، وعليه فقد خصّ عبد القاهر الجرجاني علاقات الكلم الجارية على قانون النّحو التي بها يكون النّظم[05].

---

[01] دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص307.

[02] ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، مصر، ط1، 1975، ص25.

[03] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص357، 358.

[04] نفسه، ص192.

[05] ينظر: شيخي نورية، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم، مجلة المصطلح، جامعة تلمسان، ع5، يناير 2007، ص215.

وقد فرَّق عبد القاهر الجرجاني بين اللّغة والكلام في موضع آخر بشكل دلَّ على ذكاء مدهش، فنحن حين ننسب الكلام إلى قائله، الشعر مثلا، لا ننسبه من حيث هو كلم، وأوضاع لغوية، ولكن من حيث توخى فيه النّظم[01].

ومعنى ذلك أنَّ الكلمات التي يتألف منها القول الشّعري، ليست من خلق الشّاعر وابتكاره، وإنَّما من وضع علماء اللّغة، وإنَّما الذي يجعلنا ننسب القول الشّعري للشّاعر هو وضعه لهذه الألفاظ في نظم"سياق" من اختراعه الخاص.كما أنّ قواعد النّحو والمعاني ليست من وضع الشّاعر، وإنَّما تصرفه بهذه الضّوابط هو الذّي يجعلنا نميّز بين شعر هذا الشاعر أو ذاك[02]. وبذلك يكون الجرجاني قد أدرك ببديهته الصّلة بين الاجتماعي والفردي في اللّغة، وهو ممّا يعدّ من كشوفات علم اللّغة الحديث؛ إذ ذكره "فرديناند دي سوسير Ferdinand de saussure" (1857 –1913) [03], " فالنّظم" حسبه هو خضوع الكلام لنواميس الفكر وبروزه على هيئة تحاكي الروابط المنطقية الموجودة بين المعاني فتكون البنية اللّغوية إذا صدى لبنية عقلية سابقة عليها[04].

وقد شاع هذا التّفريق بين اللّغة والكلام بأسماء متعدّدة فهو عند "جوستاف جيوم Gustave guillaume" تفريق بين اللّغة والخطاب (Langue-discours)، وعند "لويس هيلمسليف Louis hyelmslev" تفريق بين الجهاز والنّصّ (Système - texte)، ولدى "رومان جاكبسون Roman Jakobson" تفريق بين النّمط والرّسالة (code - message)، والقدرة اللّغوية والأداء اللّغوي (compétence – performance) حسب "تشومسكي Chomsky" [05].

---

[01] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص277.

[02] ينظر: نفسه، ص278، 279.

[03] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص36.

[04] ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس)، ص517.

[05] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982، ص38، 39.

فالأداء هو طريقة كتابة جملة بسيطة أو مركبة، أمَّا المقصود بالقدرة فهو جملة القواعد الصورية الأولية التي توجد بصورة مضمرة في ذهن المتكلّم يثيرها من كمونها من خلال ما اكتسبه وتعلّمه من قواعد النحو وتركيب الجمل الصّحيحة[01].

قسَّم عبد القاهر الجرجاني النّظم إلى نوعين: نظم الحروف ونظم الكلام، ويحترز من أن يذهب القارئ للاعتقاد أنَّ النّظم في الكلم كالنظم في أصوات الكلمة الواحدة، فهذا الأخير لا يخضع لقياس فلو أنَّ واضع اللّغة كان قد قال ربض (مكان ضرب) لما ترتب على ذلك فساد أو إحسان[02].

ونلفي عبد القاهر الجرجاني يقول في هذا الشأن: «وأمَّا نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك لأنَّه يأتي موافقا لترتيب المعاني في النّفس، بأن تتناسق في دلالاتها، وتلتقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»[03].

وحديث الجرجاني عن أثر قواعد النّحو في تشخيص المعاني، والخروج بالألفاظ عن مجرّد الأصوات إلى أن تكون ألفاظا متّحدة بالمعاني، ردّده أيضا علماء اللّغة المعاصرون والأسلوبيون الذّين يتوكؤون على هذا العلم الجديد، فقد ذكر "جيرو Guiraud" في كتابه "مقالات عن الأسلوبية" أنّ علم النّحو يخترق النّصّ مضيفا بعدا ثالثا إلى بعدي المعنى واللّفظ، هو العمق مستقطبا عناية الأسلوبية على نحو ما[04]. ثم يضيف قائلا:« لا أسلوب دون نحو، ولا نستطيع أن نثبت العكس فنزعم أنَّه لا وجود للنّحو بلا أسلوب»[05].

---

[01] ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002، ص142، 143.

[02] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص41.

[03] دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص41.

[04] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ص51.

[05] نفسه، ص52.

وقد اختصت الأسلوبية بعلم الأسلوب وقضايا التّعبير وكلّ ما يقوم عليه العمل الأدبي من قيم شعورية وقيم تعبيرية ممّا يؤلف فنيّة النّصّ الأدبي، ويمنحه مسحة جمالية. والمتتبع لمنهج عبد القاهر الجرجاني يجده يميّز بين النّظم والأسلوب، فالنّظم في نظره مفهوم أعمق من الأسلوب. فقد اعتنى به عناية خاصة، وبالغ في تكراره والتركيز عليه في مؤلفاته التيّ خصّصها للبحث فيه لارتباطه بالبنية اللّغوية وتراكيبها الخاضعة لتوخي معاني النّحو، وهو محور الدّراسة في نظريته في كلّ جهوده[01].

بينما يعرف الأسلوب بأنّه وسيلة في الاقتداء وطريقة في الكتابة تختلف من كاتب إلى كاتب أو من شاعر إلى شاعر. وقد حدّد عبد القاهر الجرجاني الأسلوب في النّمط الشكلي من التعبير حين وضّح السّمات العامّة في أشكال القول وطرق التّعبيركالتي يتقنها الشّعراء[02]. وبذلك يكون الأسلوب « هو الوظيفة المركزية المنظّمة للخطاب، وهو يتولّد من ترافق عمليتين متواليتين في الزّمن، متطابقتين في الوظيفة هما: اختيار المتكلّم لأدواته التّعبيرية من الرصيد المعجمي للّغة، ثمّ تركيبها تركيبا يقتضي بعضه قواعد النحو، كما يسمح ببعضه الآخر التّصرّف في الاستعمال»[03].

ويّتفق "فينوغرادوف Vinogradov" مع عبد القاهر الجرجاني في طريقة النظر إلى النّصّ الأدبي فقد أكّد في كتابه "أهداف الأسلوبية" (1922) أنَّ الأسلوبية تتحدّد في النّصّ من خلال الرّوابط القائمة بين العناصر اللّغوية المتفاعلة مع قوانين انتظامها: أي النّحو[04].

وإذا طرحت المقارنة بين فكرة النّظم عند الجرجاني والأسلوبية عند المعاصرين، يتّضح لنا أنّه لم يعتن في نظريته بالجملة العربية المفيدة المجرّدة، و لم يذكر الألفاظ منفردة، ولا المعنى وحده

---

[01] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد02, 1995، ص17.

[02] ينظر: نفسه، ص17.

[03] عدنان بن ذريل، النّص والأسلوبية، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص46.

[04] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص78.

وإنّما اعتنى بذكر المقطع ككلّ، سواء في النّثر أو في الشّعر، وعبّر عن عمله هذا بالنّظم وأحيانا بالصّياغة، وهذا أقرب دليل إلى معرفة السّياق أو ما يعبّر عنه بالأسلوب، غير أنّ هذا الأخير وحده يبقى غير كاف على تأدية مذهب عبد القاهر الجرجاني في مقصده العميق الدّلالة، فمن التجويز العلمي أن يستبدل بمصطلح الأسلوبية ليكون واسع الحدود وشمولي الدّلالة, ولأنّ الأسلوبية الآن تتخصّص بالبحث عن نوعية العلاقة الرّابطة بين حدث التّعبير ومدلول محتوى صياغته على خلاف الأسلوب الذّي يعتبر عادة طريقة الكاتب أو الأديب الخاصة به في فن الكتابة أو فن القول [01].

و نشير ههنا إلى أنّ منهج عبد القاهر الجرجاني في النّظم يرتكز أساسا على النّقد الأدبي بتحليل البنية اللّغوية التيّ تصنعها قواعد التّركيب ومعاني النّحو، والنّقد عنده يواجه النّصّ مواجهة مباشرة في أوّل خطوة انطلاقا من مكونات هذه البنية ثمّ ينتقل إلى التّعامل مع مقتضى معاني النّصّ، ليصل في النّهاية إلى تحديد مواطن الإبداع أو مواقف التّكوين، ولذلك اقتضت الضرورة أن يوصف منهجه بأنّه منهج فقهي لغوي، وهو ما تدرسه الآن الأسلوبية؛ على اعتبارها منهجا لسانيا يدرس النّصّ الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللّسانيات[02].

وقد تكون هذه الآراء غير جديدة قياسا بالنّقد الأدبي عند العرب، إلاّ أنَّ عدَّه الشّعرية شيئا أسمى من الوزن قول ينطوي على جانب كبير من الأهميّة في عصر كان فيه يعتمد القافية والوزن ورأيه الخيِّر أكثر أهميّة من الأوّل؛ إذ هو دعوة صريحة إلى نقد الشّعر من الداخل، وإغفال العناصر الخارجية، طبقا لما نادى به الشّكليون الروس الذين رفضوا كون الأدب تعبيرا عن حياة الأدباء أو بيئاتهم، أو عصورهم، أو صدى للنّظريات الفلسفية أو الدينية، ودعوا للبحث عن البنى الحكائية والأسلوبية، والإيقاعية في الأثر الأدبي. ويتفق قول عبد القاهر الجرجاني في هذا مع آراء الشّكليين الألمان ومع أبحاث "ريتشاردز Richards" وأتباعه من أصحاب النّقد الجديد[03]. وكذا آراء

---

[01] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص19.

[02] ينظر: نفسه، ص20.

[03] ينظر: موريس أبو ناظر، الألسنية والنقد الأدبي-في النظرية والممارسة- دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1979، ص5، 8.

الأسلوبيين المعاصرين الذين يدعون إلى تسليط الضّوء على النّص الأدبي ذاته معزولا عن كلّ ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية، أو نفسية[01].

ينظر عبد القاهر الجرجاني إلى النّصّ الأدبي على أنّه فن لغوي، ونظرته هذه تتوافق مع وجهة نظر الشّكلانيين في الدراسات النّقدية الغربية على يد نخبة من مشاهير الأعلام أمثال: "فيكتور شلوفسكي Victor Chlovski" و"فلاديمير بروب Vladimir Propp" و"رومان جاكبسون Roman Jakobson" وهم يعتمدون على نظرية الخلق اللّغوي ويستمدون منها تعليلاتهم ويلزمون النّصّ بالتّفسيرات اللّغوية[02].

إنّ العمل الأدبي – هو قبل كلّ شيء – بناء لغوي قائم بذاته وذو غاية فنّية؛ فالقارئ أو الناقد للنّص، يعتمد في موقفه على تحليل هذا البناء اللّغوي في جانبه الأسلوبي من أجل الكشف عن العلاقات التي تجمع بين عناصر البناء المختلفة[03].

وهذا التّحديد لا يعني عند الدّارسين أبدا أنّ الأسلوبية هي البحث الخاص بعلم اللّغة, وإنّما يعني العناية بأهميّة العلاقة الجدلية القائمة بين النّص الأدبي وطبيعته اللّغوية. ومن هذا الاعتبار يهتم منهج عبد القاهر الجرجاني في جملته بهذا الترابط العضوي بين النّصّ الأدبي ومكوّناته اللّغوية كنتيجة يخلص إليها في بحث نظرية النّظم في جوانبها البلاغية والأسلوبية[04].

ويؤكد الجرجاني أنَّ الألفاظ من غير سياق لا أهميّة لها، ولا تفاضل بينها، وأنَّ التّفاوت والأهميّة يأتيان من علاقة اللّفظة بما سبقها من ألفاظ، وما يليها من ألفاظ، فلا تجوز المقارنة مثلا بين لفظة "ليث" و"أسد" فكلتاهما تطلقان على "السبع"، إلا إذا وضعتا في سياق. مثلما أنَّه لا يجوز

---

[01] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ص31.

[02] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص21.

[03] ينظر: محمّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص184، 185.

[04] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص21.

أن تفاضل بين كلمة "رجل" في العربية ونظيرتها في الفارسية من حيث الدّلالة على الآدمي المذكر ونلفيه في هذا المقام يقول: «فاللّفظة لا يمكن أن توصف إلاّ باعتبار مكانها من النّظم»[01].

وهذه النظرة إلى اللّفظ مفردا تتطابق مع نظرية "سوسير Saussure " في تأكيده على تعلّق الألفاظ بعضها ببعض في الكلام[02].

إنَّ وصف عناصر اللّغة « لا يمكن أن يتمّ إلاَّ بالنّظر إلى علاقة كلّ عنصر بما عداه من عناصر أخرى؛ لأنَّ واحدا من هذه العناصر لا يملك أي قيمة ذاتية إلاّ متقابلة مع العناصر الأخرى»[03].

ويقف عبد القاهر الجرجاني عند كلمة: "ابلعي" في قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ اِبْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ اِقْلَعِي**﴾[04]، فهي كلمة "باهرة"، وإنَّما اكتسبت هذه المزية من تعلّقها بالألفاظ التي سبقتها وبالكلمة اللاحقة "اقلعي"[05]. ويؤكّد أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة[06]؛ بمعنى أنَّ الألفاظ لا تملك أي قيمة ذاتية خارج السّياق.

يؤكّد الجرجاني أنَّ الاستعارة تنبع من السّياق؛ أي أنَّ المزية تكون في النّظم ولا تكون في الألفاظ، مدعّما قوله بالآية الكريمة قال تعالى:﴿ **وَاِشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**﴾[07] ؛ ليبيِّن خطأ الاعتقاد أنَّ مزية الآية تتبدى في الاستعارة "اشتعل"، بينما الفضل-في رأيه- نابع من السّياق الذّي وضعت فيه كإسناد الاشتعال للرأس، وتأخير "شيبا" لتنتصب في آخر الجملة على التّمييز، ولو أنَّنا غيّرنا ترتيب الألفاظ لتغيّر المعنى[08].

---

[01] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص36.

[02] ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص25.

[03] نفسه، ص25.

[04] سورة هود، الآية 44.

[05] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص36، 37.

[06] ينظر: نفسه، ص38.

[07] سورة مريم، الآية 04.

[08] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص43.

ويقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الموضع: «هذه المعاني التيّ هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها مقتضيات النّظم وعنها يحدث وبها يكون؛ لأنّه لا يتصوّر أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد، لم يتوخ فيها حكم من أحكام النّحو، فلا يتصوّر أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره»[01].

إنَّ المجاز بأنواعه وأنماطه المختلفة لا يتصوّر بعيدا عن النّظم والتّركيب وعلاقات النّحو ولا يتصوّر وقوعه في الكلم المفردة؛ هذه الأخيرة التيّ تتكوّن منها اللّغة «تجري مجرى العلامات والسّمات؛ ولا معنى للعلامة والسّمة حتى يحتمل الشّيء ما جعلت العلامة دليلا عليه وخلافه»[02].

ولكن هذه العلامات اللّغوية كما تتميّز بقابليتها للدّخول في علاقات تركيبية، تتميّز أيضا بقابليتها للتّحوّل الدّلالي بحيث تتحوّل العلامة – في سياق بعينه- إلى علامة ذات دلالة مركّبة يتغيّر مدلولها إلى دال يشير إلى مدلول آخر. فإذا وصفت فتاة مثلا في سياق معيّن بأنّها "نؤوم الضّحى"، فإنَّ الصّفة "نؤوم الضّحى" تشير إلى مدلول حرفي هو أنَّ الفتاة تنام حتى ترتفع الشّمس في السّماء. ولكن هذا المدلول الحرفي لا يعني في السّياق شيئا، ولذلك يتحوّل هذا المدلول إلى دال يشير إلى أنَّ الفتاة مترفة ناعمة لها من يخدمها ويكفيها شؤون نفسها وبيتها[03]. يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الموضع: «وإذا قد عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن نقول "المعنى" و"معنى المعنى"؛ تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللّفظ، والذّي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللّفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسرت لك»[04].

وما يطلق عليه الجرجاني "معنى المعنى" لا يكون – في الحقيقة – في اللّغة العادية أو الحقيقية المصارف؛ وإنّما يكون في التّعابير الكنائيّة والاستعارية؛ أي في الكلام القائم

---

[01] دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص393.

[02] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح/محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ج2، 1972، ص248.

[03] ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص112، 113.

[04] دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص262 , 263.

على الانزياح؛ أي الذي يخرج فيه المتكلّم عن السّنن المألوف: فيلتمس الطوائل، ويبدع في النّسج ويحمل الألفاظ من المعاني دلالات جديدة بما لم تعهده في نفسها من ذي قبل[01].

إنَّ المعنى في "المجاز" يخضع لما يخضع له المعنى في غير "المجاز" من قوانين "النّظم"، ويزيد عليه شيء آخر هو ما يطلق عليه علماء اللّغة المعاصرون العلاقات الاستبدالية، في مقابلة العلاقات السّياقية[02].

إنَّ مفهوم النّظم عند عبد القاهر الجرجاني يماثل العلاقات السّياقية عند علماء اللّغة المعاصرين ومفهومه لـــ"المعنى" و"معنى المعنى" يماثل مفهوم العلاقات الاستبدالية، وإذا كان علماء اللّغة المعاصرون لا يفصلون بين المستويين، وينظرون إلى المعنى الدّلالي للنّصّ على أنَّه محصلة لتفاعل هذين النّوعين من العلاقات، فإنَّ الجرجاني يفصل بينهما أحيانا، ويدرك ترابطهما أحيانا أخرى المعنى عنده له ظاهر هو محصلة علاقاته السّياقية، وله باطن هو محصل علاقاته الاستبدالية. هذا الباطن هو ما يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى"[03].

والحق أنّ هذه المسألة شغلت الفكر اللّغوي العربي منذ ميلاده إلى أفول نجمه؛ وقصارى ما فيها أنّ اللّفظ يجب أن يكون له معنى، كما أنّه لم يكن متصوّرا لديه أنّ معنى من المعاني ليس له ما يقابله من الألفاظ في اللّغة الطبيعة الحيّة. كما لم يكن جائزا لديهم اصطناع لفظ نبيل لمعنى خسيس، ولا معنى نبيل للفظ خسيس؛ فلم يكن إذن مناص من المشاكلة بينهما بانسجام والمزاوجة بينهما بمشاكلة[04].

---

[01] ينظر: عبد الملك مرتاض، اللّغة والمعنى، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد02، 1995,ص08.

[02] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص44.

[03] ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص181.

[04] ينظر: عبد الملك مرتاض، اللّغة والمعنى، ص08.

ثمّ يمضي صاحب - دلائل الإعجاز - في دراسة أوجه التّصرف بقواعد النّحو، فيقف عند الحذف، والاستفهام بأنواعه المتعدّدة، ثمّ التّقديم والتّأخير وأثرهما الجلي في جودة النّظم كما يتوقف عند الجملة الحالية المقترنة بالواو، وأخيرا باب الفصل والوصل، وجميع هذه المسائل التي تناولها تدخل فيما يعرف – اليوم- بنحو النّصّ Grammaire de texte الذّي يدرس القواعد بطريقة تهدف إلى ضبط قواعد البلاغة، والاهتمام بالدّلالة أكثر من الاهتمام بالقاعدة من حيث هي نحو فقط[01].

بعد أن وضّح عبد القاهر الجرجاني أنّ تصرف المتكلّم بقواعد النّحو هو الذّي يشخص المعاني، ويكسبها المزيّة على اللّفظ، يعود ثانية إلى الردّ على من قصر المزيّة على الألفاظ من أمثال الجاحظ وأضرابه من الأقدمين، ثمّ على أولئك الذين حسبوا المزيّة في المعنى وحده - في رأيه- أنّه لو كان هؤلاء وأولئك على صواب لانتفى الإعجاز عن القرآن، وإنّما الأمر – في اعتقاده – أنّه كلّما قوي المعنى قوي اللّفظ[02]، مستدلا لقوله بمقارنة عبارتين في معنيين متقاربين مختلفين في النّظم فجاءت إحداهما أبلغ من الأخرى؛ كأن نقول مثلا: اشتعلت النّار في البيت، واشتعل البيت نارا[03]؛ وقد استنتج من هذا التّحليل ما سبق أن أكّده من أنّ أي تبديل في الكلم سواء بانتقاء لفظة مكان أخرى، أو بتقديم لفظة على أخرى، يستتبع بالضّرورة "زيادة في أصول المعاني"[04].

وهذا الذّي ذكره عبد القاهر الجرجاني « لا يختلف عما ذكره "كولردج Coleridge" في حديثه عن لغة الشّعر في كتابه "سيرة أدبية" (Biographia literaria)، والشّيء نفسه بالنسبة إلى "تشومسكي Chomsky" في حديثه عن البنية العميقة في الجملة الواحدة؛ إذ أنّ أي تغيير في التّركيب النّحوي ينتج عنه تغيير في الدّلالة، وإنّ أي مفردة تتغيّر في بنية ما تعني تغييرا في التّركيب»[05].

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص44.

[02] ينظر: نفسه، ص44.

[03] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص198، 199.

[04] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص44.

[05] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص75.

لقد توصّل عبد القاهر الجرجاني إلى ما يقابل مفهوم البنية العميقة للتّركيب Structure de profonde كما يسميه الغربيون، فللعبارة الواحدة معنيان أحدهما ظاهر والآخر باطن، كما ورد مصطلح "معـــنى المعنى" the meaning of meaning في كتابات "ريتشاردز Richards" وغيرهم من أصحاب الدّرس اللّغوي الحديث[01].

بيد أنّنا يجب أن ندرك أنّ النّظم الذي يقيمه عبد القاهر الجرجاني إنّما هو "نظم الجملة" وليس "نظم النّص". ذلك أنّه ركّز على كشف العلاقات النّحوية الرّابطة بين المفردات داخل الجملة أو البيت. و لم يتجاوز ذلك إلى النّصّ بتمامه، وتتمثّل فكرة نظم النّصّ؛ في اتخاذ النّصّ كلّه وحدة للتّحليل اللّغوي، بوصفه وحدة واحدة تتعالق أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتنتج دلالة كليّة للنّصّ[02].

إنّ لهذا التّعالق أو التّرابط ضربان هما: ترابط رأسي؛ وهو ترابط بين أبيات متتالية داخل كلّ جزء من أجزاء النّصّ، وترابط أفقي؛ وهو ترابط بين أبيات بعضها ينتمي إلى جزء من أجزاء النّصّ غير الجزء الذّي ينتمي إليه البعض الآخر المرتبط بها، وفي كشف هذا الترابط بضربيه لا تستند الدراسة إلى معاني النّحو وحدها؛ بل تتجاوزها إلى غيرها من ظواهر لغوية، خاصّة الصورة البيانية، وإذا كان هذا التحليل يعتمد على البنية اللّغوية للنّصّ، فهو لا يهمل السّياق الثّقافي له؛ بل يستعين به خاصّة حين تعكس لغة النّصّ هذا السّياق، ويكون هذا الأخير أداة فاعلة في إضاءة النّص وسبر أغواره. وهذه مسألة تقتضي معايشة النّص والتفاعل معه، وقراءته قراءة متحرّرة من فكرة الدّلالات الثّابتة للظّواهر اللّغوية[03].

سعى الجرجاني إلى تأسيس مفهوم القراءة الجماليّة المستندة في أصولها إلى اللّغة والسّياق النّصيّ، فقراءته كانت تحلّ شفرات النّصّ – كما يقال في الدّرس اللّغوي الحديث –

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص45.

[02] ينظر: جميل عبد المجيد، بلاغة النّص – مدخل نظري ودراسة تطبيقية- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر, 1999، ص29، 30.

[03] ينظر: نفسه، ص30، 31.

فهو لا يتخي أي سياق نصّي إلاّ في ضوء مفهوم النّظم الذّي يتذوقه مستقبلا إيّاه برهافة عالية؛ في الوقت الذّي يمارس عليـــه المنطق العقلي والموضوعي ليوضّح أنّ كلّ كلمة لها دلالتها الخاصّة بها في موقعها من البنية التّركيبية للجملة اللّغوية[01].

وهذه البنية هي التّي تؤدي الوظيفة المرتجاة من الكلمة، فالجملة إنّما هي نظم أو تأليف لألفاظ موحية بدلالتها ومشبعة بأحوالها النّفسية لتنسجم مع مقتضى الحال والمقام عند المتكلّم والمخاطب، وهذا ممّا يؤكّد أنّ الجرجاني كان أمّة وحده في رسم حدود القراءة الجماليّة للنّصّ, فسبق إلى كثير من النّظريات الجماليّة الحديثة[02].

بعد هذه الرحلة المقتضبة في رحاب نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني استطعنا أن نستشف بعض ما خلصنا إليه من نتائج، ويمكن رصدها في النّقاط التّالية:

1- إنَّ عبد القاهر الجرجاني لم يعزل الدّراسات البلاغية واللّغوية عن النّحو الوظيفي؛ بل عبَّر عن تشابك هذه الفروع في علم واحد هو علم النّظم، أو العلم بالأنساق والأساليب.

2- يرفض الجرجاني ثنائية النّصّ، وتقسيمه إلى لفظ ومعنى فقط؛ لأنَّ هناك بعدا ثالثا لم يلتفت إليه الأقدمون وهو الصّورة.

3- يستخف عبد القاهر الجرجاني بمسألة الفصل بين اللّفظ والمعنى. ولا يرى الإعجاز في أيّ منهما على حدة. وأظهر شيئا من المحاباة اتجاه المعاني، وذلك راجع إلى تمييزه للمعنى المعجمي للألفاظ (الدال) عن "معنى المعنى" الذّي يستدل عليه من النّظم أو السّياق[03].

4- ثمّة فرق كبير بين اللّغة والأدب، وإنّ الألفاظ والقواعد النّحوية لا قيمة لها في معاجم اللّغة وكتب النّحو، وإنّما مدار الأمر وقف على وضع هذه المواد الأوليّة في نظم أو نسق يتصرّف فيه الأديب بوجوه النّحو واللّفظ.

---

[01] ينظر: حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية- ص112.

[02] ينظر: نفسه، ص112.

[03] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص47، 48.

5- إنّ العلم باللّغة من حيث هي مفردات وقواعد نحو، وصرف، وعروض، وبديع، وبيان لا يفضي بالضّرورة للإجادة في الشّعر؛ لأنّ القدرة على الإلمام بالمادة ليست كالقدرة على التصرّف بالنّظم والأنساق[01].

6- تأكيده على الجمع بين اللّفظ والمعنى؛ إذ بهما يتحقّق الإعجاز.

7- قيمة الكلمة في اجتماعها؛ لأنَّ النّظم مجموعة علاقات بين كلمات تؤلف سلسلة لغوية ذات وظيفة إبداعية.

8- النّظم تنسيق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها، بما تقوم من معاني النّحو المتخيّرة والموضوعة في أماكنها على الوجه الذّي يقتضيه العقل.

9- النّظم هو الكلام وليس اللّغة لأنَّها وسيلة، أمَّا الكلام فهو الانتقاء والاختيار والتّأليف وهو غاية ووسيلة، فالوجود الفعلي للّغة لا يتحقق إلاَّ في الكلام، أمَّا قبل ذلك فاللّغة هي بمثابة المادة الخام.

10- يتطابق الكثير من آراء عبد القاهر الجرجاني، وأنظاره، في وجوه النظم والأسلوب وعلاقة ذلك باللّغة والنّحو والبلاغة مع آراء البنيويين المعاصرين، والأسلوبيين المجدّين في الدّرس الأدبي والبلاغي[02].

وممّا تقدم، يغدو منهج عبد القاهر الجرجاني واضحا في سموّه إلى معالم الإبداع فاق به سابقيه، و لم يقف أبدا كغيره من الدّارسين مكتفيا بعملية الاقتداء والاتباع[03].

ج- مدرسة السكاكي الشّمولية:

ألَّف السكاكي (ت 626هـ) كتاب "مفتاح العلوم في البلاغة"، وكان له تأثير كبير على الأجيال التّالية فصارت آراؤه مرجعا للدّارسين، جعلته أكبر مدرسة لسانية في العربية ولا يعرف الدّارسون مدرسة مماثلة لها من حيث الاتساع والشّمول في الثّقافات الأخرى.

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص48.

[02] ينظر: نفسه، ص49.

[03] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص28.

وقد صنَّف العلوم اللّسانية في شكل شجرة أصلها ثابت في قواعد اللّغة وفروعها في السّماء تشمل جميع أنواع الكلام والتّطوّر يشمل أولا فرعين: النّحو والصّرف إلى درجة البلاغة فيخلق علم المعاني "النّحو" وعلم البيان "الصّرف"، كما يدرج مع مقتضى الحال مقتضى المقام ومقتضى المقال، ويرتقي من البلاغة علم الأسلوب في مستوى علم البديع فيخلق البيان المحسنات اللّفظية والمعنوية والمعاني[01].

و من الضّروري في هذا المقام أن نشير إلى حقيقة خزانة الصّور؛كونها من مبتكرات السكاكي, إلاّ أنّ هذا المفهوم لم يبـــال بـــه اللّغويون عنـــدنا مع أنَّه من أبدع ماجادت به قريحة السكاكي، ولعلَّ صعوبة إدراك جوانبه النّفسيـــة واللّســـانية التيّ لم يتعودوا على رؤيتها هي التيّ نفرهم منه؛ لأنَّه أشبه ما يكون بالحافظة الآلية للمعلومات "Logiciel" كما يقال اليوم في لغة الحاسوب الإلكتروني[02].

فكّر السكاكي قبل وجود الحاسوب بتخزين الألفاظ والصّور في الذّاكرة للتّمكّن من إخراجها عند الحاجة في صور وتراكيب متنوّعة بتنّوع الأغراض التّي يفتش عنها المتكلّم, وتعرض لهذا في باب (المعاني) عند كلامه عن الفصل والوصل[03].

ويفهم من السّياقات الكثيرة التيّ أورد فيها هذا المفهوم أنَّه عبارة عن "مخيال" تصنف فيه صور الأشياء والمعاني الآتية من الخارج فتنطبع رسومها في ذاكرة المتكلّم والسّامع، وهي تزداد رسوخا كلَّما ازداد تكرارها،يقول: «فإنَّ جميع ما يثبت في الخيال ممّا يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه، وبما أنَّ وضع الأشياء في الكون لا يقوم على ترتيب منطقي أو نسق واحد؛ بل يختلف باختلاف الأشياء ذاتها وحاجة النّاس إلى استعمالها كتركيب القرطاس والمحبرة والقلم بالنسبة للكاتب وترتيب المنشار والقادوم والعتلة بالنسبة للنّجار، فإنَّ إعادة

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني ، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص42.

[02] ينظر: نفسه، ص44.

[03] ينظر: محمّد الصغير بناني ، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص50.

ترتيب صورها في الخيال وهي لا علاقة لها في العالم الخارجي كتعلّق منشار وقلم وقادوم في الخيال»[01].

بما أنَّ تشكل الصّور في الخيال يتّم عادة انطلاقا من المحيط الطبيعي والاجتماعي المهني فإنَّ خزانة صور كلّ واحد تتألف حسب طبيعة ذلك المحيط، فخزانة الكاتب غير خزانة النّجار وخزانة البدوي غير خزانة الحضري، ووصف عملية الإبداع عند المحدثين لا يختلف عن هذا في المنهج. وداخل كلّ خزانة يمكن إجراء تصنيف نوعي آخر يتمّ حسب الموضوعات في شكل "بطاقة" فنيّة تجمع فيها الصّور المنتمية إلى الحس وتشمل: المبصرات كالجمع بين الخد والورد، والمسموعات كالجمع بين الأطيط وصوت الفراريج، والمتذوقات كالجمع بين الريق والخمر، والملموسات كالجمع بين الجلد الناعم والحرير، وبطاقة تجمع الصّور المنتمية إلى الوهم كأن يجمع بين المنية وصورة حيوان وهمي. نقول افترسته المنية، أو إلى الوجدانيات كالجمع بين اللّذة والألم والشبع والجوع. وكلّما كانت الصّورتان متباعدتين في العقل أو في الوهم والخيال وصحَّ الجمع بينهما كانت درجة البديع مرتفعة [02].

أمَّا المعاني البلاغية فهي تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان ويقصد بخواص التّراكيب تصرّف المتكلّم في تأليفها، ويبدأ عند خروج الكلام عن مقتضى الوضع، ويمتد إلى ما لا نهاية له التّي يكون للمتكلّم يد في إخراجها على تلك الصّورة ولقد لخّصها في التّراكيب الخاصّة الآتية:

1. علاقة الكلام بالأسلوب وبالحال وبالزّمان وبالأشخاص وبالسيّاق وبمقتضى الظّاهر.
2. علاقة الكلمات بعضها ببعض داخل الجملة.
3. علاقة الكلام بالرتبة وبكمية الألفاظ والمعاني وبالذّكر والحذف.
4. علاقة الكلام بالتّعريف والتّنكير[03].

---

[01] السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1348هـ، 1927م، ص111، 112.

[02] ينظر: نفسه، ص111، 142.

[03] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص48، 49.

وقد انتقل السكاكي من هذه التّراكيب البلاغية إلى معنى التّوليد؛ وهو تصوّر آخر استمدّه من القرآن أوّلا تمّ من تصوّره للتّراكيب تصوّرا كيميائيا، وهو تصوّر يشبه بشكل غريب التّحويلات التي يجريها اللّسانيون في النّحو التّوليدي[01].

كما اشتغل السكاكي أكثر من اللاّزم بتعريف النّظم لأنّه أساس البلاغة المقامية؛ أي بلاغة النّجاعة التّواصلية، وأولى عناية كبيرة لقضية الفصل والوصل وتأثيرها في عملية النّظم، أضف إلى ذلك أنّه انتبه إلى شيء جديد يتعلّق في الأساس بقضية المقام، حيث نظر إلى اللّغة في إطار علاقتها بالسّياق، فأفرد فصلا كاملا من كتابه لمبدأ تقديم السّؤال، إضافة إلى تعرّضه بشيء من التّفصيل إلى مبدأ الأفعال الكلامية وهما من صميم الدّراسة التّداولية[02].

يصل السكاكي إلى علم الشّعر لينتهي منه إلى الإعجاز، وهو الغاية التيّ من أجلها كتب "مفتاح العلـــوم" للرد على الذّين لا يقولون به. فاللّسانيات مع السكاكي بلغت قمّة ما يمكـــن أن يتصوّر في ذلك العصر، وحتى عصرنا الحاضر عن القضايا اللّسانية والبلاغية والأدبيّة[03].

د – المدرسة الخلدونية الارتقائية :

إن كان الكلام عن المدارس اللّسانية قد يبدو غريبا مع كبار اللّسانيين أمثال الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي فما عساه أن يكون مع ابن خلدون (ت808هـــ) الذّي يعرف بأنّه مؤرخ قبل كلّ شيء , أو أنّه في أحسن الحالات الذّي اكتشف علم العمران (علم الاجتماع) خمسة قرون قبل "أوغست كونت Auguste conte"[04]، أمّا أن يصنف من بين كبار علماء اللّسان فهذا ما لم يخطر على البال.

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص48، 49.

[02] ينظر: رياض مسيس، لسانيات النّص حول بعض: المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرّز، بوزريعة، الجزائر، عدد خاص، 5 و 6 فيفري, 2002، ص165.

[03] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص48، 49.

[04] ينظر: نفسه ، ص50.

إنَّ أهمّ ما جاء عند ابن خلدون عن العلوم اللّسانية الملكة اللّغوية, وهي في نظره تتجلى في القدرة على التّركيب، والتّأليف بين العناصر اللّغوية المتلاحقة، وفق الطبيعة الخطيّة للّغة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ اللّغويين الأقدمين ميَّزوا بين التركيب والتأليف[01]. ونلفي ابن خلدون يقول في هذا الشّأن: «إذا حصلت الملكة التامّة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التّأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلّم، حينئذ، الغاية من إفادة مقصوده للسّامع»[02].

إنّ الملكة اللّسانية اصطلاح لابن خلدون «يقصد به قدرة اللّسان على التحكم في اللّغة والتصرّف فيها وهذا يتفق مع تفسير المعاجم لمعنى الملكة عموما، فهي تعني احتواء الشّيء مع الاستبداد به لكنّها هنا "ملكة لسانية" فهي منسوبة إلى اللّسان الذي هو محلها وتصير ملكة له؛ احتوى اللّغة وتمكن منها واستبد له»[03]. فمفهوم الملكة عند ابن خلدون أقرب إلى مفهوم الكفاية اللّغوية عند "تشومسكي Chomsky" من مفهوم اللّسان عند "دي سوسير De saussure"[04].

إنَّ جميع علومه جاءت تتويجا لمشروع واحد نبع من القرآن الكريم وارتقى إلى فكرة البيان عند الجاحظ، واكتمل في فكرة العمران عند ابن خلدون، فالعمران امتداد للبيان تطبيق لمبدأ خلدوني منطقي هام يقول إنَّ نهاية الفكرة بداية العمل(ونهاية العمل بداية الفكرة) وهو قانون صارم "قانون الارتقاء"[05].

والنّظرية الارتقائية إن كانت قد تكرّست في الثّقافة الغربية على أنَّ "داروين Darwin" هو الذّي اكتشفها في منتصف القرن التّاسع عشر، فإنَّ تأصلها في الفكر العربي الإسلامي يكاد

---

[01] ينظر: أحمد حساني، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية – مقاربة لسانية – ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية , بن عكنون، الجزائر، 1993، ص02.

[02] ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص722.

[03] محمّد عيد، الملكة اللّسانية عند ابن خلدون، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1979، ص01.

[04] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص127.

[05] ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، ص839.

يكون مجهولا. والنّظرية الارتقائية مبنية على طبقات خمس متراصفة يعبّر عنها ابن خلدون بالأطوار، ويقصد بالطّور الفترة الزّمنية التّي ينتقل فيها الكائن لسانيا كان أو إنسانيا أو حيوانيا من صورته الأولى إلى صورة أخرى، كما أنّه لو كان حقيقة أخرى وليست تطوّرا داخليا[01].

والطّور عند ابن خلدون هو الحال عند البلاغيين, وقد أخذوه عن المتصوفة ووظّفها ابن خلدون لبناء نظرية التّحصيل وهي تنصّ على أنّ المعنى ينشأ أوّل ما ينشأ عن الفعل فإذا تكرّر الفعل صار صفة، وإذا تكرّرت الصّفة صار حالا[02].

وهذا التّطور الارتقائي إذا طبقناه على الكلام كان الارتقاء كالتّالي: ففي الأسفل نجد الدّلالات التّي لا تتحدّد أبعادها إلاّ إذا أدرجت في شبكة نحوية، والشّبكة النّحوية لا تظهر قيمتها الكلامية إلاّ إذا أدرجت في الطّبقة التّي فوقها طبقة البلاغة. والبلاغة التّي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ترتقي إلى طبقة الأسلوب التّي تجمع العبارة البلاغية وتضيف إليها البديع أي إبداعات المتكلّم؛ لأنّ الأسلوب هو العلامات الدّالة على شخص المتكلّم[03].

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ الأسلوب من أمهات القضايا البلاغية العربية التّي تجسّدت من خلال درسها مدى قدرة البلاغي العربي القديم على التّفطن لسر جمالية الخطاب سواء أكان شعرا أم نثرا ، فربط الدّرس البلاغي في نظرته إلى الأسلوب بين النّحو من حيث هو درس لآليات ومكوّنات الجملة العربية, وبين توليده للدّلالة داخل النّصّ.

إنّ إخضاع مفهوم الأسلوب لمعاني النّحو فهم شاع في التّراث البلاغي العربي، لكننا نجد أنّ عبد الرحمن بن خلدون لم يؤصّل الأسلوب على معاني النّحو فقط ، وإنّما جعل النّحو والبلاغة والعروض علوم آلات تغذي سلوك الأسلوب كما يسميه [04].

---

[01] ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، ص857.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص53.

[03] ينظر: نفسه، ص53.

[04] ينظر: محمّد بلوحي،الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية www.dahsha.com 2008/05/28.

و لعلّ من المهمّ ههنا أن نعرّج على مفهوم المنوال؛ إذ يعدّ من مبتكراته وهو قائم على التّشبيه بصناعة النّسيج. وقد لخّص أفكاره في صفحة نحن في حاجة إلى تدبرها اليوم؛ لأنّها إذا قرئت في ضوء الدّراسات الحديثة حول النّصّ فإنّها ستفتح آفاقا جديدة للبحث في هذا المجال[01].

ينظر ابن خلدون إلى الأسلوب كعملية مركبة من علوم النّحو والبلاغة والأدب، من معانٍ مجرّدة وصور ذهنية، فهو يتناوله بتعريفه ضمن حديثه عن صناعة الشّعر[02] بقوله :« ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصّناعة وما يريدون بها في إطلاقهم. فاعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذّي تنسج فيه التّراكيب أو القالب الذّي يفرغ فيه. ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التّراكيب الذّي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التّراكيب، الذّي هو وظيفة البلاغة والبيان؛ ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذّي هو وظيفة العروض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصّناعة الشّعرية؛ وإنّما ترجع إلى صورة ذهنية للتّراكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصّورة ينتزعها الذّهن من أعيان التّراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثمّ ينتقي التّراكيب الصّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيها رصًّا كما يفعل البنّاء في القالب أو النسّاج في المنوال حتى يتّسع القالب بحصول التّراكيب الوافية بمقصود الكلام»[03].

من الواضح أنّ مفهوم "المنوال" مندرج في مفهوم الأسلوب في نظر ابن خلدون، وفكرة المنوال هذه ناشئة، بالتّأكيد، عن فكرة النّسيج، وعن تشبيه عملية الكلام بصناعة النّسيج وكلّ منهما مستوحى من فكرة النّظم كما تصوّره عبد القاهر الجرجاني، ويعدّ, إذن, تطوّرا منطقيا لمعنى النّسيج بحثا عن المفهوم الأنيق لتصوير عملية الكلام ووصف خيوطها المعقّدة، كما تظهر على السّطح في النّصّ والمنوال استعمال مجازي نقل بموجبه اسم الآلة (آلة النسيج)

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص81.

[02] ينظر: محمّد عباس، المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص18.

[03] ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، ص647.

إلى وظيفتها المتمثّلة في عملية النّسج ذاتها بإطلاق الآلة على الوظيفة مجازا باعتبار الأثر الذّي ينتج عنها، كإطلاق اللّسان وهو عضو الكلام وآلته على الكلام ذاته[01].

يرتكز هذا النّصّ الخلدوني– الذّي ذكرناه سالفا– على القضايا الآتية:

أ– علاقة التّركيب بالفكر الذي تصدر عنه الصّور الذّهنية.

ب– اعتماد القياس التّعبيري على مطابقة التّركيب لأساليب العرب.

ج– مراعاة مطابقة الشّكل للمضمون الذّي يراه ابن خلدون في علاقة الأسلوب أو (القالب) بمقاصد الكلام ودلالاته[02].

وبذلك يكون المنوال هو الأسلوب الذّي يعبّر عن الصورة الحيّة في شخصية الأديب من خلال تفكيره وشعوره وتعبيره، فهو يرسم ملامح روح العمل الفنيّ، ومن هذا المنظور كان لكلّ أديب أسلوبه الخاص وطابعه المعيّن في كلّ ما مست يده من عمل أدبي وفنّي [03].

إنَّ هذا المنوال هو في نهاية الأمر "صورة ذهنية للتّراكيب المنتظمة كليّة"؛ أي صورة جامعة لعدَّة صور منتظمة، ثمّ إنّ هذه الصّورة الذهنية الجامعة هي الوجه الخفي للنّصّ، وهي المرآة العاكسة لشبكات النّصّ التيّ انتزعها الذّهن من أعيان التّراكيب وأبرم عقدها من جديد في تراكيب تعكس مقصود الكلام، وتتجلى في النّصّ الظّاهر على النّحو الذّي يقتضيه حال الكلام[04].

والنّصّ الظّاهر « يتألف في الحقيقة من عدّة نصّوص أو شبكات يرصّها الذّهن رصّاً في المنوال، وتمثّل النّموذج الذّي اختاره لإخراج تراكيب نصّه، وهذه الشّبكات المتراصة تقلّ وتكثر حسب طبيعة النّصّ المراد إخراجه، وقد ذكر ابن خلدون هنا ثلاثة هي: الشّبكة النّحوية، والشّبكة البلاغية، والشّبكة العروضية (ممّا يدلّ على أنّه يقصد هنا النّصّ الشّعري)، ويستنتج من تصنيفه

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء ، ص82.

[02] ينظر: محمّد عباس،المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، ص18.

[03] ينظر: نفسه، ص19، 20.

[04] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص83.

أنَّ الشّبكة النّحوية تتضمّن بالضّرورة الشّبكة الدلالية للمفردات اللّغوية، كما أنَّ الشّبكة العروضية ترصّ فوقها الشّبكة الأسلوبية التّي ساق كلامه عن الأسلوب من أجل تحديد مكانتها»[01].

والنّظر إلى النّصّ على أنَّه نسيج لفظي ودلالي مركّب يزداد كثافة كلّما ازداد تناميا، فكرة جديدة تستحق المتابعة. وهي إن كانت مستمدة بلا شك من نظريات القدماء (الجاحظ على وجه الخصوص)، إلاَّ أنَّها تلقي أضواء جديدة على مفهوم النّصّ وتحثّ الدّارسين على المزيد من البحث والتّنقيب.

وخلاصة القول عن المنوال عند ابن خلدون أنَّه يوسّع فكرة النّظم ويضبطها في إطار يمكن أن يكون اليوم هيكلا نظريا وعمليا مفيدا في البحوث الرّامية إلى إعادة بناء النّصّ على أسس متينة.

إنَّ ابن خلدون يستعمل مفهوم "المنوال" ليعبِّر عن التّركيب الواسع الذّي يشمل جميع التّراكيب، وترصّ فيه جميع الأنسجة الكلامية النّحوية والبلاغية. ويقابل "المنوال" "المضمار" الذّي هو صورة مصغّرة ودقيقة للمنوال، منشأها الذّوق ومسكنها القلب, وهو بعيد المدارك , وصعب المنال ولذلك اقترحنا أن يكون ميدانه الوظيفة التّذكيرية التّي يختص بها نّص القرآن الكريم الذّي مجاله الوحي وصرحه الإعجاز[02].

وعليه فإنَّ البيان والنّظم والمنوال مفاهيم تكاد تكون متداخلة مع مفهوم النّصّ وهذا في نظر القدماء.

إنَّ ما يمكن استخلاصه عن هذه المفاهيم هو أنَّها، عكس ما كنَّا نعتقد، تتوافر على معلومات كثيفة ذات مستوى نظري متقدّم قد يفيد حتى الدّراسات الحديثة ذاتها ومن ثمَّ ضرورة ترجمتها إلى لغة أجنبية تمكّن الباحثين من الاطلاع عليها واستغلالها، بالإضافة

---

[01] محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص84.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص57.

إلى غايات أخرى ذكرها ابن خلدون في مقدمته « كأساليب التّفكير والتّعبير والتّذوق الفنيّ، وأنماط السّلوك والتّعامل والنّظرة إلى الحياة والكون» [01].

هـ- حقيقة اللّفظ في كليات أبي البقاء الكفوي:

من المفاهيم القريبة من مفهوم النّصّ من حيث الوزن والدّلالة اللّغوية والاصطلاح مفهوم اللّفظ في تصوّر القدماء، وقد تكون شهرته ورواجه في الاستعمال من بين أسباب الضّيم الذّي لحق تطوّر نظرية النّصّ.

غير أنَّ فكرة اللّفظ لا تسع المعاني التيّ تسعها فكرة النّصّ، حيث يقتصر اللّفظ على المتكلّم والمعنى الذّي يحمله؛ بينما النّصّ يتضمّن معنى السّامع، ومعنى التّعيين الخارجي Le référent زيادة على المتكلّم والمعنى الذّي يحمله؛ فإذا قلنا: "نّصّ فلان على كذا"، أو "استشهد بنصّ كذا" فإنَّ الأطراف المعنية بالنّصّ هي: المتكلّم صاحب النّصّ، والمتكلّم عنه في النّصّ (التعيين الخارجي) والمعنى المقصود بالنّصّ، والمتكلّم له في النّصّ (يعني المخاطب). بينما قولنا "تلفظ فلان بكذا"، أو قول النّحاة: الكلام هو "اللّفظ المركب المفيد بالوضع" لا يستوجب حضور الأطراف المذكورة في الذّهن والمساهمة في تنشئة الخطاب. ولننظر في المفهوم عن كثب[02].

واللّفظ مفهوم ليس له مقابل في الاصطلاحات اللّسانية الغربية؛ ومفهوم Vocable يقابل خاصة المنطوق. ويأتي أحيانا مرادفا للنّصّ؛ لفظ، يلفظ، لفظاً بمعنى بصق الشّيء مِن فيه فرماه وطرحه، ولفظ بالكلام: نطق به، وبذلك يكون معنى اللّفظ الرّمي؛ أي الإلقاء والطّرح إلقاء الحرف خارج الفم[03].

---

[01] ناصر الدين الأسد، الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية الملكية المغربية، الرباط، المغرب، العدد 16، 1999, ص151.

[02] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص75.

[03] ينظر: يوسف شكري فرحات، معجم الطلاب عربي – عربي، ص536.

و بناء على هذا يعطي النّحاة للّفظ معنى لسانيا خالصا يخضعونه فيه إلى التّقطيع المزدوج (double articulation) ويسمونه العطف والإبدال ؛ أي تركيب الأصوات تركيبا في حروف قابلة للاستبدال؛ فالحرف لا يكون حرفا إلاّ إذا كان صوتا وظيفيا Phonème قابلا للاستبدال مع حروف مماثلة في محور السّدى وقابلا للتّأليف مع حروف مجاورة في محور النّير، وينتقل باللّفظ من الحرف إلى الكلمة، والكلمة لا تكون كذلك إلاّ إذا كانت هي الأخرى قابلة للاستبدال والتأليف مع كلمات أخرى؛ فتمدّد نصّية الحرف إلى الكلمة والكلمة إلى الجملة والجملة إلى الفقرة ثمّ إلى الفصل ثمّ إلى الكتاب بكامله[01].

أمَّا اللّفظ في عرف البلاغيين فمنظور إليه من زاوية أخرى زاوية التّراكيب، فقد استغلّ هؤلاء فكرة النّحاة المتمثّلة في وجود لفظ غائب دال على معنى شاهد، لقلب العملية بتصوّر النّصّ المركّب من لفظ موجود لمعنى معدوم، ومعنى موجود للفظ معدوم كما هو الشّأن في المجاز؛ حيث يعمد إلى لفظ "أسد" ويحذف معناه (كحيوان)، ويبدّل بمعنى "زيد" ويحذف لفظه (كإنسان) فيصير في النّصّ لفظ "أسد" بدون معنى، ومعنى "زيد" بدون لفظ، وتصبح صورة المعنى الأوّل تدلّ على المعنى الثاني[02].

و نلفي أبا البقاء الكفوي (ت 1095 هـــ) يقول في هذا الشّأن:«إذا وضعوا اللّفظ بما يدلّ على تفخيمه لم يريدوا اللّفظ المنطوق لكن معنى اللّفظ الذّي دلّ به على المعنى الثّاني»[03] .

وهو كما نرى نموذج المجاز القائم على علاقة التّضمّن وإمكانية الانفكاك التيّ تطرح إشكالية وجود نصّ بدون معنى، ومعنى بدون نصّ، ممّا يؤدي إلى تجاذب بين أطراف أربعة تشكّل النّص المركّب. كذلك الشّأن فيما يخص نموذج الكناية؛ حيث تقوم العلاقة على التّلازم وعدم الانفكاك. يعني امتناع المفارقة بين المعنيين كذكر "الدّخان" يلزم عنه معنى "النّار". «ومعنى لزوم شيء عن شيء كون الأوّل ناشئا عن الثّاني وحاصلا منه»[04].

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص77، 78.

[02] ينظر: نفسه، ص78.

[03] الكليات، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ج4، 1976، ص168.

[04] نفسه، ص168.

وهناك نوعان من التّلازم:

أ- اللّزوم الذّهني ويتناول التّصوّر العقلي كلفظ اثنين يقتضي وجود واحد زائد واحد. فالانتقال يتمّ في اللّفظ و«يتحقّق منه إليه كالزّوجية للاثنين»[01].

ب- اللّزوم الخارجي والانتقال يتمّ بين لفظين متجاورين، كوجود النّهار لطلوع الشّمس[02].

وهكذا يطرح المجاز والكناية مشكلة النّصّ المزدوج، وهل يجب عدّه نصّاً واحداً أو نصّين؟ نلاحظ في هذه الحالة أنّ نصّاً واحداً يظهر في شكل صورة ، ويمكن تسميته بالنّص/الصّورة، وحينئذ يخرج ولو جزئيا من مجال النّصّ اللّساني إلى النّصّ الذي يعتمد على وسائل أخرى غير اللّسانية، كالصّورة والإشارة والرمز والنّصبة كما رأيناه مع الجاحظ أو كالأيقونة (الوسم) icône عند المحدثين[03]. هذا بإيجاز كلّ ما أمكن استخلاصه من كلام أبي البقاء في كلياته عن اللّفظ.

وعليه فمصطلح النّصّ تنطوي تحته مفاهيم قريبة من مفهومه من حيث الدّلالة والمفهوم هي كالآتي: البيان أو اللّفظ أو النّظم أو المنوال، والنّصّ هو قبل كلّ شيء آلة يتمّ بفضلها نقل المعنى من ضمير المتكلّم حيث يجري التّركيب إلى ضمير المخاطب حيث يتمّ التّفكيك، سواء أكانت تلك الآلة لفظا أم إشارة أم عقدا أم خطا أم نصبة[04].

والنّصّ إذا كان لفظا فإنّه يظهر خاصّة في أصوات مقطّعة في الهواء في وحدات متتالية لا تظهر منها وحدة حتى تغيب التي قبلها تاركة صداها في ذهن السّامع يستعيد به أصوات الكلمة أو الجملة أو حتى الفقرة إذا كان النّصّ ممّا يساعد على الحفظ والاستظهار، كالنّصّ الشّعري مثلا أو كان السّامع ذا ذاكرة قويّة، من ثمَّ كان اللّجوء إلى الكتابة لتقييد النّصّ وتوثيقه. كلّ ذلك ليتمكّن من استحضار معناه متى شاء؛ والنّصّ مهما كان انتشاره يظلُّ قائما على وحدات

---

[01] أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص169.

[02] ينظر: نفسه، ص169.

[03] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص79.

[04] ينظر: نفسه، ص86.

(حروف أو كلمات) محدودة معدودة بينما المعاني التيّ يحملها تنزع إلى أن تكون "مبسوطة إلى غير غاية وممتدّة إلى غير نهاية"[01].

وأخيرا هناك ثلاثة أنواع من النّصوص: النّصّ الحرفي، والنّصّ الصّوري، والنّصّ النّصبة.

فالنّصّ الحرفي هو الذّي يعتمد على الصّوت المقطّع في الهواء أو على الخطّ الّذي يقيّد الصّوت ويوثّقه بالكتابة، والنّصّ الصّورة هو نصّ مركّب من نصّين، الأوّل يعتمد على الحروف والآخر يعتمد على الصّورة التي تصاحبه. كما في الإشارة والرّمز والمجاز بصفة عامّة.

والنّصّ النّصبة هو نصّ مركّب أيضا من نصّيين: نصّ موجود، ونصّ يعتمد على العدم للاستدلال على الوجود، ويظهر هذا في الحال الّتي تصاحبه أو الأسلوب الّذي فيه، والصورة والنّصبة كلاهما ينطلقان من النّصّ الحرفي وينسجان على هامشه نصّاً ثانياً في شكل صورة في الأولى، وحال في الثانية[02].

وصفوة القول « إنَّ تراثنا اللّساني العربي غني جدًّا، ويستحق أن ينظر إليه ويهتم به، كونه يحوي نظريات وآراء لا يمكن أن تستغني عنها اللّسانيات المعاصرة، ونحن بحاجة إلى لسانيين عرب يحسنون الغوص في أعماق هذا التّراث، متسلحين بسلاح المعرفة والعلم ليستخرجوا كنوزه ودفائنه، ويبيِّنوا موقع ما فيه بالنسبة إلى علم اللّسانيات، ويوضّحوا صلته بهذا العلم، ليكون تراثنا أحد روافد التراث الإنساني، ومن ثمّة نعطيه بعده الحضاري والفكري السليم»[03].

إنّ اللّغويين والبلاغيين العرب قدّموا الكثير من التّصورات والمفاهيم ذات الصلة الوثيقة بالدراسات النصّية ، وأسهموا في استعراض موضوع النّـــصّ من خلال أبعاده المختلفة لتحقيق

---

[01] ينظر: محمّد الصغير بناني، مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، ص86، 87.

[02] ينظر: نفسه، ص87.

[03] شعيب مقنونيف، منزلة علوم اللّسان في التفكير الإسلامي، مجلة المبرّز، بوزريعة، الجزائر، 5 و6 فيفري 2002، ص60.

التّكامل المعرفي ، وسعوا إلى وضع مقاييس لسانية خدمة للنّصّ خاصّة القرآني من خلال سلامة لغته وإعجازيتها, وتجلى ذلك في النّتائج الملموسة والمحددة بدقّة مضبوطة .

بعد هذه الإطافة السّريعة و المقتضبة, يتبيّن لنا, أنّ النّصّ قد حظي باهتمام ملحوظ عند عصبة غير قليلة من أسلافنا,من خلال إدراكهم لأهميّته في العملية التّواصلية, فقد تركوا الأثر الكبير في مجال الدّراسات اللّغوية بكلّ مكوّناتها الحضارية,و الثّقافية,والمعرفية, وتجسّد ذلك في نتائج أعمالهم, و عطائهم الوافر, ودورهم المعتبر, ممّا جعل دراساتهم تكتسب الشّرعية الكاملة في الوجود.

فقد أسّسوا أرضية أوليّة خصبة تعدّ رافداً مرجعيا يعوّل عليه إلى حدّ الآن في الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، والتّي تسعى إلى تأسيس نظريات لسانية قادرة على تقديم التّفسير العلمي الكافي لكثير من القضايا اللّغوية .

وسعوا جاهدين إلى ضبط المنهج العلمي الصّحيح، الذّي سار على منواله نفر غير قليل من الباحثين، ممّا ولّد العديد من الأعمال الجليلة والقضايا اللّغويّة الّتي اتّسمت بالوجاهة العلميّة، والطّرح المنهجي الدّقيق .

فلا جرم, إذن، من أن تنصرف الجهود إلى إحياء تراثنا اللّغوي من أجل استكشاف حقيقته، وإدراك العطاءات الإنسانيّة، فهو يسهم بلا ريب في العديد من الأنشطة الفكرية المعاصرة.

وبناء على ما تمّ ذكره، نستطيع القول، إنّ هذه الإشارات والشّذرات من أفنان هذا العلم غير كافية في عرض مفهوم النّصّ عند الدّارسين العرب وتعاملهم معه، ولكنّها ترشد ولو بالنّزر القليل إلى حقيقة النّضج الفكري المتميّز، والوعي اللّغوي العميق، والاهتمام الموسّع لديهم.

الفصل الثاني: النّصّ في منظور اللّسانيات العامّة.

1. النَّصّ في التّصوّر ما قبل البنيوي.
2. مقومات النّصّ في التّصوّر التّقليدي.
   أ. الأحادية.
   ب. الانغلاق.
   ج. الكاتب هو صاحب النّصّ.
3. ماهية المناهج الحديثة في دراسة النّصّ.
4. المناهج السّياقية الكلاسيكية.
   أ. المنهج التّاريخي.
   ب. المنهج الاجتماعي.
   ج. المنهج النّفسي.
5. النّصّ مدخل تمهيدي.
6. أسس الفكر اللّغوي عند دي سوسير.
7. الثّنائيات السّوسيرية.
8. النّصّ في اللّسانيات العامّة.
   أ- الانفتاح.
   ب – التّعدّد.
   ج- التّناص.
9. المناهج النّسقية المعاصرة.
   أ. المنهج البنيوي.
   ب.المنهج الأسلوبي.

ج. المنهج السّيميولوجي.

النّصّ قراءة في المفهوم

- النّصّ في التّصوّر ما قبل البنيوي:

إنَّ الانتباه إلى أهميَّة الجانب اللّغوي في معرفة النّص الأدبي وتحديد خصائصه النوعية قديم, فلقد قامت الممارسات اللّغوية الأولى – في قسم كبير منها – على لغة النّص طريقة لتقريبه من الأفهام والأذواق؛ ومن الحضارات ما قام النقد فيها – إذا استثنينا بعض القضايا الثانوية – على البعد اللّغوي أساسا، ولعلَّ أحسن نموذج لذلك البلاغة[01]، فقد عرَّفها العرب «والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال في فصاحته، وهو مختلف لأنَّ مقامات الكلام متفاوتة»[02]. والبلاغة أصلا نظام من القواعد، تقوم مهمته على التوجيه في إنتاج النّص الأدبي، وهي نظام يتحقّق في النّص، تؤثر على القارئ بإقناعه، كما تؤثر على المتلقي في عملية الاتصال الأدبي[03].

إنَّ البلاغة القديمة قد قدّمت نموذجا معيَّنا، كان معينا للآراء والاقتراحات التي طرحت فيما بعد، وبخاصة من خلال النظريات الحديثة حول نماذج إنتاج النّص، فهي تضمُّ الأفكار الجوهرية التي عنيت الدراسات النصّية بالتوسُّع فيها، وبالتالي توجد جوانب اتفاق عدَّة بينهما إلى حد يصعب معه إغفال الأثر، حتَّى حين تكون درجة خفائه مرتفعة، وليست محاولة علم النّص في جوهرها إلاَّ السعي المستمر لضمِّ هذه العمليات في إطار موحَّد بعد أن تبعثرت بين عدّة علوم ركَّز كلّ منهما على جانب بعينه مهملا الجوانب الأخرى[04].

إنَّ البلاغة في التراث اليوناني قد انشغلت بمسائل تدخل في صميم علم النّص حيث عنيت في درسها للخطابة بأهميّة استثمار الخطيب لمعارف جمهور المستمعين وميولهم، من أجل النجاح

---

[01] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية – دراسة ونماذج – دار الجنوب للنشر، تونس، 1995، ص114.

[02] القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت), ص33.

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النَّص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مكتبة لبنان ناشرون, دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص09.

[04] ينظر: نفسه، ص167.

في وظيفة اتصالية جدّ مهمّة، ألا وهي الإقناع، فقد كانت تعدّ فن الاستخدام الجيّد. فلهافي الأصل – كما يبيّن الاسم – أهميّة خاصة بالنسبة إلى خطاب الخطيب أمام المحكمة، أو الاجتماعي الشعبي. إنّ الأمر في البلاغة يتعلّق بصورة موجزة للغاية باستعمال واعٍ وهادف ومعلّل لمعارف جمهور المستمعين وآرائهم ورغباتهم من خلال سمات نصّية خاصة، أو الطريقة التيّ يتحقّق من خلالها هذا النّص في الموقف الاتصالي[01].

وتتضمن البلاغة أجناسا علمية تستخدم في إنتاج النّص، والتي بمساعدتها يمكن إدراك أسرار الخطاب، ونشأته وظروفه، وهي عوامل تقوم بدور مهمّ في مساعدة القارئ، وفيها يتعدى مجرّد تأثير الحديث على الجماهير[02].

وقد عنيت بمسائل تتعلّق بإنتاج النّص وبنيته العامّة، وفي هذا الشأن يقول "فان ديك Van Dijk": «والحق أنّه من أجل هذا التفاعل الإقناعي الاتصالي قد أوليت بنية النّص نفسه عناية خاصة بل إنّ الجوانب الأخرى للقضية (العملية) الكليّة قد روعيت أيضا. على سبيل المثال مراحل محدّدة في أثناء العثور على الفكرة (التيمة) المناسبة Invention. واختيار موضوعات محدّدة وتنظيمها داخل بناء التيمة Disposition، وبناء (أسلوب ... إلخ) المنطوق ذاته Elocution والطريقة التي يعرض من خلالهاPrononciation، والاستراتيجيات والأبنية الإدراكية في الذاكرة Mémoire (مع الكلام المحفوظ)» [03].

لقد كانت عمليات إنتاج الخطبة عند أرسطو خمس، هي، حسب ما استخلصها "رولان بارت Roland Barthes":

1- **الإيجاد**: إعداد الأفكار.
2- **الترتيب**: ترتيب الأفكار وتوزيعها على مدار الخطبة.
3- **العبارة**: الصياغة اللفظية البليغة (وجوه الزخرفة والتحسين).

---

[01] ينظر: فان ديك، علم النّص، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص182، 183.
[02] ينظر: رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص50.
[03] فان ديك، علم النّص، ص186.

4- **الإيماء:** استخدام الحركات والإشارات (مسرحة القول).

5- **الذاكرة:** الحفظ والاسترجاع[01].

كما عدّ أرسطو مكونات النّص (الخطبة) أربعة ترتب على النحو التالي:

1. الاستهلال.
2. السرد أو العرض.
3. الإثبات أو البرهنة.
4. الخاتمة[02].

وأشاد بعض الأسلوبيين بالإنجازات البلاغية في وصف النّصوص، وتحديد وظائفها الكثيرة ممَّا شجَّع بعضهم على عدِّ البلاغة – بوجه من الوجوه – نظريَّة النّص[03].

أمَّا البلاغة الحديثة، فأسهمت بحديثها عن بعض الصيغ النحوية للتشبيه والاستعارة في توجيه النظر إلى العلاقات الداخلية للنَّص، ومن ذلك العلاقة بين الجملة والجملة التابعة لها؛ أي تلك التي تحتوي على المشبه، وتلك التي تحتوي على المشبه به، ووظيفة أداة التشبيه، كلمة كانت، أو حرفا، أو تركيبا، في ربط الجملتين[04].

وثَّمة روافد أخرى، غير البلاغة، أسهمت في توجيه النظر إلى قواعد تركيب النّص. فإلى جانب البلاغيين من قدماء ومحدثين، أدلى الأنثروبولوجيون بدلائلهم في هذا السياق.من هؤلاء "مالينوفسكي Malinovsky" و"فلاديمير بروب Propp Vladimir" و"كلود ليفي ستراوس Levi-Strauss Claude" وأتباعه. فقد تميَّزت دراسات الأنثروبولوجيين بالإفادة من علم اللّغة البنيوي في تحليل النماذج والأنماط السائدة في الأدب الشعبي والأسطوري لإيجاد ما أصبح معروفا

---

(01) ينظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب, 1994، ص48.

(02) ينظر: أرسطو، الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1959، ص229.

(03) ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مصر ، 1996، ص256.

(04) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص128.

بـــ "البنى"، وتفكيك الرموز لإلقاء الضوء على الأسس المؤثّرة في قدرة الناطقين بلغة من اللّغات على تأليف النصوص، واستعمالها للاتصال بين أشخاص[01]. فهذه الحقول المعرفية أغنت المحاولات الكثيرة الرامية لإيجاد علم خاص بالنَّص وكشفت عن معايير تميُّزه عن اللاَّنص[02].

إنَّ للأجناس البلاغية قيمة منهجية، سواء في نظرية النَّص أو نظرية الأسلوب القائمة على النظرية الاتصالية، ولا يعنى هنا بما تحدثه من أثر جمالي فحسب، بل بما تسهم به في تشكيل مضمون النَّص ودلالاته المتنوّعة والتداعيات في أذهان المتلقين. وهكذا يفصل الهدف من معالجة النَّص بين الدارس اللُّغوي والدارس البلاغي، وإن كان هذا الأخير يتبنى في العصر الحديث مناهج لغوية، ممّا زاد من صعوبة الفصل بينهما عند محاولة تتبُّع تطوُّر البحث النّصي، بل يرى بعض الباحثين أنَّ الأمر لم يعد فيه اختيار، بل يحتِّم التوجُّه إلى هذا النهج[03].

ليس من المصادفة – إذن- أن يكون بين مؤلفات علم لغة النَّص بحوث بلاغية وأسلوبية إلى حد أنَّه في سلسلة بعنوان "نظرية نصيّة تداولية" تظهر ترجمة جديدة لكتاب "البلاغة" "لأرسطو Aristote" بل إنَّه نقطة التقاء بحوث التواصل والسيمياء العامَّة وعلم الأدب ونظرية الفعل ونظرية الحدث الكلامي، وغير ذلك من الاتجاهات المتباينة بشكل واضح، على الأقل من الناحيـــة الشكلية، ويقابل ذلك مجموعة من علماء اللّغة الذين يرفضون ذلك الخليط، ويركّزون على ما هو لغوي خالص[04].

ولفقه اللّغة، هو الآخر، مساعيه الخيِّرة في البحث عن قواعد لعلم النّص. وأشهر من سعى للكشف عن الروابط بين دراسة النحو، ودراسة المعنى، من الفيلولوجيين هو "هنري فايل Henry Weil" الذي طوَّر لغويو براغ Prague آراءه، بتركيزهم على المنظور الوظيفي Perspective للجملة، وهو منظور حثَّهم على ملاحظة الصلة بين جملتين أو أكثر[05].

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص128.

[02] ينظر: نفسه، ص129.

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النَّص: المفاهيم والاتجاهات، ص11.

[04] ينظر: نفسه، ص17.

[05] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص129.

تختلف اللّسانيات بمفهومها الحديث عن علم النصوص، وكثيرا ما يحدث خلط بين مجالي العلمين، فعلم النصوص هو ما يطلق عليه في اللغات الأوربية اسم الفيلولوجيا Philologie[01] وقد تحدّد مجاله الفيلولوجي بمعناه الدقيق بتحقيق المخطوطات وإعدادها للنشر العلمي، وفك رموز الكتابات القديمة، وكلُّ ما يتعلّق بتقديم النصوص والنقوش القديمة على نحو يمكِّن من القيام بأبحاث متخصصة فيها؛ إذ ارتبط البحث اللّغوي الحديث في طور نشأته في القرن التاسع عشر بالبحث في النصوص والنقوش القديمة. وأدى هذا الهدف التاريخي إلى الاهتمام بالنصوص القديمة، وإلى النظر في المراحل التاريخية باعتبارها انعكاسا للماضي وامتدادا له[02].

فتحقيق ديوان من الدواوين المخطوطة يعتبر عملا فيلولوجيا يفيد البحث في اللّغة، كما يفيد البحث في الأدب، ولكنَّه لا يدخل في مجال اللّسانيات، فالدراسة اللّغوية للديوان تعني دراسة النّص من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية؛ أي من الجوانب التي تعارف العلماء على جعلها مجال البحث في علم اللّغة[03].

فثمّة اتجاهات مختلفة في تفسير النّص، وتحليل مفاهيمه وأبعاده التيّ ينطوي عليها تنطلق من واقع ما يدور في الحياة الاجتماعية التيّ يصورها هذا النَّص، ويعالج قضاياها ومشكلاتها، لذلك فإنَّ الدراسات اللّغوية التيّ تتعرض للعديد من الموضوعات اللّغوية لا تستطيع أن تبتعد عن واقعها، فتتعرض لها بالتحليل والمقارنة والموازنة والتقويم ، وتعرف بالدراسات الخارجية للنَّص،« ومع أنَّ الدراسة الخارجية قد تسعى إلى تفسير النَّص في ضوء سياقه الاجتماعي وإرهاصاته، فإنَّها تعدو في معظم الحالات شرحا – تحليلا- يتصدى لتعليل الأدب وشرحه، وأخيرا لإرجاعه إلى أصوله»[04].

---

[01] يعود اشتقاق هذه الكلمة إلى كلمتين يونانيتين: Philos وتعني "حب " و Logos وتعني "كلمة" أو "دراسة" وقد استخدمت الكلمة في نجليزية ابتداء من القرن الرابع عشر بمعنى دراسة التراث القديم.

[02] ينظر: محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربية –مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللّغات السامية- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992، ص32.

[03] ينظر: نفسه، ص34، 35.

[04] رينيه ويليك، أوستين وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص75.

غير أنَّ الدراسة الخارجية في سعيها إلى تفسير النصوص الأدبية في ضوء سياقها الاجتماعي والتاريخي تقع عادة في شراك الشرح التعليلي، أو بالأحرى شرح الأصول التي انبثق عنها هذا الأدب وتقف حائرة أمام وصف الأثر الأدبي بالذات، وتحليل بنياته، وتقييم مدلولاته. ولا شك أنَّ التاريخ كلّه وعوامل المحيط كلّها تجتمع لتصوغ الأثر الأدبي[01]، وكذا المحددات الاجتماعية والإيديولوجية والنفسيّة (السيكولوجية) التي تتحكّم في إنتاج النَّص، زيادة على ذلك الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تتبلور في مفهوم السياق. ونلفي محمَّد خطابي يقول في هذا الشأن: « إنَّ للسياق دورا فعّالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه»[02].

وقد أخذت هذه الدراسات اسم النظريات السياقية Contextualisms، والتي تنهض على« أنَّ سياق العمل الفنّي يشمل الظروف التي ظهر فيها العمل، وتأثيراته في المجتمع، فالعلاقة بين المجتمع والعمل الأدبي أو الفني علاقة تأثير وتأثر متبادلين من خلال عمليات جدل، لا يتوقف ذلك أنَّ سياق العمل يشمل بوجه عام جميع العلاقات المتبادلة بين العمل والأشياء الأخرى باستثناء حياته الجمالية؛ لأنَّ الإدراك الجمالي يتركّز على العمل في حدّ ذاته، بصرف النظر عن أيَّة اعتبارات أخرى»[03].

وهكذا نجد فريقا من الدارسين يعتبر الأدب صورة مسقطة عن نتاج الفرد الخالق، ومن ثمَّ يستنتج أنَّ تحليل النصوص يجب أن يرتكز على سيرة الكاتب ونفسيته، كما نلفي فريقا آخر يحلّل النصّوص الأدبية في ضوء العوامل الرئيسية المحدّدة للإبداع الفنّي كالاقتصاد والاجتماع والسياسة، ونرى فريقا ثالثا يحلّل النصوص الأدبية من خلال علاقتها بالابتكارات الجماعية للعقل البشري كتاريخ الأفكار واللاهوت والفنون[04].

---

[01] ينظر: موريس أبو ناظر، الألسنية والنقد الأدبي – في النظرية والممارسة – ص05.

[02] محمّد خطابي، لسانيات النَّص – مدخل إلى انسجام الخطاب– ص56.

[03] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص338.

[04] ينظر: موريس أبو ناظر، الألسنية والنقد الأدبي – في النظرية والممارسة – ص05، 06.

2- مقومات النّص في التصوّر التقليدي:

ساد الاعتقاد بأنّ النّص ينهض على أساس المقومات التالية:

أ- الانغلاق: ويظهر ذلك انطلاقا من أنّ له بداية ونهاية، ومعنى ذلك أنّه مكتمل ومنته ومنغلق على ذاته.

ب- الأحادية: وتتجلى على مستويات عدّة، أهمّها الدلالة؛ والمراد بذلك أنّ هناك دلالة محدّدة، والقارئ الجيّد (المثالي) هو الذّي يمسك بها، لذلك أجهدت النظريات القديمة نفسها في تعيين هذه الدلالة ومنبعها، وكان التنافس بين النظريات أيّها أولى وأقدر على الكشف عنها: أهي في المجتمع؟ أم في النفس؟ أم في الشكل؟ أم في المحتوى؟[01]

ج- الكاتب هو صاحب النّص: وله سلطة عليا عليه، وما على القارئ سوى البحث عن الدلالة الكامنة في "وعي" أو "لاوعي" الكاتب كالتيّ يقدّمها بطريقته الخاصّة، ويعتبر الكاتب تبعا لذلك المالك لحقيقة النّص. وحسب هذه المواصفات تبدو لنا سلطة الكاتب قويّة، فهو متعال عليه، وهو صاحبه. أمّا المتلقي فليس سوى مستهلك عليه الوصول إلى الدّلالة المتوارية وراء النّص[02].

ويبدو لنا إلى جانب هذا بجلاء البعد الخطّي للنّص؛ لأنّ انغلاقه يعني أنّه كتلة متراصة (بداية-نهاية) ولكي ينجح القارئ في تأويله التأويل المناسب عليه أن يتقدّم في قراءته خطياً للوصول إلى الحقيقة التيّ يختزنها. كلّ هذه المواصفات التيّ كان بمقتضاها يتمّ التعامل مع النّص تبيّن لنا بجلاء "السلطة" التيّ كانت للكاتب وللنّص، فكلاهما متعال على القارئ ومنغلق على ما عداه. وهذا التصوّر هو الذّي جعل البحث عن المعنى غاية الغايات، ولذلك كانت مختلف الاتجاهات اللّغوية التيّ تعاملت معه تهتم أساسا بما يساعد على الإمساك به من خلال الانطلاق من المؤلف تارة أو من العصر الذي ينتمي إليه تارة أخرى أو من السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه.

---

[01] ينظر: سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط –مفاهيم ، أشكال، تجليات- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت، المجلد 32، العدد2، أكتوبر، ديسمبر، 2003، ص75.

[02] ينظر: نفسه، ص77.

وكان ذلك ابتداء من القرن التاسع عشر وتجلّت قمّة هذا الانشغال مع علم النّفس الأدبي أو السّوسيولوجيا الأدبية[01].

هذه الدّراسات قدّمت بعض الأفكار النصّية الجوهرية؛ ولكنّها كانت متناثرة ومحدودة بشكل لا يسمح بتتابعها بدقّة[02].

3- ماهية المناهج الحديثة في دراسة النّصّ:

المنهج (Méthode)[03]، بمعناه الدّقيق يقصد به الطّريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة مجموعة من القوانين العامّة تُهَيْمِنُ على سير العقل، وتحدّد عملياته حتّى يصل إلى نتيجة، أو هو فنّ التّنظيم الصّحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين[04].

وقد ألفينا الفيلسوف "إيمانويل كانط Emmanuel Kant" قد استخدم كلمة علم المناهج (La méthodologie)، في تقسيمه المنطق إلى قسمين أساسيين هما:

أولاً: مذهب المبادئ؛ وهو الذّي يبحث في الشّروط والطرق الصّحيحة للحصول على المعرفة.

ثانياً: علم المناهج الذّي يهتم بتحديد الشّكل العام لكلّ علم، وبتحديد الطّريقة التّي يتشكّل ويتكوّن بها أيّ علم من العلوم[05].

نستشف من هذا أنّ علم المناهج هو العلم الباحث في مناهج البحث العلمي، والطرق العلمية التّي يكتشفها ويستخدمها العلماء والباحثون من أجل الوصول إلى الحقيقة. وقد عرف هذا الحقل

---

[01] ينظر: سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم ، أشكال، تجليات- ص77.

[02] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص18.

[03] إنّ كلمة منهج (méthode) مشتقة من اللاتينية، وكانت تعني عند أفلاطون معاني: البحث والنظر والمعرفة، ثمّ أخذت معناها الاصطلاحي الدقيق مع بداية القرن السابع عشر، حيث أصبحت تعني: طائفة من القواعد المصاغة منهجيا للوصول إلى الحقيقة في العلم.

[04] ينظر: عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977، ص04.

[05] ينظر: نفسه، ص07.

نضجا علميا على يد العديد من الفلاسفة والعلماء المختصين أمثال: " إيمانويل كانط Emmanuel Kant"، و"دوركايم Durkheim"، و"هيجل Hegel"...

4- المناهج السياقية الكلاسيكية:

إنَّ تبني الدارس منهجا معيَّنا في البحث العلمي يجعله ينطلق من الفروض والملاحظات والتجارب والنظريات، وصولا إلى القوانين العقلية المتَّسمة بالنظامية والعلمية، فتغدو نتائجه أكثر دقّة وموضوعية، بعيدا عن المصادفات والأنشطة الارتجالية؛ إذ لابدَّ لكلّ باحث من منهج في دراسته الظاهرة العلمية، مهما كانت طبيعتها: أدبية، أو طبيَّة أو فيزيائية أو غير ذلك، وصولا إلى المعرفة اليقينية المجرّدة عن الذاتية والعفوية. ومن هنا تكمن أهميّة المنهج في الدراسات العلمية وبخاصة الاجتماعية منها[01]. ذلك أنَّ ظواهرها جدُّ معقّدة، كما أنَّ مفاهيمها ومصطلحاتها مرنة ومطاطية، في حين تتّسم المصطلحات والمفاهيم العلمية المستعملة في مجالات العلوم الطبيعية والطبيَّة بالثبات والجمود والصلابة، الأمر الذي يكسبها ميزات وخصائص الدّقة والوضوح في الدلالات العلمية التّي يتطلبها المنهج العلمي الصحيح. إضافة إلى صعوبة الوصول إلى قوانين اجتماعية ثابتة لشّدة تغيُّر الظواهر السوسيولوجية باستمرار.

لكن كلّ هذه العراقيل لم تمنع من أن تكون الظاهرة الاجتماعية ظاهرة علمية تخضع لقوانين المنهج العلمي المطبّق في العلوم التجريبية، ويمثِّل "دوركايم Durkheim" أشهر العلماء الذين دافعوا عن علمية العلوم الاجتماعية، وبرهنوا على إمكانية البحث في الظواهر الاجتماعية بالدراسة العلمية وذلك في كتابه: "قواعد المنهج في علم الاجتماع".

من هذا المنطلق يمكننا التعرُّف على أهمّ النتائج المطبَّقة في النَّص ما قبل البنيوي، وهي السياقية الخارجية يمثّلها المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي، وكلُّها مناهج لا تنطلق في دراستها من النَّص بقدر ما تدرس وتحلّل العوامل الخارجية المساهمة في تشكيله كإبداع أدبي خاص.

[01] يطلق عليها اصطلاح العلوم السلوكية: كعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، وعلم النفس ...

أ- المنهج التّاريخي:

يعتبر أوّل المناهج وأقدمها في دراسة النّصّ دراسة منهجية، ويقوم على أساس تتبعه تتبعاً تاريخياً في رحلته الطّويلة عبر التّاريخ. ويعتمد على مبدأ الشّرح والتّفسير متعقبا تطوّر الظّواهر الأدبية من عصـــر لآخر، رابطا الأحـــداث بالزّمن، مقسّماً الأدب إلى عصور، واصفا كلّ أدب في إطار علاقته بالصّفة الغالبة للعصر. وهو لا يكتفي بالنّظر إلى مؤلّف واحد من مؤلّفات الأديب، كما أنّه يهتم بالشّخصية، وبتكوينها الثّقافي وبيئته السّياسية والاجتماعية.

فالتّاريخية تهتم بدراسة الأديب (حياته ونفسيته)، كما تدرس الأوضاع الاقتصادية والسّياسية في حياة الإنسان وعلاقته بالإبداع. ولعلَّ الفلسفة الجدلية (Dialectic) عند "هيجل Hegel" (الفلسفة الماركسية) تمثّل وجها من أوجه الاهتمام بالتّاريخ (التّاريخ حتمية لابدَّ منها)، وقد أكَّد زعيم النّظرية الماركسية "جورج لوكاتش George Lucas"[01] تاريخية الأجناس الأدبية، بينما حاولت الواقعية الأدبية في منتصف الخمسينات التّخفيف من اهتماماتها بالمنهج التّاريخي حين ربطت بين المبدع والواقع، يمثّل هذا الاتجاه كلّ من "هيمبوليت تين Humboldt Taine" و"غوستاف لانسون Gustave Lanson".

لقد حاول "هيمبوليت تين Humboldt Taine" أن يؤسّس لعلم النَّصّ الأدبي، حـــين راح يطبّـــِق منهـــج دراســـة النّبـــات على الأدب، بالتّركيز على عناصر ثلاثة فيه، وهي ما أطلق عليه مصطلحات:

1. الجنس (La race)
2. البيئة (Le milieu)
3. الفترة (Le moment)

لكنَّ هذه الدّراسة أو النّظرية انتقدت من قبل "غوستاف لانسون Gustave Lanson " كونه رأى أنَّ منهج "هيمبوليت تين Humboldt Taine" لا يفرِّق بين طبيعة الأدب وطبيعة العلم

[01] ينظر: محمّد الباردي، في نظرية الأدب، تقديم فتحي التريكي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط)، 1996، ص21.

واقترح منهجا علميا يتكوَّن من تسع نقاط يعتبرها كفيلة بدراسة موضوعية للنَّص نلخصها فيما يلي:

1. صحة نسبة النَّص إلى صاحبه.
2. سلامة النَّص من الحذف أو الإضافة أو التغيير.
3. تاريخ تأليفه.
4. طبعاته.
5. تكوينه من أوّل مسوَّدة إلى غاية خروجه إلى النَّاس.
6. تراكيبه وألفاظه ومعانيه الحرفية.
7. المعنى الأدبي وما ينطوي عليه من قيم عقلية وعاطفية وفنيّة.
8. دوافع تأليفه النفسية والاجتماعية.
9. تلقي الجمهور للنَّص الأدبي[01].

من خلال هذه الأسس المعيارية، نلاحظ مدى حرص "غوستاف لانسون Gustave Lançon" على تاريخية النَّص، فلا تعدو أن تكون نظريته تاريخية، يدَّعي أنَّه طبَّق المنهج العلمي ولكنَّه في حقيقة الأمر هو منهج المؤرخين، وبالتالي فإنَّ منهجه لا يختلف عن المناهج السابقة في دراسة النَّص الأدبي بأدوات وضعت أصلا لتفسير ظواهر غير أدبية. وفي بداية القرن العشرين تبلور المنهج التاريخي في الأوساط العلمية، متّجهاً إلى نوع آخر من المناهج عرف بالمنهج الاجتماعي.

ب- المنهج الاجتماعي:

من المناهج الحديثة التي ظهرت مع ظهور علم الاجتماع بنظرياته واتجاهاته، ولقد انبثق تقريبا في حضن المنهج التاريخي، وتولَّد عنه واستقى منطلقاته الأولى منه خاصة عند هؤلاء

[01] ينظر: محمّد الساري، علم النَّص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللّغة والأدب العربي، الجزائر، العدد 12، 1997، ص42.

المفكرين و الأدباء الذّين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب، وارتباطها بتطوّر المجتمعات المختلفة وتحوّلاتها، طبقا لاختلاف البيئات والظّروف والعصور.

لقد أسفر كلّ ذلك عن توجه عام للربط بين النّصّ والمجتمع، انطلاقا من فكرة تمثيل النّصّ للحياة على المستوى الجماعي، وليس على المستوى الفردي، بمعنى أنَّه كلَّما اعتبرنا النصّوص تعبيرا عن الواقع الخارجي، كان ذلك مدخلا لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته وتحوّلاته، باعتبار هذا المجتمع المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنيّة.

وتعدُّ نظرية الانعكاس – التيّ طوَّرتها الواقعية- واحدة من الإسهامات في تعزيز هذا التّوجه الاجتماعي لدراسة النّصّ، وأنَّه كلَّما ازدهر المجتمع في نظمه السّياسية والاقتصادية والثّقافية نشب نوع من التّوقع بأنَّ هذا لابدَّ أن يصحبه ازدهار أدبي، بيد أنَّ مراجعة تاريخ الآداب والمجتمعات أثبتت عدم صحة هذا التّلازم الحتمي.

ولعلَّ كتاب زعيم المدرسة الفرنسية "سكاربيه Escarpih" في علم الاجتماع يبرز ملامح المنهج الاجتماعي باعتبار الأدب ظاهرة إنتاجية ترتبط في آلياتها وقواعدها بقوانين المجتمع كما أكّدت المدرسة الجدلية بزعامة "هيجل Hegel" على علائقية البنى التّحتية، والبنى الفوقية في الإنتاج الأدبي، وهذه العلاقة متبادلة ومتفاعلة ممّا يجعلها علاقة جدلية[01].

ويمثّل "جورج لوكاتش George Lucas" هذا الاتجاه؛ إذ درس وحلّل العلاقة بين الأدب والمجتمع باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة، وقدَّم بعض الدّراسات الأخرى التيّ تعدُّ إسهاما مبكرا في نوع آخر من الدّراسات السّوسيولوجية للآداب، وهو ما يسمَّى بسوسيولوجيا الأجناس الأدبية، وهي في مجملها تربط بين نشأة الجنس الأدبي وازدهاره، وبين طبيعة الحياة الاجتماعية والثّقافية لمجتمع من المجتمعات[02].

---

[01] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان – الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص47.

[02] ينظر: نفسه، ص48.

كما يعدُّ "لوسيان جولدمان Goldman Lucien" أحد المنظرين السوسيولوجيين، انطلق من مبادئ "جورج لوكاتش George Loukatch"، وطوَّرها في اتجاه تبناه تحت اسم: علم اجتماع الإبداع الأدبي، ضمّنه مجموعة من الأسس أهمُّها:

1. إنَّ الأديب، وإن كان فردا خلاَّقا، يُختزل فيه ضمير الجماعة، وبالتالي فالأعمال الأدبية لا تعبِّر عن الأفراد، وإنَّما تعبِّر عن الوعي الاجتماعي.
2. إنَّ الأعمال الأدبية ذاتها تتميَّز بأبنية دلالية كليَّة، فقراءتنا للأعمال الأدبية تجعلنا ننحو إلى إقامة بنية دلالية كبرى تتعدَّل باستمرار كلَّما عبرنا من جزء إلى آخر في العمل الإبداعي، وعند انتهائنا من فعل القراءة تتكوَّن لنا صورة عن بنيته الدلالية الكليَّة[01].

إنَّ نقطة الاتصال بين البنية الدلالية والوعي الجماعي الطبقي هي أهمُّ الحلقات عند "لوسيان جولدمان Goldman Lucien"، فكلّ عمل أدبي يتضمّن رؤية للعالم، ليس العمل الأدبي المنفرد فحسب، لكن الإنتاج الكلّي للأديب، ولعصر معيَّن، وعن طريق رؤية العالم يمكننا أن نرى بشكل صافٍ كيفية تبلور العلاقة الخلاّقة بين الأعمال الأدبية من ناحية والوقائع الاجتماعية الخارجية من ناحية ثانية، انطلاقا من هذا المفهوم التأسيسي تبلور مفهوم "لوسيان جولدمان Goldman Lucien" التوليدي، أو ما اصطلح عليه بالمنهج التكويني[02].

ج- المنهج النفسي:

ظهر هذا المنهج بتقدُّم الدراسات النفسية في القرن التاسع عشر، بصدور مؤلفات "فرويد Freud" في التحليل النفسي، وتأسيسه لعلم النفس. استعان بهذا التأسيس في دراسة ظواهر الإبداع في النّص والفنّ وعلاقتها بالحالات النفسية، بغية معرفة النفس المجهولة، وما تنطوي عليه من غرائـــز وعواطف ومكبوتات تترك آثارها في تصرفـــات الإنسان وسلوكـــه. وبما أنّ النّص هو تعبير عن هذه النفس بكلِّ مكوِّناتها ومكبوتاتها، كان من الطبيعي أن تبدو أهميّة الدراسات النفسية في فهمه.

---

[01] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص47.

[02] ينظر: نفسه، ص48.

كانت النقطة التي انطلق منها "فرويد Freud" تتمثّل في تمييزه بين الشعور واللاّشعور بين الوعي واللاّوعي، حيث اعتبر اللاّشعور هو المخزن الخلفي الخفيّ للشخصية الإنسانية، واعتباره متضمنا للعوامل الفعّالة في السلوك وفي الإبداع[01].

اعتبر "فرويد Freud" « الأدب تعبيرا عن اللاّوعي الفردي، فيه تظهر تفاعلات الذات وصراعاتها الداخلية، حتَّى أنَّه سمَّى بعض العقد النفسية بأسماء شخصيات أدبية كعقدة أوديب وعقد ألكترا، نتيجة اطلاعه على المؤلف الأدبي الكلاسيكي "أوديب"»[02].

وقد ربط "فرويد Freud" في دراسته النفسية النّص بالظواهر المرضية كالعصاب وانفصام الشخصية، معتبرا المبدع حالة من حالات الشذوذ؛ بل إنَّ عمله يفسِّر سلوكه ودوافعه في الكتابة الأدبية.

تطوّرت المدرسة النفسية بعد "فرويد Freud "، فظهرت مدرسة "يونغ Young" في علم النفس الجماعي، ومدرسة "أدلر Adler" الرمزية التي عملت على وصل الأحلام مع الرموز الأدبية بشكل دقيق، ليأخذ المنهج النفسي أبعاده الدقيقة مع "جان بياجيه Jean Piaget"، الذي ركّز اهتمامه بعلم نفس الطفولة، وبكيفية تكوُّن اللّغة عند الأطفال، ولكن العالم النفساني الفرنسي "جاك لاكان Jacques Lacan" كان المؤسّس الفعلي لعلم النفس البنيوي، حيث ربط بين اللّغة وعلم النفس والنّص ، اشتهر من خلالها بمقولة مفادها أنَّ اللاّشعور مبني بطريقة لغوية، بمعنى أنَّ البنية التي تحكم اللاّوعي هي بنية لغوية في جلِّها تعتمد على التداعي، وغيرها من قوانين اللّغة التي أسّسها "فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure".

---

[01] ينظر: خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1982, ص18.

[02] أحمد أوزي، التحليل النفسي والأدب القصصي، مجلة الثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، البحرين، العدد 2، 2002, ص57.

إنّ هذه المناهج السياقية لا تبحث في جمالية النّص ولا دلالته، خاصة النّص الشعري إذ: « أنّه لم يكن نقدا للشعر في ذاته، بقدر ما كان نقدا له في علاقته الوظيفة الاجتماعية – الأخلاقية– فقد كان الوعي النقدي الشعري وعيا وظيفيا أكثر ممّا كان وعيا شعريا »[01].

كانت هذه أهمّ المناهج السياقية في دراسة النَّص، والتي تنطلق من خارجه بغية الكشف عن العوامل الخارجية التي شكّلت العمل الأدبي، لا دراسة النَّص ذاته، ولا يعني هذا أنَّها تهمل الإنتاج الفنِّي الأدبي، وإنَّما تجعله الهدف الثاني بعد معرفة العناصر المحيطة بالنَّص في حدِّ ذاته لكأنَّها تزاوج بين ما هو خارجي وما هو داخلي، لكنَّها تعطي للأوَّل منهما النصيب الأكبر من الاهتمام لذلك وسمت بالسياقية.

والواقع أنّ الذين طبّقوا مفهومات علم النفس، والبيولوجيا، في دراسة الصلة بين العمل الأدبي، وصاحبه (المتكلّم) قد انهمكوا في الانشغال بتشريح كاتب النّص، بدلاً من أن ينهمكوا في تشريح النّص ذاته[02].

لقد حدثت في مطلع القرن العشرين ردَّات فعل على هذه المناهج تجلّت في التحريض على دراسة النّص من الداخل والتركيز أوّلاً وقبل كلّ شيء على الآثار الأدبية. وذهب دعاة الأدب من الداخل إلى أنَّ المناهج القديمة أصبحت بالية، ولابدّ من إعادة النظر فيها في ضوء العلوم الحديثة وخاصة اللّسانيات العامَّة[03]. باعتبارها الدراسة العلمية والموضوعية للّسان البشري عبر الحقب الزمنية المختلفة؛ أي دراسة الظواهر اللّغوية والصرفية والنحوية والدلالية وكذا مناهج البحث في اللّغة.

---

[01] أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص60.

[02] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص101.

[03] ينظر: موريس أبو ناظر، الألسنية والنقد الأدبي – في النظرية والممارسة – ص07.

5- النّص مدخل تمهيدي:

غلب على الدراسات اللّغوية المنظوران التاريخي التطوري والمقارن، فالأوّل اعتنى بالمتغيّرات التي تلحق اللّغة بكلّ ما يعنيه ذلك من جزئية وتقطيع تاريخي لمسار لغة ما، وأمّا المنظور المقارن والذي تولّد عن اكتشافات السنسكريتية فركّز على الملاحظات النحوية والصرفية بعيدا عن نظام اشتغال اللّغات ذاتها وتعالق المستويات داخل بنية كلّ لغة على حدة، واكتفى بملاحظة أوجه القرابة أو الاختلاف على مستوى السطح، إلى غاية مجيء "دي سوسير De Saussure"[01] « الذي درس علم اللّغة العام، ونبغ فيه حتى اعتبره بعضهم رائد الدراسات اللّغوية في عصره، وزعيم المدرسة اللّغوية الوصفية، ومؤسّس الاتجاه البنيوي في أوربا، وأوّل لغوي تجرأ على القيام بدرس في علم اللّغة العام»[02].

وعلى هذا الأساس لا يمكن ونحن نحاول الوقوف على جملة المفاهيم والتحديدات التي وضعت لمصطلح "النّص" تخطي أو تجاهل إسهامات أب اللّسانيات الحديثة "فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure" فقد كان مدرسة قائمة بذاتها؛ إذ شكّلت ألسنيته نقلة نوعية بالنسبة إلى الحقول المعرفية الأخرى ومحورا أساسيا ونموذجا علميا في بناء صدح العلوم اللّغوية والأدبية، ولا شك أنّ الالتفات إلى بعض أفكاره يعدُّ – في رأينا- من الأساسيات التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ إذ أمدَّ النظريات والبحوث في مجال علم النصوص بالكثير من التصوّرات والأفكار والمفاهيم والمعطيات، وكذا المبادئ الأساسية التي تقوم عليها نظرية النّص؛ هذه الأخيرة تسعى إلى ضبط قواعد النّص وصنع معاييره ووصف نظامه اللّغوي وتحديد بنياته وتحليله وتقييم مدلولاته.

---

[01] ينظر: جمال حضري، اللّسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، مجلة المبرّز، بوزريعة، الجزائر، 5-6 فيفري، 2002 , ص176.

[02] أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص160.

6- أسس الفكر اللّغوي عند دي سوسير:

إنَّ الدراسات اللّسانية التي عقبت اللّسانيات التاريخية لم تحقّق مجدها و لم تصب هدفها فلا ينكر هذا باحث مبتدئ في ميدان اللّسانيات ، ولكن كلّ مرحلة و ما تتميّز به من عقليات و ذهنيات ومناخات، و ما من شك في أنَّ عقليات لسانيي القرن التاسع عشر لم تعد لها حتى الآن عقليات لسانية في القرن العشرين، ألم يكن "سوسير Saussure" أو "أنطوان ماييه Meillet Antoine"، أو "بودوان دي كورتناي Boudoin de Coartenay" أو "جسبرسن Jespersen" إلاَّ واحدا من الأبناء البررة للقرن التاسع عشر ؟[01]

فالموروث التقليدي بما هو عليه من إيجابيات وسلبيات أثار المساءلة في نفس "سوسير Saussure"، أمام ملامسته وضعية من النقص المنهجي والإجرائي والمصطلحي والمفهومي[02].

لقد حصلت الدراسة اللّغوية على الشرعية العلمية في القرن العشرين بفضل "دي سوسير De Saussure" الذي جدَّد مناهج البحث في معالجة اللّغة وتحليلها، و كرَّس حياته القصيرة لمجموعة من المبادئ أسَّست مدرسة لسانية قائمة بذاتها، شقَّ خطوة علمية في اللّسانيات لها مفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها الخاصّة، وباتت نموذجا رائدا في العلوم الإنسانية تصارع العلوم الدقيقة في علميتها ونتائجها الخاضعة للمنهج العلمي فكان لها الأثر البيِّن في العلماء الذين عاشوا في عصره وفي المدارس اللّسانية التي تأسّست بعده، فغدت علما واصفا ومحلِّلا للظاهرة وليست مادة معيارية[03]. وقد كان لدي "سوسير De Saussure" تأثير عظيم، لا يدانيه تأثير في تكوين وبلورة وتطوير نظرية علم اللّغة الحديث[04].

---

[01] ينظر: عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للّسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه، الجزائر، 2005، ص أ.

[02] ينظر: بلمليايي بن عمر، تراث ابن جني اللّغوي والدرس اللّساني الحديث – دي سوسير نموذجا- ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ديسمبر 2006، ص74.

[03] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران, 2005، ص96 .

[04] ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب – بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص09.

ولقد صاغ مجموعة من الآراء تجلّت في تصنيفه لثنائيات ظلّت تتردد على ألسنة البـــاحثين والدارسين وفي المدارس اللّسانية الحديثة بصيَّغ مختلفة وأشكال متنوّعة، وهذه الثنائيات ســـهَّلت وضبطت العملية الوصفية الاستقرائية للظاهرة اللّغوية[01].

7- الثنائيات السوسيرية:

وممَّا لا شك فيه أنَّ كتاب "دي سوسير " De Saussure " "محاضـــرات في اللّـــسانيات العامَّة" قد بلغ قيمة علمية كبيرة لا تضاهيها أيَّة قيمة أخـــرى في اللّـــسانيات الحديثـــة قبـــل هذا العصر، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين، والابتعاد بها كليّاً عن مناهج اللّسانيات التاريخية. ومن الأمور التي اشتهر بها استخدامه لظاهرة ملفتة للانتباه تمثّلت فيما يسمى بالثنائيات (Dichotomies) ومن الممكن جدًّا أن يكون هذا الرجل قد تأثَّر بالنظرية الكلاسيكية القـــائلة بأنَّ ثمَّة وجهـــان مختلفان لكلّ شيء في هذا الكون كلاهما يكمِّل الآخر، وقد ظهـــرت هذه الفكرة من قبل عند "أرسطو Aristote" "وديكارت Descartes" واستعملها "دي سوسير De Saussure " من جديد في شكل دعائم مزدوجة أو تفرعات ثنائية[02].

وقد تناولهـــا « سوســـير Saussure في كتابـــه "محاضـــرات في اللّـــسانيات العامَّـــة" "Cours de linguistique générale" عندما كان في لحظة التقـــنين لعلـــم لغـــوي جديـــد ألا وهو اللّسانيات بعد مرحلة الفيلولوجيا وفلسفة اللّغة»[03].

---

[01] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة – ص08.

[02] ينظر: أحمد مومن، اللّسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005 , ص121.

[03] جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الخامس والعشرون, العدد الثالث، يناير/مارس، 1998، ص81.

وبناء على هذه الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللّغوية، شكّلت اللّسانيات العامّة محورا أساسيا وتحوّلا معرفيا أدّت إلى تأسيس الوعي المنهجي في الثقافة الغربية وتوهج الفكر الأوربي بكلّ تجلياته المتنوّعة.

ولم يكن ولوع "سوسير Saussure"بإبراز أوجه التناقض في اللّسان بمجرّد رغبة أو لإشباع نزوة أو هوسا على حدّ تعبير "فيكتور هنري Victor Henri"بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتاج تمحيص لبنى اللّغة، ويبدو أنّ الثنائيات لا تمثّل تطابقا واختلافا جذريا، كما يتصوّرها البعض أن تكون فهي متداخلة، وتبدأ حين تنتهي سابقتها، وليس لأحدهما قيمة إلاّ بالأخرى[01]. وتتمثّل في مجموعة من القضايا والمسائل الثنائية المتعارضة, وهي على التوالي:

أ- اللّغة والكلام:

احتلّت اللّغة أسمى الأمكنة؛ إذ أصبحت جزءا من مرتكزات الفكر، ونموذجا للقياس والتطبيق، ومثالا للبحث في مستويات الظاهرة الفكرية، وكلّ هذا جعلها تتبوأ مكانتها المشار إليها في المنهجيات الحديثة والمعاصرة. وصار متعذرا البحث في أصول المنهجيات الفكرية دون وصف الأصول اللّغوية لها، وكشف الجذور المتواشجة بين طروحاتها والأسس اللّغوية التي تستند إليها[02]،« وأهميّة الفصل القاطع بين اللّغة من حيث هي نظام مستقل، وبين اللّغة من حيث هي تغيّر لغوي»[03].

أقام "دي سويسر De Saussure " تفرقة أوّلية هامّة بين اللّغة والكلام على اعتبار أنّ اللّغة Langue نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة، في حين أنّ الكلام Parole متعدّد الأشكال، متباين المقوّمات.

---

[01] ينظر: بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص91.

[02] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة- ص07، 08.

[03] حسام الدين البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة , مصر، 1994، ص328.

موزّعا في الآن نفسه بين ميادين متعدّدة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو اجتماعي[01].

إنّ "دي سوسير De Saussure " حين فرّق بين اللّغة والكلام، كان يريد الفصل بين الخصائص العامّة التي تشكّل الوحدة والنظام، والخصائص الفردية التي تشكّل التفرّد والتميّز وبعبارة موجزة بين الثابت والمتغيّر[02].

ليست اللّغة أقل من الكلام في أنّها شيء ذو طبيعة محدّدة، ممّا يعتبر ميزة كبيرة في دراستها فرموز اللّغة شيء ملموس يمكن للكتابة تثبيته في صورة معهودة، وهذا ما يجعل علم الصوتيات والصرفيات والمعجم والنحو تمثيلا أمينا للّغة[03].

يرى معظم علماء اللّغة الآن أنّه من البديهي أن تأتي دراسة الكلام أوّلاً، أمّا اللّغة المكتوبة فتأتي في المرتبة الثانية لأنّها مشتقة من الكلام؛ بل هي تمثيل له[04]؛ إذ « يعدّ هذا الأخير كتكوين له أجزاؤه ومكوناته»[05]، ونجد الكلام أيضا وهو أساسا فعل فردي للاختيار والتحقيق حسب "رولان بارت Roland Barthes " الذي يقول: « الكلام مكوّن أوّلاً من التركيبات التي تستطيع الذات المتكلّمة بفضلها استعمال شيفرة اللّسان قصد التعبير عن فكرها الخاص ويمكن أن يسمّى هذا الكلام خطابا ثمّ من الأوليات النفسية الفيزيائية التي تمكّنه من تجسيد هذه التركيبات»[06].

---

(01) ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرمادي، محمّد الشاوش، محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب, تونس، 1985، ص29.

(02) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص22.

(03) ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص27.

(04) ينظر: أحمد محمّد قدور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999، ص35.

(05) محمّد إبراهيم عبادة، الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988، ص27.

(06) رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمّد بكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص35.

وبهذا فإنّ« وظيفة اللّغة الأساسية هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلّم إلى المخاطب فهي بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر، و أداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم»[01].

فاللّغة واقع اجتماعي ثابت، بينما الكلام عمل فردي متغيّر، وهي أيضا نتاج ينطبع به الفرد، بينما الكلام هو عمل إرادي، وعمل ذكاء يقوم به الفرد، وهي أيضا الجزء الاجتماعي من عملية التكلّم، تكمن خارج نفوذ الفرد الذي لا يستطيع والحالة هذه، وحده أن يوجدها أو أن يعدل بها؛ بل إنّها ناتج عن عقد قديم سبق أن قام بين أفراد المجتمع اللّغوي الواحد ولا يتسنى للفرد استعمالها إلا بعد إتمام عملية اكتسابها[02].

وبعبارة أخرى « هي نظام Système محكم وقائم على التضامن بين مختلف أجزائه المكوّنة له بحيث إنّ قيمة الجزء الواحد منه لا تظهر أو تتمّ إلاّ باقترانه مع الكلّ»[03]. أمّا « الكلام فهو الجانب الفردي؛ إذ هو إخراج اللّغة من الكمون إلى الملموس»[04].

يرى "دي سوسير De Saussure "« أنّ اللّغة المحكية كلّما كانت موغلة في الزمن كانت أحوج إلى الشهادة الخطيّة للكتابة»[05].

وبناء على ما تمّ ذكره, فإنّ هذه الثنائية قد أوضحت مجال اشتغال تحليل النّص في اتجاهيه ؛ أي البنيوي والأسلوبي،فالبنيوية اقتفت آثار اللّسانيات في البحث عن البنية الافتراضية التي تتوارى داخل النّص، ولكنّها تنظّم عناصره بما يشكّل أدبيته وشعريته، بينما تحدّد مجال الأسلوبية في الإنجاز

---

(01) حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللّغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971، ط2، 1980, ص75.

(02) ينظر: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان, ط1، 1980، ط2، 1983، ص43.

(03) زوبير دراقي، محاضرات في اللّسانيات التاريخية والعامّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص71.

(04) صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية, بن عكنون، الجزائر، 1994، ص217.

(05) عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر, 2005، ص144.

من خلال تتبع الإجراءات المحسوسة في جسد النّص وعلى سطحه ؛ والتي تشكّل بمجموعها شبكة المنبّهات الأسلوبية ذات الجوهر اللّغوي، فهي مجمل التصرفات اللّغوية التي تشكّل أسلوب الأديب. وبهذا حدّدت اللّسانيات مجال الاشتغال، وولّدت آليات التحليل في آن واحد.

ب- الدال والمدلول:

إنّ هذا الزوج, من أهمّ المصطلحات لا من حيث قيمته النظرية والعملية في حدّ ذاتها فحسب، وإنّما أيضا بفضل ما تمّ له من امتداد إلى مجالات أخرى غير مجال الألسنية هي من مشمولات ما أصبح يسمى إثر "دي سوسير De Saussure " بعلم الدلائل؛ كما حدّ الدليل اللّغوي بأنّه كيان واحد لا يتجزأ, وذو وجهين متّصلين وملتحمين التحام وجه الورقة وقفاها، وأطلق على هذين الوجهين على الترتيب اسمي "الدال" و"المدلول". والدال Signifiant عنده هو "الصورة الأكوستيكية" أو الصوتية التّي يتضمّنها كلّ دليل. أمّا المدلول Signifié فهو منها "المتصوّر الذهني" أو ما كان يعبّر عنه قديما بـ "المعنى"[01].

إنّ دلالة الكلمة عند "دي سوسير De Saussure" هي نتاج العلاقة المتبادلة بين الكلمة أو الاسم وهي الصورة الأكوستيكية، وبين الفكرة، ومن هنا فإنّ الكلمة هي عبارة عن علامة لغوية[02]، وهذه الأخيرة هي التي « أدّت بدي سوسير De Saussure إلى اعتبار اللّغة نظاما من العلامات يتّخذها الفرد وسيلة للتواصل والتبليغ، ويمثّل هذا النظام كيانا مستقلا من العلاقات الداخلية يتوقّف بعضها على بعض، وتحليل هذا الكيان يسمح لنا باكتشاف عناصر تربطها علاقات التبادل أو التقابل»[03].

---

[01] ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص362.

[02] ينظر: صفية مطهري، الدلالة اليحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، مكتبة الأسد، سوريا، 2003، ص40.

[03] كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ص54.

إنّ « اللّغة نظام من الدلائل»[01]، وكلّ دليل، لفظة لها وجهان: وجه دال وآخر مدلول. و« يتمثّل الأوّل في الصورة الملفوظة، والثاني فيما يحمله من قيمة تمييزية، تستبان من خلال وجوده الوظيفي داخل البنية التركيبية»[02].

لقد أدرك "دي سوسير De Saussure" « بوضوح أنّ كلا من الدال والمدلول متّحدان اتّحادا صميميا. بيد أنّه بيّن أنّ الربط بين الدال والمدلول هو ربط اعتباطي، وأنّ نظام اللّغة الكلّي يبنى على المبدأ اللاعقلاني عن اعتباطية العلامة» [03] ؛ لأنّ العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول مجرّد علاقة اعتباطية[04].

إنّ الدليل أو الرمز « يغيب بمجرّد حضور ما يدلّ عليه أو ما يرمز له، فإنّ اللّغة غياب للدليل بمجرّد حضور المعنى الذي يميّزها كما لو كان الشيء عينه، وبذلك تكون اللّغة عالم الحضور والغياب واللبس والغموض. وهي الدرجة نفسها إخفاء للمقاصد »[05].

ج- الألسنية الآنية والزمانية:

ألحّ "دي سوسير De Saussure" على التقابل بين وجهتي النظر اللتين يمكن من خلالهما دراسة الكلام وهما وجهة النظر التطورية أو الزمانية من جهة ووجهة النظر القارة أو الآنية من جهة أخرى، وأكّد على ضرورة أن يتبنّى الألسني أوّلاً وأساسا وجهة النظر الآنية[06].

---

[01] محمّد الشاوش، أهمّ المدارس اللّسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص35.

[02] عبد القادر عبد الجليل، التنوّعات اللّغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص116، 117.

[03] رومان جاكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء, المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص32.

[04] ينظر: الزواوي بغوره، المنهج البنيوي- بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات- دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2001, ص37.

[05] نور الدين النيفر، فلسفة اللّغة واللّسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1993، ص25.

[06] ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص357.

ويوضّح "دي سوسير De Saussure " مفهوم الآنية فيؤكّد أنّها تدرس العلاقات اللّغوية في صلب النظام وبصرف النظر عن كلّ تغيّر، وأنّ التقابل بين وجهتي النظر الآنية والزمانية تقابل مطلق لا محيد عنه البتّة، ويدلي بمقارنته الشهيرة بين اللّغة ولعبة الشطرنج[01].

وبذلك يكون اللّسان في نظر "دي سوسير De Saussure " واقعا قائما بذاته من جهة وتطوّر تاريخي من جهة أخرى. وفي ظلّ هذا التصوّر للّسان، يمكن لنا التمييز بين النظام اللّساني الآني؛ أي اللّسان في حالة زمنية محدّدة، وبين تاريخ هذا النظام. الأمر الذي جعل "دي سوسير De Saussure " يميّز بين منهجين في التعامل مع الظاهرة اللّغوية:

1- المنهج الأوّل: هو المنهج التاريخي الذي يهتم بالتحوّل المرحلي للّسان عبر الحقب الزمنية المختلفة.

2- المنهج الثاني: هو المنهج الوصفي الذي يتناول الظاهرة كما هي في الواقع اللّغوي[02].

ولذلك فإنّ اللّسانيات – في نظر "دي سوسير De Saussure " تتفرّع إلى فرعين:

1- لسانيات تاريخية، تطورية(دياكرونية) Diachronique، وهي الدراسة القائمة على التعقّب التطوّري للمسار التحوّلي للّغة عبر التاريخ.

2- لسانيات سكونية، آنية (سانكرونية) Synchronique، وهي الدراسة التي تهتمّ بالنظام اللّساني في ذاته، ومن أجل ذاته في حالة لغة بمعزل عن التاريخ[03].

اعتمدت اللّسانيات على مبدأ التزامن (المحور التزامني) في دراسة العناصر اللّغوية من حيث علاقتها بالتنظيم اللّغوي؛ إذ يقول ميشال زكريا: « إنّ التنظيم اللّغوي بالغ التعقيد، وبالتالي لابدّ من دراسته قبل دراسة تطوّر اللّغة، بكلام آخر لابدّ من معرفة اللّغة كواقع قائم بذاته قبل تطوّرها

---

[01] ينظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص358.

[02] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص36.

[03] ينظر: نفسه، ص36، 37.

عبر الزمن، من هنا إقرار "دي سوسير De Saussure" بضرورة التزام بالدراسة الوصفية للّغة قبل القيام بغيرها من الدراسات في المجال اللّغوي»[01].

إنّ التزامنية تقوم على زمن "النظام Système" «فإذا كان استمرار النظام يفترض استمرار البنية وثبات نسقها، فإنّ التزامن يرتبط بهذا الثبات»[02].

لقد صرّح "هرمان بول Hermann Paul " قائلا:« إنّ الطريقة العلمية الوحيدة لدراسة اللّغة هي الطريقة التاريخية»[03]؛ وفي هذا الإطار يرى عبد السلام المسدي أنّ استبعاد عنصر الزمن عن دراسة حالات اللّغة هو استبعاد لعنصر الديناميكية والحركة والتغيير؛ ونلفيه يقول:« الزمانية تبدو مركّبة من سلسلة نقاط الآنية؛ أي أنّ الزمانية تحتوي الآنية، وإذا بالآنية تستحيل منهجا مستوعبا لإبعاد الزمانية بمقتضى أنّه يدرك الحواجز التطوّرية فيظهر التعاقب في بوتقة التوحيد»[04].

د- العلاقات السياقية والعلاقات الترابطية:

إنّ الكلمات تعقد فيما بينها في صلب الخطاب وبمقتضى تسلسلها علاقات قائمة على الصفة الخطيّة للّغة. وهي صفة ينتفي معها إمكان النطق بعنصرين معا في الوقت نفسه. وتنتظم هذه العناصر الواحدة تلو الآخر في سلسلة اللفظ. وتبرز هذه الخاصية للعيان فورا بمجرّد أن ترسم تلك العناصر بالكتابة وتعوّض التتابع في خط الزمان بالتتابع في خط المكان بواسطة علامات الكتابة ويمكن أن نسمّي هذه التوليفات التي تتخذ لها من الامتداد حاملا سياقات [05].

---

[01] ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص227.

[02] يمنى العيد، في معرفة النّص – دراسات في النقد البنيوي- منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص33.

[03] جورج مونان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, جامعة حلب، سوريا، 1981، ص217.

[04] عبد السلام المسدي، اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ص130.

[05] ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص115، 186.

فالسياق إذن يتركب دوما من وحدتين متتاليتين فأكثر في صلب الخطاب، وبالتالي في اللفظ مثل: "أ – مال، رغم ذلك، أل – حياة، أل – بشرية"، ونلاحظ خارج الخطاب أنّ الكلمات المتضمّنة لشيء ما مشترك بينها تترابط في الذهن؛ فكلمة "تعليم" مثلاً تثير بصورة لاشعورية طائفة من الكلمات الأخرى من قبيل "علّم واعلم" أو من قبيل" تسليح وتغيير" أو غير ذلك" أو من قبيل "تربية وتمرّن وتفقه"[01].

فأوّل محاولة جادّة، قام بها "دي سوسير De Saussure" في حقل الدراسة التركيبية، تمييزه بين نوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللّسانية:

أ- العلاقات الاستبدالية Rapports paradigmatique، وكانت تنعت لديه بالعلاقات الترتيبية Rapports associatif.

ب- العلاقات الركنية Rapports syntagmatique.

إنّ الأمر الذي لا يعزب عن أحد هو أنّ العناصر اللّسانية في السياق المنطوق أو المكتوب ترتبط فيما بينها بحكم الطبيعة الخطيّة للّغة، ممّا يسمح بتوالي العناصر اللّسانية في سلسلة الكلام. ولذلك فإنّ التأليف بينهما، والذي يعتمد عليه لتطوير الكلام، ينعت بالخط الركني L'axe syntagmatique الذي يتكوّن من عنصرين لسانيين فأكثر[02].

وعليه فإنّ للمستوى النحوي أو التركيبي أهميّة كبيرة في الدراسات اللّسانية؛ لأنّ معرفة المركّبات اللّغوية التي يتألّف منها التركيب اللّغوي– الذي يشمل جملة مفهومة أساسية أو مشتقة– لهي أمر مهمّ،كما يعمل هذا المستوى على معرفة التراكيب اللّغوية التي يتألف منها النّص؛ لأنّ هذا الأخير « هو عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها تتشكّل من ضوابط لسانية تؤلّف أجزاء هذه الوحدة اللّسانية»[03].

---

[01] ينظر: فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ص361.

[02] ينظر: رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص101.

[03] صفية مطهري، التفاعل الدلالي بين المستويات اللّسانية، مجلة القلم، جامعة وهران، الجزائر، العدد3، مارس 2006، ص11، 12.

وفي مجال التركيب syntaxe ذهب "دي سوسير De Saussure " إلى أنّ الجمل الملفوظة لا تتشابه إطلاقا. و لهذا ينبغي عدّها كينونات من نتاج الإرادة الفردية، و ليست كينونات من النظام اللّغوي العام، وأنّ العلاقة التركيبية Rapport syntagmatique هي علاقة حضورية In Praesentia، وتقوم على عبارتين أو أكثر موجودتين في سلسلة موجودة بقوّة الفعل، وعلى عكس ذلك، فالعلاقة الترابطية Rapport associatif تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية In Absentia في سلسلة ذاكرية Unémonique كامنة بالقوّة[01].

وبمجموع هذه المقولات اشتغلت البنيوية من خلال الحضور والغياب والنّص الحاضر للنّص الغائب وآلية التناص، كما اشتغلت الأسلوبية لتحديد الأسلوب بكثافته الإيحائية[02].

إنّ « العلاقات بين جلّ الثنائيات – التي سبق ذكرها– قد تكون علاقات نفي سلبي وتضاد مطلق، وقد تكون علاقات توسّط تـــهدف إلى إعـــادة الخلق عبر التحوّل، والتحويل . وقد تكون علاقات تكامل وتناغم وإغناء وإخصاب؛ إذ تشكّل شبكات لغوية، لحمتها الأنساق المتكرّرة، والصور المتخلّلة الجذرية التي تصبح بؤرا رؤيوية تتمحور حوله. وباكتشاف هذه الأنساق والصور المتخلّلة تتحوّل دراسة البنية لا إلى تعرية وإثراء لهوية نص مفرد؛ بل إلى اكتشاف لبنية الفكر الإنساني نفسه وللفاعلية الشعرية من حيث هي فاعلية رؤيوية تنبع من الإنسان مرتبطة بالتاريخ ومتجاوزة التاريخ بموضوعية الزماني والمكاني في وقت واحد»[03].

ثمّ إنّ الدراسة باكتشاف التركيب الضدي للعالم والجدليّة التي تتخلّله، تصبح منطلقا لوعي لغوي أعمق لا يكتفي بمحاولة فهم الظواهر الفنيّة؛ من حيث هي حركة على سطح أفقي؛ بل يغوص على بنيتها الضدية ليجلو طبيعة الفاعليات التي تتراشق فيها وتشع عبرها منفصلة ملتحمة في حركة دائبة[04].

---

[01] ينظر: عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي– طروحات جدلية في الإبداع والتلقي– ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية, بن عكنون، الجزائر، 2005، ص30.

[02] ينظر: جمال حضري، اللّسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، ص179.

[03] كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي–دراسات بنيوية في الشعر– دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ص09، 10.

[04] ينظر: نفسه، ص09، 10.

لقد تعرّضت هذه الثّنائيات إلى الكثير من النّقد والاعتراض؛ وعلى الرغم من هذا فقد قدّم "سوسير Saussure " الكثير من التّصوّرات والمفاهيم والمصطلحات اللّسانية ذات الفعالية الكبيرة في الإجراء وفك مغالق النصّوص. ومن الضّروري في هذا المقام توضّيح -ونحن في رحاب اللّسانيات العامّة-حقيقة النّصّ, وإيراد أهمّ مناهجه.

8- النّصّ في اللّسانيات العامّة:

إنّ اللّسانيات « بدأت تتصدى لدراسة النّصّ وتحليله، وباقترابها من نظرية الأدب تكون قد تخلت عن واحد من الشّروط الأساسية التيّ أرساها "سوسير Saussure" لدراسته اللّسان وهذا الشّرط هو الاعتماد على اللّغة المنطوقة لا على اللّغة المكتوبة، فاللّسانيات عنيت بالجملة المنطوقة، ولكنّها غفلت عن وجود جملة طويلة ولا متناهية، يعجز النّحو عن الإلمام بقواعدها ما لم يتكئ على الكتابة التي تسلمنا إلى دراسة النّصّ» [01].

اقتحمت اللّسانيات حقل الأدب بفحص خصائصه النصّية واستكشاف أسرار تبدّل اللّغة من أداة إبلاغية خالصة إلى أداة فنيّة، ومن هنا أقامت البنيوية مفهوم النّصّ، واتخذت منه متصوّرا رئيسا، تمرّ من خلاله كلّ المصطلحات التيّ كانت لها سيادة مطلقة أو نسبية؛ كمصطلح "الفنّ" ومصطلح "الأدب" ذاته. ولئن تسنى للّغوي أن يرتكز على نسيج النّصّ ليزعم أنّه موجود عيني يتمتع بالاستقلال الذّاتي، فإنّ البنيوي عندما انغمس في حدود النّصّ تجاذبته الأطراف المختلفة التيّ لا يكون النّصّ إلاّ جسرا لتقاطعها[02].

إنّ تحديد النّصّ وتمييزه عمّا يضارعه في العصر الحديث ما كان له أن يتأسّس لولا ما قدّمته البنيوية في هذا الاتجاه. وبدا لنا أنّه كلّما كان الوعي بالروح البنيوية متقدّما أمكننا التّطوّر في تحديد النّصّ، وفهمه في أبعاده الحقيقية، وفي الاحتمالات التيّ زخر بها؛ لأنّ المفاهيم تتلوّن بالحقب

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص130.

[02] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص46، 47.

التي تبرز فيها؛ ولقد جاءت البنيوية لتضع تصوّرا جديدا للنّص من خلال تحديد دلالته وأفق تحليله وإنجازه، كما أنّ كلّ التطورات اللاحقة، وإن كان لبعضها أن تدّعي أنّها تمثّل ما بعد البنيوية ما كان لها أن تنجز لولا التراكمات التي تحقّقت في الحقبة نفسها[01].

والأمر الذي لا يختلف فيه هو أنّ "دي سوسير De Saussure" « المؤسّس الحقيقي للحركة البنيوية الحديثة من خلال كتابه دروس في اللّسانيات العامّة، والذي ضمنه دراسة علمية بنيوية مستفيضة»[02]، رغم أنّه لم يوظّف كلمة بنية في كتابه إلاّ أنّه استعمل مفهومها من خلال كلمتي النظام والنسق.

عادت البنيوية إلى الأصول التي حاولت تقديم رؤية جديدة ومغايرة للنّص الأدبي مع الشكلانيين الروس، وأعطت النّص بعده اللّساني، مركّزة على الاهتمام به من الداخل، وتبعا لذلك انطلقت من كون قيمة النّص لا تكمن فيما يعبّر عنه، ولكن في طريقة التعبير، وفيما يدلّ عليه في حقبة أخرى؛ إذ جاءت البنيوية كرد فعل على التصوّرات التقليدية السائدة، ولقد أدى هذا التحوّل إلى معاينة النّص من خلال السمات التالية[03]:

أ- **الانفتاح:** لم يبق النّص مع البنيوية منتوجا للمؤلف، ولكنّه صار عملية يتمّ التركيز فيها على الدال بدل المدلول، وأدى التحليل الجزئي الذي انتهجته إلى التعامل مع مختلف عناصره ومكوّناته ووحداته من أصغرها إلى أكبرها. وقد سمح لها المستوى التحليلي الذي تميّزت به إلى جعل النظام الخطّي للنّص موضع استفهام، وذلك على اعتبار أنّ دالا ما يحيل على آخر وفق سلسلة من التركيبات والوحدات الشذرية والمتشظية[04].

---

[01] ينظر: سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم، أشكال، تجليات – ص76.

[02] عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993، ص20.

[03] ينظر: سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم، أشكال، تجليات – ص77.

[04] ينظر: نفسه، ص77.

وكان هذا المستوى يتيح إمكان النظر في احتمالات دلالية متعدّدة لم يكن يحلم بها الكاتب، أو يتوقعها كما أنّ القول باستقلالية الدال عن المدلول فتح آفاقا جديدة للتفكير في النّصّ في ضوء نصّوص من أجناس مختلفة، ومن أنظمة علامات متنوّعة، الشّيء الذّي كشف عن مفهوم التّداخل بين النصّوص والعلاقات المتعدّدة التيّ تتّخذها فيما بينها[01].

ب- **التّعدّد**: سمح القول بانفتاح النّصّ بالكشف عن تعدّد دلالاته وقراءاته، وليس على امتلاكه دلالة واحدة يختزلها، ومعنى ذلك أنّ كلّ قراءة تتيح إمكان الكشف عن دلالة مختلفة. هذا التّعدّد جعل القراءة إعادة إنتاج للنّصّ، و لم تبق تبعا لذلك استهلاكا له، وبذلك محيت الحدود التّقليدية بين القراءة والكتابة[02].

ج- **التّناص**:

إنّ النّصّ وما يحيل إليه من سياق، وشفرات لم يعد في القراءة الحديثة كيانا منعزلا أو بنية مغلقة على ذاتها، ذلك أنّه يضرب بجذور عميقة في عبره من النصّوص، ويتفاعل معها على نحو يضعنا – بتعبير "جوليا كريستيفا Julia kristiva " – أمام لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، ممّا يسمح بضرب من التّشرّب والتّحويل لنصّوص أخرى، أو ما يسمّى بتداخل النصّوص (Intertextualité).

فالنّصّ بهذا ليس ذاتا مستقلة، أو مادة جاهزة، ولكنّه سلسلة من العلاقات مع نصّوص أخرى، ونظامه اللّغوي مع قواعده ومعجمه، جميعها تسحب إليها كماً من الآثار والمقتطفات من التّاريخ[03].

---

[01] ينظر: سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم، أشكال، تجليات – ص78.

[02] ينظر: نفسه، ص78.

[03] ينظر: حسين قحام، التناص، مجلة اللّغة والأدب، الجزائر، العدد12، 1997، ص127.

لذلك تبدو شجرة نسب النّصّ بمثابة شبكة غير تامّة من المقتطفات المستعارة شعوريا أو لاشعوريا، وكلّ نصّ هو متمّم نصّ متداخل، بحيث يبدو من المتعذر وجود نصّ بريء من المداخلات، ولعلّ هذه المداخلات أوضح ما تكون في الشّعر الحرّ، وذلك أنّ شيئا منه يمتص إشارات وعلامات متنوّعة مع التراث.

وقد حدّدت "جوليا كريستيفا Julia kristiva " المجال التناصّي بقولها: «إنّه مهما كانت طبيعة المعنى في نصّ ما، ومهما كانت ظروفه كممارسة إشارية فإنّه يفترض وجود كتابات أخرى وهذا يعني أنّ كلّ نصّ يقع من البداية تحت سلطة كتابات أخرى تفرض عليه كونا أو عالما بعينه»(01).

ومعنى هذا أنّ طبيعة النّص توحي بوجود علاقة مع نصّوص أخرى، وتخضع لسلطتها مع اختلاف درجة (الاستسلام، الانقياد)، لهذا السلطان حسب النصّوص ذاتها؛ لأنّ التناص يزوّدها بالتقاليد والمسلّمات التي تمكّننا من فهم أيّ نصّ نتعامل معه، والتيّ أرستها نصّوص أخرى سابقة، ويتعامل معها كلّ نصّ جديد بطريقته، يحاورها، يرفضها، أو يشوشها، وهو في كلّ حالة من هذه الحالات ينميها ويرسّخها ويضيف إليها، ولعلّ ما يدعّم هذا القول التالي: «خارج التناص يغدو العمل الأدبي غير قابل للإدراك»(02).

وقد أكّدت الناقدة البلغارية "جوليا كريستيفا Julia kristiva " صحّة هذه الفكرة في أكثر من موضع قائلة: «إنّ النّص هو امتصاص لجملة من النصّوص»(03).

فهي بهذا تجعل النصّوص جميعها غير بريئة، بغض النظر عن طبيعة هذا الامتصاص، أكان مباشرا أم إيحائيا كامنا وراء السطح يدرك بالفطنة والتمعّن.

(01) حسين قحام، التناص، ص127، 128.

(02) محمّد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب – مقاربة بنيوية تكوينية– دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص253.

(03) نفسه، ص253.

فالنّصّ ليس عالما مغلقا على ذاته، وإنّما له امتداداته العميقة داخل سياقاته الخارجية المحيطة به، هذه الكيفية الموظّفة في النصّوص كشفتها البحوث السّيميائية ضمن دراستها الدّلائلية تحت مصطلح التّناص intertextualité)، والذّي يراد به مجموعة القرائن اللّسانية أو المعنوية داخل نصّ ما، تحيلنا إلى نصّوص خارجية، وتثبت تعالق النصّوص بعضها ببعض، ظهر هذا المفهوم في المدارس اللّسانية المعاصرة عند الشّكلانيين الروس باسم الحوارية (Dialogisme) وعند النّاقدة "جوليا كرستيفا Julia kristiva " باسم عبر النصّوص (Tras.textualité) أوّلا ثمّ التّصحيفية (Pragmatisme) ثانيا.

ويعتبر "سولرس Sollers " التّناص بأنّه كلّ نصّ يقع في مفترق طرق نصّوص عدّة، فيكون في آن واحد قراءة لها، وامتدادا وتكثيفا ونقلا[01]. كما يشير "رولان بارت Roland Barthes " إلى مفهوم التّناص في كتابه "لذّة النّص" قائلا: «وفي التّناص أسبقية أيضا، فالنّصّ الجديد إنتاج لنصّوص أو أشلاء نصّوص معروفة، وغير معروفة سابقة عليه، أو هو خلاص لما لا يحصى من النصّوص الكائنة في الذّاكرة، أو القابعة في اللاّوعي الفردي أو الجمعي، وكلّ إشارة في النّصّ المتناهي تتوجّه وتشير وتومئ إلى نصّ أو نصّوص أخرى، ويكون الصّوت القديم "النّصّ الغائب" مخبوءا في الصّوت الجديد "النّصّ الحاضر"، كما يكون الحضور والأعلى والغياب، هذا يوصلنا إلى أنّ النصّوص تتسرب وتتغلغل إلى داخل نصّ آخر حتى لا يعود ثمّة وجود لنصّ محايد أو بريء ويصبح النّصّ مرادفا للحياة النصّية»[02].

فمفهومه للتّناص يقترب من دلالات الإنتاجية Productivité؛لأنّ النّصّ ليس منتوجا Produit، وإنّما مجال إنتاجية، يشتغل على اللّغة، ويقوم بتكسيرها وهدمها كلّغة تعبيرية عن طريق المتكلّم الذّي أصبح ساكنا وليس مستقلا عن الموضوع.

---

[01] ينظر: نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب- دراسة في النقد العربي الحديث - دار هومه للنشر والتوزيع ، الجزائر، ج2، (د.ط)، (د.ت)، ص98.

[02] محمّد خير البقاعي، تلقي رولان بارت في الخطاب العربي النقدي واللّساني والترجمة - في كتابه: لذة النّص- مجلة عالم الفكر , الكويت، العدد 03، 1997، ص52.

وبذلك صار النّص لانهائيا ومتعدّدا من زوايا مختلفة: دلالية وقرائية وعلاماتية، وبسبب هذا التعدّد لا يمكن لأيّ قراءة أن تستنفذه؛ لأنّه مفتوح أبدا، كما أنّه لا يمكن لأيّ منهج ادّعاء أنّه الواحد الذي يمكنه الكشف عن دلالته، وكان هذا وراء تعدّد النظريات والمقاربات التيّ يحاول كلّ منها أن يحيط بجوانب محدّدة لا يتعداها إلى غيرها، تاركا المجال لغيره للنظر فيها من جوانب أخرى[01].

ويمكن أن نميّز في المقاربات البنيوية للعمل الأدبي بين أربعة مستويات:

1. الاهتمام بالجانب الأسلوبي والبلاغي ودراسة تحوّلات الخطاب الأدبي وتأثيراته الفنيّة والجمالية.
2. الاعتماد على النظريات الحديثة في اللّسانيات، والاهتمام بتحليل البنية اللّغوية للنّص من حيث المعجم والتركيب والتوليفات الصوتية.
3. الاعتناء برصد الأفكار المتكرّرة والقضايا الملحّة على الظهور في الأثر لتحديد "الموضوعات" أو "الجذور التيّ ينبني عليها.
4. النظر إلى النّص على أنّه شبكة من الرموز والعلامات التيّ تترابط فيما بينها ترابطا بنائيا خاصا، ودراسة طبيعية تلك العلامات والرموز بقصد تحليلها تحليلا سيميولوجيا ومعرفة أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية على اعتبار أنّها علامات تمثّل كيانا قائما بذاته، وليست مجرّد انعكاس أو وسيط دلالي[02].

9- المناهج النسقية المعاصرة:

تؤسّس المناهج النسقية المعاصرة نظرياتها من منطلق النّص ذاته باعتباره وحدة إجرائية استعمالية، وهو أيضا صياغة لغوية متكـــاملة مستقلة، وهي تبحث عمّـــا قاله النّص، أو ما قاله في غفلة من الكلمات، وما لم يقله هو محل البحث العميق، معتمدة بذلك على المنظور التأويلي الكاشف عن البنية العميقة (Structure de profonde)، فالبنيوية انطلقت من أنّ المدلول يمكـــن

[01] ينظر، سعيد يقطين، من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم، أشكال، تجليات- ص78.

[02] ينظر: محمّد بلقاسم، دراسة الشعر العربي القديم بالمناهج النقدية الحديثة – دراسة محمّد مفتاح نموذجا- مجلة المصطلح، جامعة تلمسان، الجزائر، ع5، يناير2007، ص54.

أن تفك شفراته انطلاقا من تركيبه الشّكلي ذاته، وإنّ النّصّ لا يمكن فهمه إلاّ من خلال الأدوات والوسائل والإجراءات الشّكلية الموجودة في داخله.ومن الضروري الإشارة إلى أهمّ المناهج, و التّي نستطيع تصنيفها كمايلي :

أ- المنهج البنيوي:

عرفت إرهاصات البنيوية مع نشاط المدرسة الشّكلانية الروسية التّي نادت لأوّل مرّة بأدبية الأدب، جعلت من اللّغة استعمالا خاصا وفق خصوصية كـــلّ جنس أدبي، من خـــلال إبراز خصوصية أصغر الوحدات التّي يتماسك بعضها ببعض حتّى أكبر الوحدات المتمثّلة في النّصّ.

لكن مصطلح البنية (La structuralisme)، أخذ مفهومه العميق مع رواد المدرسة البنيوية السوسيرية "فردينان دي سوسير Ferdinand De Saussure"، الذّي جعل من البنية مجموعة متشابكة من العلاقات تتوقف فيها الأجزاء بعضها على بعض، ترتبط كلّها بالنّصّ لتشكّل وحدة عضوية.

إنّ البنية نظام يعمل وفق مجموعة من القوانين، وبإمكانه أن يستمر عن طريق لعبة تلك القوانين ذاتها دون مشاركة العناصر الخارجية، إنّها نظام تميّزه الكليّة (la totalité)[01] والتّحويل (La transformation)[02]، والنّظام الذّاتي (L'autorégulation)[03]. ويتّفق جميع البنيويين على مقابلة البنى (Structures) بالركامات (Agrégats)، و التّي تتشكّل من عناصر مستقلة عن الكلّ.

---

[01] يراد بالكلّية هو ما تعرفه العناصر اللّغوية من تماسك فيما بينها وانسجام يجعل منها رغم اختلافاتها كلاً واحداً (ليس للعنصر قيمة في ذاته، وإنّما يستمدّ قيمته من تقابله مع بقيّة العناصر).

[02] يراد بالتحويل في النظام خضوعه لمجموعة من التحويلات تجري على عناصر اللّغة، بحيث تنتج عنها تغييرات جوهرية في أساس النظام كلّه، والذي يجعل هذه التحويلات جوهرية عامّة هو خضوعها لقوانين النظام المطردة، تلك القوانين التي تنضوي فيها كلّ الوحدات والجمل الممكنة في لغة ما.

[03] يراد من ذلك أنّ عناصر النظام لا تستمدّ وظيفتها من علاقتها بالواقع الخارجي؛ بل من انتظامها الداخلي الذّي يعمل على شدّ العناصر بعضها إلى بعض بشكل يبدو فيه النظام ثابتا منغلقا على نفسه، وإن كان يبدو خاضعا لمبدأ التحويل، ذلك أنّ ارتباط النظام بالتحويلات الممكنة فيه لا يمنع من تماسك عناصره فيما بينها ومن المحافظة على قوانينها مع ملاحظة أنّ هذه الخاصية (أي خاصية الانتظام الذاتي) تظلّ قائمة في النظام حتّى حينما يستقبل عناصر جديدة.

وبهذا التقابل يمكن القول إنّ خاصية النظام تنبني على مفهوم الكلّية، لكن مفهومها، في النهاية، ما هو إلاّ أثر ينشأ من العلاقات التّي تعدّ أهمّ ركن من بناء آلنّظام وعمله؛ إذ « إنّ البنى تتحدّد عن طريق مجموعة من العلاقات فيما بين العناصر، فلا العنصر ولا الكلّ بإمكانه أن يشكّل البنية، إنّ الذّي يشكّل البنية هو العلاقات فحسب»[01].

ويؤكّد "كلود ليفي ستراوس Levis-strausse Claude"[02] هذه الفكرة حينما يشير إلى أنّ طابع النّظام في البنية يرجع – أوّلاً وقبل كلّ شيء – إلى أنّها تتألف من عناصر إذا ما تعرّض الواحد منها للتّغيير أو التّحوّل تحوّلت معه باقي العناصر الأخرى[03].

وبهذا فالبنيوية لا تبحث في محتوى الشّيء وخصائصه؛ بل في علاقة الأجزاء بعضها ببعض بقصد الكشف عن وحدة العمل الكلّية وذلك من خلال نموذج يقدّمه الباحث أشبه ما يكون بالنّموذج الهندسي، وفي وسع هذا النّموذج أن يستوعب الوحدات أو العناصر التّي يتكوّن منها العمل على نحوٍ يبرز علاقة بعضها ببعض سواء أكانت تلك العلاقة ظاهرة أم خفية.

إنّ هذا التّعريف يشير إلى بعض الأفكار الخاصّة بالبنيوية أهمّها:

1. إنّ البنية من صنع المحلّل أو الدّارس لظاهرة ما، أو لعمل ما، وليست هذه البنية سوى الكشف عن العلاقات المتشابكة بين عناصر النّظام نفسه.
2. إنّ البنيوية لا تبحث عن المحتوى أو الشّكل، أو عن المحتوى في إطار الشّكل؛ بل تبحث عن الحقيقة التيّ تختفي وراء الظّاهرة من خلال العمل، وليس من خلال أيّ شيء خارج عنه.
3. إنّها تعنى بتوجيه العناصر نحو كليّة العمل أو نظامه حتى تتلاحم الأجزاء في بنية كبرى تشكّل النّص نفسه.

---

[01] الطيب دبه، مبادئ اللّسانيات البنيوية (دراسة تحليلية ابستيمولوجية)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص41.

[02] كلود ليفي ستراوس، باحث أنثروبولوجي فرنسي ولد ببروكسل، درس بفرنسا من 1959 إلى 1982، تتميّز دراساته بالبحث في العلاقة القائمة بين الطبيعة والثقافة، كما يعرف بجهوده الرائدة المعتبرة في التحليل البنيوي في الانثروبولوجيا، من أعماله: المدارات الحزينة (1955)، والإنسان العاري (1971).

[03] ينظر: كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجية البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977,ص328.

فالنصّوص برمّتها تمثل أبنية كلّية، تتشابك عناصرها وتتعالق وحداتها وفق نظام لغوي مؤسّس للنّص ، فالقصيدة مثلا مجموعة من الأبيات مبنية وفق مستويات متشابكة، يمكننا اعتبار البنية الدلالية للقصيدة الشعرية حصيلة مجموعة من البنى المتمثّلة في البنية الإيقاعية والتركيبية والتعبيرية والتخييلية التّي تصل إلى ذروتها في المستوى الرمزي الكلّي؛ لكن هذه البنيات تتماثل في النهاية لتشكّل البنية الدّلالية الشّعرية.

يظــلّ – إذن – هــدف البنيويــة هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات اللّغوية (الصّوتي، الصّرفي، التّركيبي, الدّلالي) للنصّوص، ودراسة علائقها وتراتبها، والعناصر المهيمنة على غيرها، وكيفية تولّدها، ثمّ كيفية أدائها لوظائفها الجمالية، والشعرية على وجه الخصوص، من هنّا جاءت فكرة "موت المؤلّف" من قبل البنيويين حتّى يضعوا حدّاً للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده، وبدأ تركيزهم على النّص ذاته باعتباره أنظمة للعلامات تخضع لقوانين التراتب والتبئير الدلالي، والفعالية الوظيفية للعنصر المهيمن في النّص.

ب– المنهج الأسلوبي:

لا تذكر البنيوية إلاّ وتذكر معها الأسلوبية، ذلك أنّ الاتجاه الأسلوبي انبثق من الفكر البنيوي، متأثراً بذات الاتجاهات التي أسهمت في تشكيل البنيوية.

ويعد "شارل بالي Bally Charles " المؤسّس الفعلي للأسلوبية (La stylistique)، ركّز اهتمامه على المظهر اللّغوي للأسلوب، خارج نطاق الأدب، بتناول الجانب العاطفي في تشكيل سمات مميّزة للأساليب اللّغوية.

امتدّ التيار البنيوي في الستينات ليُصبغ الدراسة الأسلوبية بطابع خاص عند "ريفاتير Rivatir" وبحوثه الشّعرية الألسنية، وتوجيهه لمفاهيم الأسلوبية كي تتّسق مع المنظومة البنيوية العامّة، ذلك أنّ الأسلوب يقع في تلك المنطقة الفاصلة والواصلة بين اللّغة والأدب، حيث تركّز

الدراسات الأسلوبية على السّطح اللّغوي من النسيج الأدبي كمحاولة التقاط ملامحه وتحديد ظواهره بأكبر قدر من الدقّة والتجسيد، غير أنّها لا تلبث بعد ذلك أن تختلط بالنّص ذاته عبر عمليات التفسير، وشرح الوظيفة الجمالية للأسلوب، لتجاوز السطح اللّغوي، ومحاولة تعمّق ديناميكية الكتابة الإبداعية في تولّدها من جانب وقيامها بوظائفها الجمالية من جانب آخر[01].

ج- المنهج السيميولوجي:

يعدّ المنهج السيميولوجي رأس المناهج المعاصرة في تناوله الظاهرة الأدبية في صورة جدلية للعالم الداخلي النصّي، وما يعتج فيه من مستويات وتراكيب، والبحث في عمق الدلالات المشكّلة لنسيج الخلية الرمزية أو ما يمكن أن يعرف بالخلية الرحمية لفضاء المعنى، ويعدّ أيضا من مناهج ما بعد البنيوية، وإن كان ظهوره تاريخيا قد بدأ مع تبلور مفاهيم المنظور البنيوي.

عُرِّفت السيميولوجيا (أو السميوطيقا)، بأنّها علم الإشارات والرموز الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى[02]، وإن لم يستعمل هذا المصطلح إلاّ في الحقل الطّبي، بمعناه الكشف عن الأعراض المرضية، ثمّ امتدّ مفهومه إلى اللّغة من حيث هي إبداع فنّي خاص (السيميائية الأدبية)، والتي لاحظ "غريماس Greimas" بأنّ هناك عدداً كبيراً من الباحثين يدرسون هذا الميدان[03].

ويعدّ عالم اللّسانيات السويسري "دي سوسير De Saussure"، أوّل من اهتم بهذا الحقل المعرفي، وإن كانت الانطلاقة الأولى للمصطلح على يد الفيلسوف "جون لوك John Locke"؛ ولكنّ الدراسة السيميولوجية في عهده لم تخرج عن إطار النظرية العامّة للّغة، والواقع لم تصبح السيميائية علماً قائماً برأسه إلاّ بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي "بيرس Pierce"

---

[01] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص88.

[02] ينظر: بيير جيرو، علم الإشارة – السيميولوجيا- تر/منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1, 1988، ص12.

[03] ينظر: عبد الملك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، الجزائر، العدد 02، 1993، ص16.

الذي جعلها علماً عاماً تدرس جميع المعارف الإنسانية، ممثّلة في نظام مثلثي « تشكّل الإشارة فيه الضلع الأوّل الذي له علاقة حقيقية مع الموضوع الذي يشكّل الضلع الثاني، والذي بدوره يستطيع أن يحدّد المعنى وهو الضلع الثالث من الثلث »[01].

وطبقا لاعتقاد "بيرس Pierce" فإنّ جميع التجارب الإنسانية تدرك من خلال هذه المستويات الثلاثة (الإشارة ثمّ الموضوع ثمّ المعنى).

بينما نجد "دي سوسير De Saussure" قد تطلّع إلى السيميولوجيا بمنظار لساني في كتابه "دروس في اللّسانيات العامّة"، بيد أنّ حديثه عنها كان مقتصرا على الإشارة اللّغوية فقط، ذلك أنّ اللّغة – حسبه – هي نظام إشاري من الأنظمة الإشارية العديدة تدخل كلّها ضمن إطار السيميولوجيا يدعّم هذا بقوله: « اللّغة نظام إشاري يعبّر عن أفكار، وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للصم والبكم، وبالنظام الإشاري العسكري، إنّ العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبهذا سوف أدعو هذا العلم بالسيميولوجيا (Sémiologie)، هذا العلم يستطيع أن يبيّن بنية الإشارات، وبالتالي فإنّه يبيّن الأنظمة والقوانين التّي تحكمها، وما دام هذا العلم غير قائم، فلا أحداً يستطيع أن يعرف ماهيته، ولكن على أيّة حال، إنّه في سعي دائب لتحقيق وجوده، وذلك من أن ضربت أوتاره مسبقا»[02].

ومن ثمّ فإنّ السيميولوجيا (السيميائية)، هي ذلك العلم الذي يُوجِّه اهتماماته لدراسة أنساق السمات، ويفسّر طبيعة الرموز المتّصلة بالدّلالة النّوعية لكلّ سمة عبر الشبكة اللّغوية المستخدمة في نّص من النصّوص.

---

[01] بيير جيرو، علم الإشارة – السيميولوجيا– ص15.

[02] نفسه، ص16.

أو هي على حدّ تعبير "هيلمسليف Hyelmslev" "علم السميوزات"[01]، وبذلك فالسيميوطيقا عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب، وتحديد البنيات العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا، لا يهمّها ما يقول النّص، ولا من قاله؛ بل كيف قيل وماذا قال النّص ؟ لأنّ المضمون وبيوغرافية المبدع مهدرة من اهتماماتها، بقدر التركيز على شكلانية المضمون[02].

من هنا تستعين السيميولوجيا بجملة من المعارف العلمية في تحليلها للنصّوص، فهي خليط من العلوم: اللّسانيات، النّحويات والرياضيات، والبلاغيات والصّوتيات، من أجل دراسة نظامية العلامات المشكّلة للنّص، وما تحمله من إيحاءات تعبيرية هادفة.

وحديثنا عن المنهج السيميائي حديث عن العلامات (Les signes) المشكّلة للنّص في مستويات تحليلية متباينة, و هي على النحو التالي:

1. **المستوى الشّعري**: ويقصد به جملة الإسهامات السّياسية والتّاريخية، والثّقافية والاجتماعية والنّفسية التي عملت عملها في النّص، ذلك أنّ التحليل السيميائي لا يفرغ النّص عن محتواه (أي عن سياقه)، وإنّما تصبح تلك الإسهامات تمثّل وظيفة النّص في حدّ ذاته.

فهو, إذن, مجموعة البنى الموضوعاتية المكوّنة للنّص كأن تكون بنى انفعالية وجدانية، وأخرى اجتماعية، ومعتقداتية، وسياسية وغير ذلك، تتفاعل كلّها خدمة للمعنى العام الذي يحويه النّص.

---

[01] السميوزة، مصطلح اصطنعه رائد الجلوسيمية (Glossématique) اللّسانية؛ ويعني بها عملية تعالقية بين شكل التعبير وشكل المحتوى، أو علائقية الدال والمدلول حسب اصطلاح دي سوسير التي تنتج السمات.

[02] ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص79.

2. **المستوى الحسّي:** يهتم بالكشف عن علاقة النّص بالمبدع والمتلقي، أو بمعنى آخر، كيف يقرأ المتلقي النّص؟ ما هي الإسقاطات التحليلية الموحية المسلّطة على النّص؟ وهنا تكمن كفاءة وبراعة المحلّل والناقد في تعامله مع الإنتاج الأدبي.

3. **المستوى المحايد:** ويطلق عليه أيضا المستوى اللّغوي، ويهتم بكيفية شكلنة النّص، أي كيف أنجز في قالبه اللّغوي الفنّي؟ انطلاقا من بعض المفاهيم أو العناصر اللّغوية الجوهرية تبرز معمارية النّص نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: التّشاكل، التّقاين، التّناص، الأسلوب[01].

وهذه المستويات ذاتها التيّ ذكرها "بيرس Pierce" و"غريماس Greimas"، في عملية التحليل النصّي؛ إذ بموجب اختيار مستوى من هذه المستويات نخلص إلى النتيجة الدلالية نفسها.

يمكن للدارس أن يتوصّل إلى أنّ ميزة هذه الاتجاهات، التي دافع عنها النقاد واضعين إيّاها أمام المبدعين، كلّ على حسب ظروفه التاريخية والمنهجية المختلفة عن غيره، وسواء لقيت هذه المناهج أو بعضها الانصياع لها أو الانقسام إزّاءها تمردا أو خروجا عليها، فهي تدور حول النّص من خلال ما يعرف به في مرجعيته، فلا غرابة عندئذ أن يهرع كلّ اتجاه نحو ترصّد بؤرة معينة ليصب عليها كلّ اهتمامه ويجعلها مصب ومبعث الفنّية والجمال في النّص الأدبي[02].

و بناء على ماتمّ ذكره, نستطيع القول إنّ هذه المناهج بمختلف أنواعها تعتبر عاملا مهمّاً في معرفة هيكلة النصّ, ووظائف عناصره, و إدراك قالبه, و رصد مختلف ظواهره, من أجل الكشف عن المحتويات الدّلالية له؛ لأنّ تظافرها بشكل مناسب, يوصل المتلقي حتما إلى اكتشاف و سبر أغوار النّص, و ما ينجرّ عن ذلك من إيحاء و كثافة في التعبير, من شأنه أن يجعل القارئ يدرك أكثر البنى العميقة للّغة و مختلف تقنياتها, وبالتالي الفهم الصحيح لمضمون النّص.

---

(01) ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص92.

(02) ينظر: عبد القادر زروقي، الدرس اللّساني وأثره في النقد الأدبي، مجلة القلم، جامعة وهران، الجزائر، العدد03، مارس 2006,ص164، 165.

10- النّص قراءة في المفهوم:

ما يزال النّص، منذ أقدم الأزمنة، تتجاذبه أطراف عدّة، ومناهج شتى من النظر[01]؛ والحقّ إنّ تبادل مصطلحاته ومفاهيمه وتصوّراته بين علوم مختلفة يجعل من تحديد موضوعه عملية غاية في الصعوبة؛ إذ أنّ موضوعه لم يحدّد بعد تحديدا دقيقا، بحيث يمكن أن يقال أنّه ليس أكثر من "اصطلاح" لنظرات متباينة؛ بل لفروع عملية مختلفة إلى حدّ بعيد؛ بل يذهب أكثر من باحث إلى أنّ مقولاته بوجه خاص لا يسودها اتّفاق إلاّ بشكل ضئيل جدًّا؛ فكلّ مؤلف يورد تعريفا جديدا يخالف به غيره، حتّى المصطلح المميّز له "Texte" لم ينج من هذا الاضطراب؛ إذ لا نجد خلافا حوله بين الباحثين فحسب؛ بل تلك هي الحال لدى كلّ باحث بعينه؛ إذ أنّه لا يتوقف عن تقديم حد جديد له في كلّ مرحلة. وربّما يكون ذلك هو وضع كلّ علم ناشئ بكر متخلّق من أمشاج متداخلة متباينة الأصول[02].

إنّ مسألة وجود تعريف جامع مانع للنّص مسألة غير منطقية من جهة التصوّر اللّغوي ويؤكّد ذلك الاختلاف بين علماء اللّغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التيّ ترتكز عليها بحوثهم[03]؛ فقد كانت مهمّة تحديده أصعب بكثير ذلك أنّ نظرية النّص تنزع نحو الدرس الفلسفي والجمالي[04].

وفي الحقيقة كما يرى "سوينسكي Sowinski"– لكلّ إنسان مثقف إلى حدّ ما- تصوّر للنّص مرتبط لغويّا بالمحيط الذي يعيش فيه، ومع ذلك يظلّ هذا التصوّر قاصرا علميّا؛ حيث إنّه لم يتكوّن إلاّ من خلال خبرات ذاتية، وعلى نحو أدنى من ذلك من خلال قواعد وعلامات يمكن تحديدها بدقّة. وربّما كان تعريف ما للنّص يصّح تعميمه، ويقبل علميّا – في واقع الأمر- ممكنا على مستوى عال من التجريد، ولكن لا يمكن أن يصدق على النّصوص الفعلية التي لا تحصى

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص127.

[02] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص15.

[03] ينظر: نفسه، ص107.

[04] ينظر: أحمد يوسف، بين النّص والخطاب، مجلة تجليات الحداثة، وهران، العدد الأوّل، السنة الأولى، 1992، ص57.

إلاّ بالكاد؛ ومن ثمّ فقد تطوّرت منذ وقت مبكر وجهة النظر القائلة بأنّه لا يمكن أن تتحدّد علامات البناء إلاّ لأنماط نصّية أو أشكال نصّية محدّدة [01].

يوضّح "تودوروف Todorov" أنّ النّص يتحدّد من خلال ثلاثة جوانب هي على الشكل التالي:

1. **الجانب الدلالي**: نجيب فيه عن سؤالين: كيف يدلّ النّص على شيء؟ وعلى ماذا يدلّ؟ ونطرح فيه قضايا سجلات الكلام.
2. **الجانب اللفظي**: يتضمّن المقولات التالية: الصيغة (Mode)، والزمن (Temps)، والرؤيات (Visions)، والصوت (Voix).
3. **الجانب التركيبي**: ويتضمّن بنيات النّص، النّظام الفضائي (وهو خاص بالشعر)، التركيب السردي، تخصيصات وارتدادات (وهنا يتحدّث عن المحمولات السردية) [02]. نسجّل هنا بوضوح أهمّ الجوانب التي يرى "تودوروف Todorov " أنّها شاملة بما أنّها تسع النّص الأدبي بكامله. لكن البويطيقا كما مارسها هو و"جيرار جنيت Genette gerard" تقف عند حدود الجانب اللفظي [03].

لقد تنوّعت مفاهيم النّص لدى اللّغويين، منها ما كان له صلة بالشكل، ومنها ما له صلة بالمضمون، ومنها ما له صلة بالشكل والمضمون معاً، فمن **الأولى**: فالنّص « يعني الإظهار والتراكم والتعيين ومنتهى الشيء؛ وهذه المعاني إذا ما نقلناها إلى لغة معاصرة فإنّها تعني أنّ النّص له بداية وله نهاية، وأنّه عبارة عن جمل متراكمة تظهر ما خفي وتعيّنه»[04].

---

[01] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص03.

[02] ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان, الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997، ص35، 36.

[03] ينظر: نفسه، ص36.

[04] محمّد مفتاح، التشابه والاختلاف-نحو منهاجية شمولية- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص34.

نطلق«كلمة نص على كلّ خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة»[01]، وهذا التثبيت – حسب هذا التعريف – أمر مؤسّس للنّص ذاته ومقوّم له.

لقد سعى الكثيرون إلى القول بأنّ كلّ كتابة تنضاف إلى كلام سابق عليها. وبالفعل، إذا ما فهمنا مع "فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure " بأنّ الكلام هو التحقيق الفردي للّسان داخل حدث خطابي معيّن – أي إنتاج خطاب مفرد من قبل متكلّم– فستكون هذه الوضعية (الخاصة بالكلام بالنسبة للّسان) هي ذاتها وضعية كلّ نص؛ إنّه إنجاز فعلي للّسان من قبل فرد محدّد[02].

فالنّص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متّسقة، ونعني بالتنضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النّص مثل أدوات العطف وغيرها من الروابط، وبالتّنسيق ما يحتوي أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية[03]، وبذلك – فالنّص– مظهر دلالي ولفظي وتركيبي ومجموعة من المفاهيم في الكتابة لتحديد نمط العلاقات القائمة بين الوحدات على مستوى البنى النصّية[04].

النّص، في مقابل العمل شيء مفتوح، وغير كامل، وغير مكتف، وليست هذه خاصية لصيقة بأيّة قطعة كتابية؛ بل مجرّد طريقة في التعامل معها، أو أيّة مجموعة أخرى من الإشارات. ويمكن لنفس الكلمات أن تعدّ نصّا أو عملا. وكنصّ ينبغي فهمها بوصفها نتاجا لشخص أو أشخاص[05].

---

[01] بول ريكور، النّص والتأويل، تر/منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث, 1988، ص37.

[02] ينظر: نفسه، ص37.

[03] ينظر: محمّد مفتاح، التشابه والاختلاف– نحو منهاجية شمولية– ص35.

[04] ينظر: مشري بن خليفة، سلطة النّص، نشر رابطة كتّاب الاختلاف، الجزائر، ط1، جويلية 2000، ص08.

[05] ينظر: روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر/سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994, ص40.

النّص صياغة لغوية يمكن أن تلفظ تصويتا، ويمكن أن تدوّن خطأ. فإنّه إلى جانب ذلك بنية أدائية؛ بل إنّ قيمته الأدبية كثيرا ما تكون رهينة المقام الذي يسلك فيه، فالنّص, إذن, تركيب وأداء وتقبّل، أو قل هو ملفوظ وتلفظ واستقبال[01].

النّص هو نتيجة إرادة الكاتب الخلاّقة الواعية ومجموعة عناصر منظّمة, فإنّه من الممكن دائما أن نحلّله على أنّه خطاب؛ أي على أنّه موقف يتّخذه الكاتب من الكون ومن الكائنات, ولا يعدّل من ذلك شيئا أن يلجأ الكاتب في روايته إلى ضمير الغائب[02].

النّص ليس إلاّ سلسلة من الجمل، كلّ منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها وهو مجرّد حاصل للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله[03].

وينظر إلى « النّص اللّغوي بوصفه نصّا في موقف أو حدثا اتصاليا أو شبكة من العلاقات الناتجة من تضافر نظمه بمستوياتها المختلفة، وتكون المهمّة التيّ يطمح إلى تحقيقها أو إنجازها هي مناقشة النّص»[04].

ومن **الثانية:** النّص عبارة عن ملفوظ لغوي يحمل مضمونا دلالياً يمكن أن نصطلح عليه بمنطوق النّص, وتكون المادّة التيّ هي موضوع عملية الشرح بمثابة "نصّ النّص"[05]. فالنّص ليس معناه الوثيقة أو الكلام المنقول بأمانة، أو الأثر المكتوب، إنّما نقصد به ذلك الجهاز المبني من الدلائل المتراكبة حسب علاقات شتى ومستويات مختلفة ذات طبيعة ثقافية، وبعبارة

---

[01] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص52.

[02] ينظر: حسن مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها – دراسة – منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق, سوريا، 2001، ص07.

[03] ينظر: سعد مصلوح، العربية من نحو "الجملة" إلى نحو "النّص"، مقالة في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية، إعداد وديعة طه النجم وعبده البدوي، قسم اللّغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1989، 1990، ص406, 407.

[04] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص76.

[05] ينظر: نفسه، ص67.

أخرى تلك العملية التسنينية لنسق رمزي عبر نسق رمزي آخر أكثر شمولا. هذا الأخير يتمثّل في: اللّغة، الكتابة، الخطاب الشفوي، الوسائل الأدبية[01].

ويكون النّص بذلك مجموعة من العلامات التيّ تنقل في وسط معيّن من مرسل إلى متلقّ باتباع شفرة أو مجموعة من الشفرات. و متلقي هذه المجموعة من العلامات، وهو يتلقاها نصّاً، يباشر تأويلها على وفق ما يتوفر له من شفرة أو شفرات مناسبة. فالاقتراب من قول أدبي بوصفه نصاً يعني اعتباره، بهذه الطريقة، منفتحا للتأويل، برغم ارتباطه بمعايير نوعية معيّنة، وفي هذا المعنى يقابل "النّص" "العمل" Work الذي يمثّل كيانا مغلقا ومكتفيا بذاته. وليس هذا بالتمييز الصارم؛ بل مجرّد توكيد وتفريق طفيف[02].

النّص هو القول اللّغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته[03]، وهو أيضا عنصر حيّ شأنه في ذلك شأن المخاطِب والمخاطَب، وطواعيته للتشريح الموضوعي المطلق محدودة مثل العنصرين الآخرين[04].

أمّا **الثالثة**:النّص بوصفه وحدة كبرى متماسكة[05]، و«يتمثّل في مضمون يمكن أن يتحقّق في أشكال مختلفة، وهو تعبير منطوق (منطوق لغوي) مستمر أو متقطع بدرجة لا تذكر، تدعّمه تفاعلات تواصلية مختلفة بين شركاء الاتّصال»[06]، فكلّ عنصر من عناصر النّص يفهم من خلال الكلّ والكلّ يفهم بوصفه وحدة شاملة تتكوّن من جميع العناصر[07].

---

[01] ينظر: عبد الحميد بورايو، إنتاجية النّص-دراسة في أركولوجية الثقافة الجزائرية من خلال ثلاثة أنماط نصّية أدبية الأسطورة/ الملحمة/ الرواية/- مجلة اللّغة والأدب، الجزائر، العدد 12، 1997، ص193.

[02] ينظر: روبرت شولز، السيمياء والتأويل، ص251، 252.

[03] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ص298، 299.

[04] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص122.

[05] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص70.

[06] نفسه، ص59، 193.

[07] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص112.

النّص لا يكون بالضرورة رسالة تبث باللّغة الطبيعية، ولكن يجب أن يكون رسالة تحمل معنى متكاملا وقد تكون هذه الرّسالة رسما، أو عملا فنّيا، أو مؤلفا موسيقيا، أو بناية[01]؛ وهو حلقة من سلسلة متواصلة من الدالات غير المقترنة بمرجع وهو ما اصطلح عليه (الدلالة المتعالية) أو (الدال المتعالي)[02]. وينظر إليه « باعتباره تواصلا لسانيا، كمرسلة مشفرة عبر وسطيها المكتوب أو الشفوي»[03].

و بناء على ماتمّ ذكره, فإنّ النّص هو « السّطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسّقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ومفهومه مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم: في القانون، والدّين، والأدب، والتّعليم؛ النّص موضوع أخلاقي: أي الكتابة حين تشارك في العقد الاجتماعي؛ إنّه يفرض نفسه، ويطالب بأن نطبّقه، وبأن نحترمه، ولكنّه في المقابل يسِم الكلام بسمة نفيسة جدًّا —لا يملكها في جوهره- ألا وهي: الضمان»[04]. ويكون مسكونا بمعنى، وبمعنى واحد؛ يطلق على المؤلَّف من حيث هو حقيقي. معنىً نهائيا؛ إنّه الأداة العلمية التّي تحدّد باستبداد قواعد قراءة أبدية[05].

فالنّص « له وحداته الصّوتية المنتظمة مع بعضها على نحو من التناسق والتوافق والتآزر في نسق مطرد، مبرّر وغير مكرّر، نسق له ضمن آلاف الأنساق النصّية خصوصية تعبيرية مميّزة بوقائع أسلوبية دالة، متلاحمة في نظامها البنيوي، معبّرة عن حالة وجدانية أو واقعية، يتداخل فيها المنطق واللامنطق، الحقيقة والخيال»[06]، ويبدو للوهلة الأولى أسطورة مغلقة معبّأة بمغامرة دلالية لنص يسعى إلى استقطاب كلّ مدلولات اللّغة. نصّ يثير فضولنا الإنساني لاكتشاف ما وراء

---

(01) ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة- ص110، 111.

(02) ينظر: نفسه، ص130.

(03) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد - التبئير)، ص44.

(04) رولان بارت، نظرية النّص، تر/محمّد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث, 1988، ص89، 90.

(05) ينظر: نفسه، ص90.

(06) علي ملاحي، عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، ص207.

رموزه المكبّلة بانغلاق النّص نفسه على نفسه. ممّا يستدعي العمل على تطويع شفراته لتأويلها، والعمل بعد ذلك على استيعاب تقنيات النّص الإجرائية التي يسلكها في فعله الخطابي[01].

ومن خلال هذه التعاريف يتبدى لنا أنّ حدود النّص تجلّت في بدايته ونهايته، عن عنوانه واستهلاله وعلامات نهايته وعن مكوّناته؛ أي عناصره التّي يتأسّس عليها كالجملة والقول المنجز، والقضية، وبذلك يكون النّص بنية كبرى يتألّف من وحدات ألسنية وتراكيب لغوية، بحيث تتبادل هذه الكلاسيمات وتتقابل في السياق نفسه، وبهذا يعد النّص بنية منفتحة على ذاتها.

كما ألفينا تعاريف النّص عند اللّسانيين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

فعند "جوليا كريستيفا Julia kristiva" هو« عدسة مقعّرة لمعان ودلالات متغايرة ومتباينة، معقّدة في إطار أنظمة سياسية، دينية سائدة»[02].

وهو – النّص- عند "هيلمسلف Hyelmslev " ليس سوى تركيباً للعناصر الشّكلية أو تركيب شكلي من عناصر متعدّدة؛ ومن ثمّ فإنّ النّص حين يتحقّق في جوهر، فإنّه ينتمي إلى جانب الكلام. وتتّضح العلاقة عنده بين النظام والنّص؛ إذ أنّ اللّغة توجد قبل أن تتحقّق في النّص، كما أنّ وجود أي نصّ يفترض بالضرورة وجود نظام لغوي، وأنّ هدف التّحليل اللّغوي هو تمثيل التّقدير الجبري على أساس إمكانات الارتباط التي يمكن أن نتوقعها في النّصوص التي لم تحلّل بعد[03].

وهكذا لا يتصوّر النّص دون النّظام، كما لا يتصوّر الشّكل دون الجوهر والتعبير دون المحتوى, ويؤدي هذا التلازم في إطار هذه النّظرية إلى إمكان التّوازي أو التّماثل الشّكلي بين مستويات التّعبير ومستويات المحتوى، ويفرض ذلك معالجة على نحو مماثل، وبالتّالي نصل آخر الأمر إلى وجود نوعين متساويين من العلاقات والوظائف في كلا الجانبين[04].

---

[01] ينظر: علي ملاحي، عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، ص209.

[02] فؤاد أبو المنصور، النقد البنيوي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1985، ص343.

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص28.

[04] ينظر: نفسه، ص28.

والنّصّ في نظر حسن حنفي « قول صامت، نطق ساكن، حروف مرئية، مدونة حرفية ورق ومداد، والقراءة تحيله إلى معنى وتجعله قولا معلنا، ونطقا مسموعا، وتوجيهات عملية ومعارك سياسية أو اجتماعية، أو أنّ النّصّ بلا موقف، صورة بلا مضمون، غطاء بلا آنية، لفظ بلا معنى، روح بلا جسد»[01].

معنى ذلك أنّ النّصّ يحتوي على كثير من المساحات البيضاء الفارغة، ويحتوي – أيضا- على كثير من أساليب النّفي والاستبعاد، إنّها جميعا خصوصيات بنيوية لأشغال النّصّ نفسه ولذلك فإنّ القارئ عندما يعبر الفجوة التيّ بينه وبين النّصّ باذلا مخططات تتكيّف لكي تستوعب ما هو فارغ في النّصّ لتملأه، وتستحضر في الوقت نفسه ما هو غائب ومنفي ومستبعد فتعلنه , فإنّه يؤسّس موقفا مشتركا بينه وبين النّصّ، عندئذ يصل إلى حالة من التّفاعل بين مخططاته المبذولة للكشف والتّعرف، وبين فراغات النّصّ واستبعاده ونفيه، فالنّصّ بذلك يقدّم له ما يمكن أن يتحرك فيه ويدلّ عليه[02].

لقد عرّف "جاكبسون Jakobson " النّصّ الأدبي بكونه خطابا تغلّبت فيه الوظيفة الشّعرية للكلام، وهو ما يفضي حتما إلى تحديد ماهية الأسلوب بكونه "الوظيفة المركزية المنظّمة" لذلك كان النّصّ حسب "جاكبسون Jakobson " خطابا تركّب في ذاته ولذاته[03].

ولعّل هذا ما يقود إلى البحث عن مفهوم النّصّ عند"هارتمان Hartmann", فلقد حاول أن يقدّم تصوّرا كليّا له في محاضرة بعنوان "النصّوص موضوع لغوي"، يعدّ فيه النّصّ علامة لغوية أصلية، ويرى أنّه ينبغي أن تكون الخطوة التّحليلية الأولى في علم لغة محدّد للنّصّ في إبراز واختيار

---

[01] حسن حنفي، قراءة النّص (الهرمنيوطيقا والتأويل)،مجلة " ألف", القاهرة، مصر، العدد الثامن، ربيع 1988، ص15.

[02] ينظر: مصطفى بيومي عبد السلام، إشكالية قراءة التراث، مجلة فصول، القاهرة، مصر، العدد 63، شتاء وربيع 2004، ص77.

[03] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص92، 93.

إمكانات مختلفة وتشكيلات الأجناس النصّية[01]، فقد حدّ النّص بأنّه « علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتّصالي والسّيميائي»[02]

وفي ضوء هذا المنحى فإنّ النّص عند "تودوروف Todorov": « يمكن أن يكون جملة، كما يمـــكنه أن يكون كتابا تاما، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه»[03].

و يوضّح"هارفج Harweg" أنّ النّص هو ترابط مستمر للاستبدالات التركيبية التّي تظهر الترابط النّحوي في النّص، أمّا "فاينريش Weinrich" فحدّه بكونه تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضا؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكلّ، وعند "برينكر Brinker" تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أيّة وحدة لغوية أخرى[04].

و نشير ههنا إلى أنّ النّص «بصفته دالا Expression، لن يستثمر إلاّ إذا أسند إليه وضع نوعي؛ أي تكوّنه كنموذج للواقع»[05]، كونه ممارسة دلالية منحها علم العلامات امتيازا؛ لأنّ عملها التّي يتمّ بوساطته اللقاء بين الفاعل واللّغة عمل مثالي، وإنّ وظيفة النّص هي التّي تمسرح – إن صحّ التعبير– هذا العمل[06].

يرى "شميدت Schmidt" أنّ حدّ النّص «هو كلّ تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي (في إطار عملية اتصالية)، محدّد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها؛ أي يحقّق إمكانية قدرة إنجازية جليّة. ومن خلال وظيفة إنجازية يقصدها المتحدّث ويدركها

---

[01] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص57.

[02] نفسه، ص108.

[03] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1990، ص128.

[04] ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصّية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، 1998 ص68.

[05] وولف ديبتير ستيمبل، المظاهر النوعية للتلقي، تر/آنفي محمّد، سعيد بنكراد، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي بيروت، لبنان، العدد الثالث، 1988 ص132.

[06] ينظر: رولان بارت، نظرية النّص، ص93.

شركاؤه في الاتّصال، وتتحقّق في موقف اتصالي ما حيث يتحوّل كم من المنطوقات اللّغوية إلى نصّ متماسك يؤدي بنجاح وظيفة اجتماعية اتصالية ، وينتظم وفق قواعد تأسيسية (ثابتة)» [01] .

يحقّق النّصّ, إذن, وظيفة التّواصل والإبلاغ والتّفاعل بين النّاس ومن ثمّ فـ« إنّ الخاصية الأولى للنصّوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتّصال»[02].

وبذلك فالنّصّ إنتاجية، وكذلك لا يعني أنّه منتوج عمل، ولكنّه السّاحة ذاتها التيّ يتّصل فيها صاحب النّصّ وقارئه، فالنّصّ يفكّك لغة الاتّصال، لغة التّمثيل أو لغة التعبير – هناك حيث يمكن أن يتوهم الفاعل الفردي أو المشترك أنّه يحاكي أو يعبّر- ويعيد النّصّ بناء لغة أخرى ذات حجم دون عمق ولا سطح، لأنّ اتساعها ليس اتساع الشّكل، أو اللّوحة الفنّية، أو الإطار ولكنّه اتساع مجسامي[03]، اتساع الحركة التّركيبية، لا حدود له منذ أن نخرج من حدود الاتّصال الجاري – الخاضع للرأي السّائد والقول الشّائع- ومن حدود المشابهة القصّية أو الخطابية[04].

وبصورة موجزة النّصّ« عالم دلالات وبنيات يتمّ إنتاجها من خلال ذات النّصّ، كما تتجلى من خلال الكاتب والقارئ»[05].

إنّ ما يمكن لنا استخلاصه, هو أنّ النّص «يحمل إمكانات نصّوصية قادرة على الانفتاح، وتسعى إلى بناء وجدان جمعي وإلى دلالات شمولية كلّية. وهذه لا يمكن تحقّقها إلاّ بمشاركة

---

[01] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص81.

[02] دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر/تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1988، ص64.

[03] مجسامي: بصورة مضخّمة Stéréographique.

[04] ينظر: رولان بارت، نظرية النّص، ص94.

[05] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص168.

القارئ في إقامة دلالات النّصّ وذلك بعد أن أصبح النّصّ نظاما من الإشارات الحرّة بها تتعدّد مستويات الدّلالة وتتنوّع»[01].

نجد إبراز خصيصة ترابط النّصّ في معظم تعاريفه عند علمائه، ونرى أغلب اللّسانيين يصرّون على وحدة وتماسك النّصّ وهو القاسم المشترك لكلّ التّعريفات التيّ تراهن على أنّ النّصّ وحدة متكاملة تشدّها خاصية التّرابط، حيث يقوم النّظام الكلّي للنّصّ على مبدأ التّماسك المتمثّل في الخاصية الدّلالية الجامعة للخطاب التيّ يعنى التّحليل اللّساني في النّصّ بوصفها وتحديدها[02].

ومن خلال هذه التّعاريف المقتضبة للمفهوم المحدث للنّصّ نستبين جدّة الرؤية التيّ أصبح البنيوي يستهدي بها في كشفه وتحليله للنّصّ، وندرك بوضوح مدى العلاقة التيّ حصرت مرتكز كلّ الدّراسات السّائرة في هذا الاتجاه؛ حيث لم يعد للدّارس الأدبي بدّ من الإلمام بالدّراسات اللّغوية واعتمادها في مختلف مراحل عمله التّحليلي؛ لأنّها الباب الشّرعي الذّي يؤدي إلى القبض على أسرار الكتابة[03].

إنّ ماهو جدير بأن يشار إليه,هو أنّ هذا التّصوّر الجديد للنّصّ أقرب إلى البلاغة منه إلى فقه اللّغة، وهو خاضع لمبادئ العلم الوضعي؛ أي أنّه مدروس بشكل إنّي[04] بحيث يرفض أي مرجع في المحتوى والتّحديدات (الاجتماعية، التّاريخية، النّفسية)، وهو – أي التصوّر- في الوقت نفسه ظاهري؛ لأنّ النّصّ –كما هو الحال في أي علم وضعي- ليس إلاّ موضوعا خاضعا لمراقبة نائية عن المسألة العلمية هذا ما يسمح بالتّأكيد بملاحظة حدود النّظرية الجديدة للنّصّ[05].

---

[01] عبد الله محمّد الغذّامي، تشريح النّص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان, ط1، 1987، ص39.

[02] ينظر: ياسين سراعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص: قراءة في وسائل السبك النصّي www.ulum.nl 2007/12/15.

[03] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص101.

[04] إنّي: الإنيّة: وهي بلوغ الظاهرة بنفسها وجودها الأكمل أو ما يعرف ب Immanente ، ويمكن تقريب الإنيّة من المصطلح الفلسفي Immanentisme والنعت Immanent ويطلق على ما به قوام الوجود بمعنى أنّه نعت لما هو موجود في ذات الشيء ولا يتحرّر إلاّ من تلقائه.

[05] ينظر: رولان بارت، نظرية النّص، ص92.

ولكي يوجد علم جديد لا يكفي, في الحقيقة, أن يتعمّق أو أن يتوسّع العلم القديم – ذلك الذّي يطلّ برأسه حينما نمرّ عبر اللّسانيات وعبر الجملة في العلامية الأدبيّة للأثر الأدبي- وإنّما لابدّ أن يحصل التقاء أصولي متنوّع؛ لا بل غالبا مجهول لبعضه بعضا – هذا هو شأن الماركسية، والفرويدية، والبنيوية- وعلى هذا الالتقاء الأصولي أن يقدّم موضوعا جديدا – وهذا لا يعني أن نقدّم موضوعا قديما بصيغة جديدة- وبالنّظر إلى ذلك نسمّي هذا الموضوع الجديد النّصّ[01].

وبهذا نستطيع القول إنّ حدّ النّصّ قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدّارسين في الرؤى والمواقف وزوايا النّظر حول حقيقته وحدوده وتصوّراته وتحديد الإطار النّظري والإجرائي الذّي تتمّ دراسته فيه، وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية، لم يتحدّد بعد بدرجة كافية؛ بل إنّه مسمى لاتجاهات وتصوّرات غاية في التّباين وفروع علمية غاية في الاختلاف. ونتيجة لذلك فإنّه لا يسود حول مقولاته وتصوّراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلاّ بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التيّ بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى[02].

و بناء على ما تمّ ذكره, فإنّ الحديث عن مفهوم النّص ليس بالأمر الهيّن نظراً لتشعب دروبه, و تنوّع فروعه, فهو يتّسع للعديد من التّعريفات و الحدود, وكلّ تعريف منها يعكس لنا رأي قائله و مكتسباته المعرفية و قدراته اللّغوية, و مهاراته الفكرية, و مرجعياته الثّقافية,وكذا انعكاسات الحياة عليه وانطباعاته الخاصّة, وأسس تكوينه الذّاتي من خصوصيات نفسية واجتماعية.

و من ههنا يمكن لنا القول إنّ اللّسانيين لم يصلوا إلى تعريف ثابت و محدّد و متّفق عليه, و مفهوم فاصل و دقيق للنّصّ, على الرغم من كثرة استعماله و تناوله, نظراً لتنوّع الاتجاهات اللّغوية, والحقول المعرفية التيّ ورد فيها.

---

[01] ينظر: رولان بارت، نظرية النّص، ص92.

[02] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص115.

الفصل الثالث: إرهاصات البحث في لسانيات الجملة ولسانيات النّصّ.

1. النّص في الدّرس اللّساني الحديث.
2. التّجربة الشّكلانية.
3. الشّكلانية الروسية بين النّظرية والتّطبيق.
4. الشّعرية اللّسانية وفق نظرية رومان جاكبسون.
5. مدرسة براغ اللّغوية.
6. مدرسة بلومفيلد التّوزيعية.
7. مدرسة تشومسكي التّوليدية التّحويلية.
8. أصول تحليل لسانيات الجملة في الوصف اللّغوي.
    أ. مفهوم الجملة.
    ب. مفهوم السيّاق.
    ج. مفهوم الإحالة.
9. التّحليل اللّغوي من نحو الجملة إلى نحو النّصّ.

1- النّصّ في الدّرس اللّساني الحديث:

إنّ أهداف الاتجاه النصّي لم تتبلور بشكل كاف إلاّ في دراسات متأخّرة، لم تكف عن رسم حدوده، ومناقشة أوجه الخلط بينه وبين العلوم الأخرى المتداخلة معه، وهكذا فإنّ علماء النّصّ لا يتحدثون عن أشكال بلاغية؛ بل عن أبنية وأساليب تقوم بوظائف بلاغية، وليس من نهجهم أن يتعمّدوا انتقاء الأشكال واستخراجها من هذا النّسيج اللّغوي لتسليط الضّوء عليها؛ إذ أنّ وجودها؛ بل فاعليتها، مرهون بهذا النسيج الكلّي للنّصّ[01].

إنّ « النّصّ يظلّ يتراوح في فضائه المغلق الذّي يحيل إلى مرجعية أحادية، وهي مرجعية الكاتب؛ أي أنّه يظلّ رهن الوعي الذّي تمتلكه الذّات المبدعة. وضمن هذا المجال تحاول القراءة أن تحدث جدلية دلالية تتفاعل من خلالها دلالات النّصّ الذّاتية، والدّلالات التيّ تضفيها القراءة عليه»[02].

لذلك انطلقت «البنيوية من إيمان عميق بأنّ النّصّ يكشف عن بنية محدّدة، وعن نسق أو مجموعة أنساق وأنظمة محدّدة، وأنّ وظيفة القارئ، وكذلك النّاقد، تتمثّل في الكشف عن شفرة النّصّ وأنساقه المختلفة»[03].

فكما «يقدّم الكاتب على إنتاج دلالة النّصّ من خلال بنائه إيّاه، فكذلك القارئ يفتح هذه الدّلالة عن طريق إعادة بناء النّصّ وفق تصوّره وخلفيته النّصّية الخاصّة»[04].

---

[01] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص71.

[02] عبد الوهاب شعلان، القراءة المحايثة للنّص الأدبي، الموقف الأدبي، دمشق ، سوريا، السنة الثانية والثلاثون، العدد 383، آذار 2003 ، محرّم 1424، ص64.

[03] فاضل ثامر، اللّغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي،بيروت, لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص43.

[04] سعيد يقطين، انفتاح النّص الروائي (النّص- السياق)، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان،ط1، 1989،ص76.

يتغاضى المفهوم البنيوي عن المعنى الكامن في النّصّ، ويركّز مقابل ذلك على تحليل وتفكيك العناصر المكوّنة لنصّ ثابت قار بهدف اختبار القيم البنائية التّي أدّت بهذا النّصّ إلى أن يكون وفق هذا النّظام بعينه دون غيره من الأنظمة البنائية المتعدّدة[01].

وينطلق المنهج البنيوي المهتم بالنّصّ من عنصر أساسي أهملته المناهج التّي عرفتها أوربا منذ الإغريق وهذا العنصر هو اللّغة. وقد انبثقت البنيوية عن التّحوّلات الخاصّة في الدّراسة اللّغوية نفسها على يد العالم اللّغوي "دي سوسير De Saussure"[02].

إنّ «سلطة النّصّ التّي أقامتها البنيوية والتّي أزاحت بها سلطة صاحب النّصّ عن موقع الصّدارة تجد أسبابها الخفيّة في حقيقة أخرى يمكننا أن نستلهمها من البحث اللّغوي قبل كلّ شيء، وما بوسعنا الآن استجلاؤه انطلاقا من رؤيتنا للفكر البنيوي في علاقته مع الأدب هو أنّ النّصّ يحدّد بحكم أنّه قد كان وكان يمكن ألاّ يكون، لا أنّه قد كان وكان يجب أن يكون، فالنّصّ يؤخذ وهو جاهز، والأدب يستقيم أدبا في ذاته قبل كلّ شيء» [03]؛ وبذلك تحصر اللّسانيات تحليل الخطاب في داخل النّص« دون غيره من العوامل التّي تقع خارجه»[04].

يرتكز الموقف البنيوي« على الاهتمام بالنّصّ في ذاته، وبالنّصّ من خلال زمن إنشائه في الوقت نفسه ، ذلك أنّ تكوّن النّصّ والانسلاخات التّي يمرّ بها قبل أن يبلغ تمامه لما يشكّل تحوّلات بنيوية هامّة إذا ما تقصينا تعاقبها تحدّدت ملامح البناء النسقي الذّي نريد الوقوف عنده. فممّا اعتمده الاتجاه البنيوي البحث في بنية النّصّ الشّاملة من خلال البحث عن البنى الفرعية والتّي هي مجموعة التّركيبات الجزئية التّي تتوالج لتجسّم التّناسق الجملي الذي يقوم عليه النّصّ» [05].

---

[01] ينظر: علي ملاحي، عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، ص202.

[02] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص100.

[03] نفسه، ص48.

[04] بسام بركة، ماتيو قويدر، هاشم الأيوبي، مبادئ تحليل النّصوص الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 2002، ص10.

[05] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص53، 57.

وينصّب البحث عند البنيويين على اكتشاف القوانين الدّاخلية للنّصّ، تلك التيّ ميّزته عن اللّغة العادية، وحوّلته إلى إيحاء.ويرى أنصار البنيوية أنّ الاتجاهات السّابقة عليهم أو المتعارضة مع جوهر منهجهم لا تخدم النّصّ، وإنّما تستخدمه لأهداف تاريخية أو اجتماعية أو لغوية أو غيرها من الأهداف وهي بالتّالي تستبعده وتتركه خارج مجاله الخاص[01].

إذا ,وتأسيسا على ما تقدّم, يمكن القول إنّ اللّسانيات البنيوية ركّزت على تحديد البنى الداخلية للنص, و اعتبرتها مرتكزا أساسيا للّتحليل اللّساني.

يتطلب النّصّ معرفة واسعة، فقد اختلفت وتنوّعت البدايات والمنابع التيّ استقى منها مفاهيمه وتصوّراته، وكذا مناهجه. وتجلّت هذه البدايات في اجتهادات ودراسات لغوية وتمثّل هذه الموروثات مساهمة جادّة في بلورة تصوّر مناسب لعلم يعنى بوظائف النّصّ وإثرائه وبأبعاده الدّلالية. ومن هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر: المدرسة الشّكلانية الروسية، ومدرسة براغ اللّغوية، ومدرسة بلومفيلد التّوزيعية وأخيرا مدرسة تشومسكي التّوليدية التّحويلية.

2- التّجربة الشّكلانية:

تأثّر الشّكلانيون الروس بالآراء اللّسانية "لدي سوسير De Saussure"، واجتهدوا في إيجاد علم أدبي انطلاقا من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية التيّ هي المادة اللّغوية في حدّ ذاتها لإدراكهم أنّ ما يميّز النّصّ الأدبي، عن أي نّص آخر هو اللّغة في وظيفتها الجمالية؛ كما اهتمت الشّكلانية الروسية بالعلاقة بين اللّغة والأدبية، وكذا بالأعمال الأدبية من خلال الشّكل واستقلال الوظيفة الجمالية عن الجوانب الشّخصية والاجتماعية.

[01] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص102.

كانت الضّرورة الأولى للشّكلانيين متمثّلة في تأسيس علم أدبي يتولى تحديد القوانين العامّة المهيمنة في الأدب التيّ من خلالها يصبح نصّ ما أدبا، ومن هنا تبدأ رحلة التّفسير من النّصّ إلى الأدب، ومن الأدب إلى النّصّ انطلاقا من القناعة التيّ أعلن عنها "تودوروف Todorov"[01].

الأدب ينشأ من الأدب، من هنا يتقارب الإجراء الشّكلاني مع نظرية "دي سوسير De Saussure" في دراسة الظاهرة اللّغوية أو اللّسانيات ذلك العلم المستقل الذّي يتولى دراسة نظام اللّسان البشري من خلال ملاحظة اللّغة .

لم يتشكّل الفكر الشّكلاني دفعة واحدة، لذلك يصعب تحديد مفهوم الشّكلانية في تعريف شامل؛ إذ لا نجد في كتاباتهم سوى مقاربات فعلية تلامس النصّوص بطريقة مباشرة، ولا نجد مجالا للمناقشات النّظرية إلاّ عرضا وفق ما تقتضيه أوليات التّوضيح والإبانة، مع أنّهم طرحوا قضايا تتعلّق بنظرية الأدب ومشكلاته الأساسية, لكن البحث الأوّلي للشّكلانية وتحديد المرجعية الفكرية أمر ضروري لا مناص منه وإلاّ لما استقام الفكر الشّكلاني أصلا[02].

والشّكلية Formalisme تعني الاهتمام بالشّكل؛ أي المظاهر التّركيبية للنّصّ، ذلك أنّ الشّكلانيين قد رفضوا الفصل بين الشّكل الفنّي والمضمون، وأعلنوا استقلال وأولوية الشّكل في الأعمال الأدبيّة والفنيّة؛ لأنّ مبتغاهم هو خلق نظرية أدبية تقوم على النّصّ في حدّ ذاته دون أخذ المقاربات الاجتماعية، والنّفسية، والثّقافية.

توسّع مفهوم الشّكل عند أصحاب هذا الاتجاه (الشّكلانيون الروس) « بحيث يندرج فيه الإدراك الجمالي. وبتعريفهم للعمل الفنّي بأنّه مجموع عناصره» [03].

---

[01] ينظر: نور الدين قارة مصطفى، شعرية رومان جاكبسون، رسالة لنيل درجة الماجستير في النقد المعاصر، إشراف الدكتور عبد الله بن حلّي، جامعة السانية –وهران– الجزائر، ماي 1999، ص08.

[02] ينظر: نفسه، ص08, 17.

[03] روبرت هولب، نظرية التّلقي، تر/ عز الدين إسماعيل، كتاب النّادي الأدبي الثقافي، جدّة، السعودية، ط1، 1994، ص70.

لقد أسهم الشّكلانيون الروس في إرساء جملة من المفاهيم والحقائق الإجرائية المتعلّقة بدراسة النّصّ من خلال الاهتمام بشكلية اللّغة من حيث هي تراكيب وأصوات ودلالات, وباعتمادهم على أدوات نقدية ولسانية قادتهم إلى الوقوف على أدبية النّصّ المحتواة في إعادة مساءلة النّص من حيث هو مجرّد "نصّ" أو "مدونة كلامية".

لقد عدّ الشّكلانيون الروس « أوّل من نبّه إلى أنّ النّصّ منظومة هي تحدّد وظيفة الأدوات الأدبيّة؛ إذ أصبح موضوع الأدب على أيديهم هو الأدبية، وليس أي موضوع نفسي أو اجتماعي أو تاريخي»[01].

فالدّراسات الحديثة «عنيت بالتّحليل الفنّي للنصّوص الأدبية، مخالفة للاتجاه الذّي ظلّ سائدا حتّ أوائل هذا القرن وهو الاتجاه المعمول به في جامعاتنا نحو التّفسير الخارجي سواء أجعل النّصّ الأدبي حلقة في سلسلة تطوّرية من الأعمال الأدبية المشابهة, أم انعكاسا لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو شخصية؛ لم يكن من الغريب، قبل المدرسة البنيوية، أن يتحدّث الدّارس عن كثافة اللّغة الشّعريّة واستعصائها على التّحديد المعجمي» [02].

فالكلمة—من جهة- متعدّدة الدلالات داخل النّصّ نفسه، ومن جهة أخرى ذات ارتباطات تتجاوز النّصّ إلى كلّ ما كتب قبله؛ بل إلى كتاب الحياة نفسه كما يعبّر "بارت Barthes". وإنّما يكتسب المفهومان أبعادا جديدة عندما يرتبطان بالأصول الفكرية المميّزة للمذهب البنيوي[03].

و على العموم بإمكاننا القول إنّ النّظرية الشّكلية ركّزت على دراسة النّصّ في ذاته بدل جعله وسيلة تنتهي وظيفتها وقيمتها بمجرّد تحقيق الهدف منها. ومن ثمّ فموضوع "علم الأدب" هو الأدب نفسه، وليس مجرّد ذريعة للإفاضة في دراسات جانبية أخرى. وقد تكون هذه لفتة

[01] عدنان بن ذريل، النّص والأسلوبية، ص25.
[02] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص94.
[03] ينظر: نفسه، ص94.

إلى الاستخدام النصّي للّغة التيّ تكتسب معناها من داخل النّصّ، وليس من خارجه على الرغم من أنّ البحوث اللّغوية والأدبية (في تلك الحقبة من الزّمن) لازالت بعيدة عن تحقيق نظرية متكاملة في اللّغة[01].

3- الشّكلانية الروسية بين النّظرية والتّطبيق:

يقول صلاح فضل معبّرا عن منهج الشّكلانيين الروس في الدّراسات الأدبية واللّغوية « وفي تحليلاتهم لبنية الوقائع الأدبية – على حدّ تعبيرهم- وميكانيزم العملية الأدبية كانوا يجنحون إلى استبعاد الثنائية التّقليدية المكوّنة من الشّكل والمضمون وإحلال فكرتين محلهما: المادة من ناحية والوسيلة أو الأداة أو الإجراء من ناحية أخرى؛ لأنّ هذه المصطلحات الأخيرة تتّسم من وجهة نظرهم بعدّة مميزات منهجية؛ إذ يتمّ بها إنقاذ وحدة العمل الأدبي العضويّة وأنّ فكرة التّعايش في الشّيء الجمالي بين عنصرين متعاصرين وقابلين للانفصال في الظاهر توحي بوجود مرحلتين متعاقبتين في العملية الأدبية المرحلة السابقة على التّشكيل الجمالي والمرحلة الجمالية»[02].

هذا يعني أنّ الشّكلانيين الروس قاموا بتحديد مجال الدّراسة الأدبية واللّغوية برفض العلوم المجاورة لها على اعتبار أنّها عوائق وبالتّالي جعل الموضوعات الأدبية مادة للنّقد الأدبي، رابطين بينها وبين نظرية جمال مستقلة بدورها عن نفسية المبدع من ناحية، وعن الموضوع الاجتماعي الذّي يشير إليه بأدواته وإجراءاته الخاصّة من ناحية أخرى. وعلى هذا يكون الشّكلانيون أوّل من ألغى التّمييز بين الشّكل والمضمون[03].

---

[01] ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص484.

[02] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص56.

[03] ينظر: عبد الله ابراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة- ص11.

وفي هذا الصّدد, يقول "جاكبسون Jakobson":«إنّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنّما الأدبية؛ أي ما يجعل من عمل أدبيا»[01]؛ إذ يذهب أتباع هذه المدرسة– نقصد الشّكلانيين الروس– إلى ضرورة عزل النّصّ عمّا يؤثّر فيه، وعدّ الأعمال الأدبية أشياء مجرّدة، بعيدة عن تفاعلها مع الزّمان والثّقافة، والنّظر إليها، بوصفها كائنات قائمة بذاتها، لا صلة لها بشيء آخر[02].

ويعتبر مصطلح "الأدبية Littérarité" متعدّد المفهومات، فقد كان يعرف قبلا بالشّعرية؛ وتعني مجموعة المبادئ الجمالية التّي تقود الكاتب في عمله الأدبي، إلى أن جاء الشّكلانيون الروس وأطلقوا عليها تسمية الأدبية، وهي ترمي من خلال خصوصية موضوعها (علم الأدب) إلى التّمايز عن الممارسات التّطبيقية القائمة في اللّسانيات التّي تختص باللّغة، وعلى البلاغة التّي تعالج مختلف أنواع الخطاب[03].

فقوّة الدّفع الأولى لهذه الحركة الشّكلية تمثّلت في الأعلام البارزة التّي أسهمت في تشكيل هذه المدرسة، ويأتي على رأسها اللّساني الكبير "رومان جاكبسون Roman Jakobson" « الذّي واكب العلم الألسني زهاء نصف قرن، وأسهم ليس فقط في إثراء هذا العلم بالمبادئ والمفاهيم والأفكار التّحليلية؛ بل أطلق العنان للمنهجية الألسنية ولتقنية التّحليل فيها لدخول ميادين شتى من المعرفة البشرية»[04]، فضلا عن أنّه بيّن منهج المدرسة وربط بين اللّسانيات والشّعرية باعتبار أنّ كليهما يبحث في الوظيفة الجمالية للّغة.

---

[01] رومان جاكبسون، الشّكلانيون الروس: نظرية المنهج الشّكلي، تر/إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان, الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المغرب، ط1، 1982، ص35.

[02] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة – ص17.

[03] ينظر: جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، تر/وائل بركـــات، دار مهد للطبـــاعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1, 1996,ص34، 35.

[04] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1, 1993، ص09.

تلحّ الشّكلانية الروسية على مفهوم الاستقلالية Autonomie، خاصة في الأمرين التّاليين؛ الاستقلالية في علم الأدب (بوصفه مقاربة علميّة)، وفي الأثر الأدبي (بوصفه مادة بحث نوعي). وبهذا تنقطع الشّكلانية عن المفهومات السّائدة في الحلقات التّقليدية والأكاديمية التّي تعرض العمل الفنّي على مقاييس السيرة الذّاتية والاجتماعية والفلسفية والنّفسية[01].

سبق وأن ذكرنا أنّ للشّكلانيين أثراً في إرساء نظرية أدب تضع العمل الأدبي موضع اهتمامها الرئيس، رافضة المقاربات النّفسية والاجتماعية التيّ كانت تؤلّف جوهر الموروث النّقدي من قبل[02]. وقد ركّز الشّكلانيون اهتمامهم في مجالين بارزين هما: دراسة الصّفة التيّ تجعل من الأثر عملا أدبيا، وهي ما أطلق عليها "جاكبسون Jakobson" "الأدبية"، ومفهوم الشّكل؛ إذ تصدوا بجرأة، لمبدأ ثنائية الشّكل والمضمون في الأثر الأدبي، وهو ما كانت النّظريات النقدية القديمة تذهب إليه، وأكّدوا أنّ النّص الأدبي، يختلف عن غيره، ببروز شكله. وتمثّلت جهودهم في مجال الأبحاث النّظرية، والدّراسات التّطبيقية، وأخيرا، الكتابات الإبداعية، كما توّج ذلك عند "شلوفسكي Chklovski" "وتينيانوف Tinianov"[03].

وقد تبناها البنيويون؛ أي أدبية الأدب، وصارت بندا منهجيا يعتدّ به في عملية القراءة البنيوية لأي بنية نصّية، غير أنّ تطوّر المفهوم وتحوّلاته جعلت من أدبية الأدب تصبح على يد "تودوروف Todorov" رؤية منهجية جديدة، فاتّخذ منها خطوة عملية يحاول من خلالها التّمييز بين القراءة الشّعرية للنّص الأدبي والقراءة التّأويلية، وعلاقة ذلك كلّه بالتّحليل البنيوي والقراءة البنيوية عموما[04].

---

[01] ينظر: جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، ص36.

[02] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر– مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة – ص09.

[03] ينظر: نفسه، ص10.

[04] ينظر: علي ملاحي، عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، ص203، 204.

يرتبط البنيويون بما يسمونه "أدبية الأدب"؛ أي تلك العناصر التيّ تجعل الأدب أدبا «والتيّ يمكن اعتبارها ماثلة في النّصّ محدّدة لجنسه الفنّي ومكيّفة لطبيعة تكوينه وموجّهة لمدى كفاءته في أداء وظيفته الجمالية على وجه التّحديد» [01].

و من هذا المنطلق حصر الشّكلانيون الروس اهتمامهم في نطاق النّصّ، وسكتوا عن كلّ ما يمكن أن يتّصل به من عوامل نفسية أو اجتماعية، قد يدلّ عليها ذلك النّصّ، وقد تكون تضافرت فكانت سببا في وجوده. وحجّتهم في ذلك أنّ الدّراسات التيّ تتناول الأثر الأدبي من الوجهة النّفسية أو الاجتماعية أو غيرهما تخرج عن نطاق علم صناعة الأدب، أو الإنشائية، لتدخل في نطاق علم النّفس أو علم الاجتماع أو غيرهما[02].

وممّا تجدر الإشارة إليه ههنا أنّ المسلمات التيّ انطلق منها الشّكلانيون الروس قادتهم للنّظر إلى النّصّ بذاته والارتباط بمادته، والكشف عن وسائله (الإيقاع، الصّور البلاغية ...). مع ذلك يجدر تمييز هذه التّحليلات التيّ تتمثّل في الممارسة الإجرائية للشّكلانيين الروس عن المشروع النّظري الذّي عملوا من أجله وقدّم غالبا بصيغة الشّعارات. وإذا كانت الدّراسات التّقنية للأدب تشكّل كسبا حقيقيا في هذا المجال –وقد استطعنا مؤخرا التأكّد من أنّنا لم نتوصل إلى أفضل منها حتى الآن– إلاّ أنّها رغم ذلك لا ترتقي إلى مستوى المبادئ المنهجية[03].

ويظلّ هدفهم –الشّكلانيون الروس– هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعدّدة للنصّوص ودراسة علائقها وتراتبها والعناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولّدها ثمّ – وهذا أهمّ شيء– كيفية أدائها لوظائفها الجمالية، فقد أطلق البنيويون شعار "موت المؤلّف" لكي يضعوا حدا للتيارات النّفسية والاجتماعية في دراسة الأدب؛ وبدأ تركيزهم على النّصّ ذاته بغض النظر عن كاتبه ، أيّا كان هذا الكاتب والعصر الذي ينتمي إليه والمعلومات المتّصلة به[04].

---

[01] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص74.

[02] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص172.

[03] ينظر: جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، ص56.

[04] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص79.

فالتّحليل البنيوي لا يتساءل أبدا عن فاعل النّصّ، إنّه يتناول – التّحليل- الملفوظات وليس التّلفّظ[01]، وقد «برهن التّحليل النّفسي أنّه ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدّمه للعناصر (الآثار الفنّية، الملفوظات): ما يمكن أن يقدّمه محصور في ميادين النصّوص والتّلفظات؛ لأنّ فاعل الكتابة أو القراءة مقيّد بترتيبية كلامه – علم مراتب الكلام –»[02].

والشّيء نفسه كان قد ذهب إليه "سوسير Saussure" حين قام بمعارضة اللّغة بالكلام؛ أي بإقصاء فاعل الخطاب ببساطة. إنّ "الأنا" (Le je) هو الذي يتكلّم، لكن ما يقوله ليس ولا ينبغي أن يكون ذاتيا. إنّ "الأنا" هو مكان العلامات، وهو بالأخص مكان المؤولين وهو مكان معزول؛ بل بالعكس هو مكان في حالة وكلّ حالة هي حالة اجتماعية، فإذا كان اللّسان نظريا هو الذّي يجعل من الكلام شيئا مفهوما، فإنّ النّوع الأدبي بقواعده هو الذّي يجعل من النّصّ وحدة عرفية داخل الممارسة الاجتماعية. وقد يكون من الصّعب نكران أنّ قواعد النّوع الأدبي قابلة لأن تندمج في مجموعات واسعة (النّسق الأدبي لعصر ما، إنشائية عامّة)[03].

فهاهو "بارت Barthes" يعلن "موت المؤلّف"، ويعادي كلّ دعوة تنادي بدراسة شخصية صاحب النّصّ للوصول إلى الدّلالة فيه، قد يوافق المرء على أنّ دعوة "موت المؤلّف" كانت بمثابة ردّ فعل على مغالاة أنصار الاتجاه السّياقي الذّي أعطى المركزية في دراسة النصّوص لكلّ ما يتعلّق بالكاتب. لكن هذا لا يعني إلغاء صوته تماما والتّغاضي عن إنجازه[04].

و"بارت Barthes" يؤكّد هنا ما كانت عليه الذّات في المذاهب السّابقة كالفلسفة المثالية وغيرها ، لذا فهو يرفض كلّ الآراء التّي تعلي من شأن صاحب النصّ؛ لأنّ الكاتب حسبه لا يعدو أن يكون مجرّد، ناسخ "سام ومضحك معا" خال من المشاعر والانطباعات، مخلوق أجوف

---

[01] ينظر: رولان بارت، نظرية النّص، ص96.

[02] نفسه، ص100.

[03] ينظر: وولف ديتيرستيمبل، المظاهر النوعية للتلقي، ص116، 127.

[04] ينظر: فاضل ثامر، اللّغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ص129.

إلاّ من هذا "القاموس الهائل الذي يغرف منه كتابه" لا تتوقّف "وتتمثّل كلّ قوّته في مزج كتاباته هنا ومعارضتها هناك دون الإبقاء على أيّ منها"[01].

وبذلك يكون النّص مغلقا أي لا يهتم بما دون وما فوق النّص، ولأبنيته الدّلالية، فهو صالح لكلّ التجارب لأنّه بنية قائمة محدّدة فتخرج من ميدان بحثها عنصر المتكلّم أو الكاتب (Sujet)، وعنصر الظّرف أو السّياق الذي وجد فيه النّص، ولكن ليس من شك أنّ هذين العنصرين يسمحان بفهم دلالة النّص[02].

وممّا لا شك فيه أنّ عدم التّغاضي عن إنجازات صاحب النّص والمعطيات المتّصلة به تؤدي حتما إلى الوصول إلى إضاءات واكتشافات جديدة تسهم كلّها في بلورة دلالة النّص، ويؤكّد "ميشيل فوكو Michel Foucault " «أنّ من العبث أن ننكر وجود الكاتب أو المبدع»[03].

فقد كانت نظرتهم إلى الأعمال الأدبية باعتبارها نظما رمزية دلالية تقوم في الدرجة الأولى على مجموعة من العلاقات المتبادلة بين البنى الجزئية، وعلى العناصر المهيمنة على غيرها للعمل الأدبي. وهذا هو الأهمّ في نهاية المدار، الوظائف التي تحدّد استراتيجيته والتيّ يمكن أن يقاس بها مدى كفاءته أو عجزه مع الأخذ في الاعتبار أنّ البنيوية مالت بشكل واضح وصريح إلى إحلال مفهوم جديد للقيمة يختلف عن المفهوم القديم[04].

إنّ العمل الأدبي في نظرية جمالية الأدب، كما تطوّرت على يد "ميكاروفسكي Mukarovsky" وأتباعه « لا ينظر إليه بوصفه وحدة، وإنّما بوصفه موزّعا على حالتين:

---

[01] ينظر: محمود خضر خربطلي، إشكالية موت المؤلّف، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة، العدد4، 1997، ص286.

[02] ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص69.

[03] ميشيل فوكو، نظام الخطاب وإرادة المعرفة، تر/أحمد السطاتي وعبد السلام بن عبد العالي، دار النشر المغربية، المغرب، 1985, ص19.

[04] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص79، 80.

هناك النّصّ– الشّيء- والذّي يمثّل العمل الأدبي بواسطة القارئ. إنّ القارئ في وفائه لمعايير (أو سنن) عصره يمنح لهذا العمل معنى. وإذا أضفنا إلى ذلك وجود من يضع هذا الانشطار النّظري للعمل الأدبي في تماثل مع ثنائية اللّسان/الكلام، فإنّنا سندرك مباشرة صعوبة الإبقاء على الرؤية التبسيطية التّي تجعل من النّوع مرادفا للّسان، ومن النّصّ مرادفا للكلام» [01].

فغايتهم الوحيدة – الشّكلانيون الروس- هي الوعي النّظري والتّاريخي بالوقائع التّي تخصّ الفنّ الأدبي كما هو عليه. ويثبت "إيخنباوم Eikhenbaum" المآخذ التّي سجّلت على الشّكلانيين وأهمّها الغموض الذّي يلف آراءهم، وتجاهلهم لعلم الجمال وعلم النّفس وعلم الاجتماع. ويرجع ذلك إلى أنّ دراساتهم انصبّت بشكل أساسي على تحليل النّصّ[02].

إنّ ما هو جدير بأن يشار إليه, هو أنّ الاتجاه الوظيفي الحركي هو الذّي قاد «الشّكلانيين الروس المتأخرين إلى إقامة صلة بين الأعمال الأدبية والسّياق الاجتماعي والثّقافي، ويؤدي مفهوم السّلسلة Série هنا دورا رئيسيا؛ إذ تعدّ المواد الأدبية عناصر متعدّدة المعاني Polyvalents فتظهر في السّلسلة الأدبية مثلما تظهر في السّلاسل غير الأدبية (الاجتماعية، السّياسية ...)، وعندما تتغيّر وظيفة كلمة أو تعبير في هذه السّلاسل لا يتأخر صداها عن الظهور ضمن السّلسلة الأدبية» [03].

إذن, و تأسيسا على ما تقدّم, يمكن القول إنّ الحركة الشّكلية الروسية قد لعبت دورا بارزا في تاريخ الدّراسات اللّغوية و الأدبية الحديثة والمعاصرة فرغم التّعارضات والانتقادات التّي تعرّض لها المنهج الشّكلي إلاّ أنّه درج بالنّصّ بذاته اهتماما مركزيا يتجاوز الرؤية التّقليدية التّي كانت تقوم على تفسير العمل الأدبي والبحث في ثناياه عن الظروف الاجتماعية والطّبيعية والنّفسية المتّصلة به.

---

[01] وولف ديتير ستيمبل، المظاهر النوعية للتلقي، ص127.

[02] ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة- ص11.

[03] جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، ص38.

4-الشّعرية اللّسانية وفق نظرية رومان جاكبسون:

الشّعريات « جزء لا يتجزّأ من اللّسانيات، وهي العلم الشامل الذّي يبحث في البنيات اللّسانية»[01]، لذلك نرى "جاكبسون Jakobson" يلحّ على ضرورة التّعامل مع البنيات اللّغوية عند إقبالنا على تحليل نّص أدبي؛ إذ « إنّ فن الشّعر له صلة بقضايا البنية اللّغوية كما يهتم تحليل الرسم بالبنيات الصّورية. وكما أنّ اللّسانيات هي العلم العام للبنيات اللّغوية، كذلك يمكن اعتبار فن الشعر كجزء متمّم للّسانيات»[02].

لم يعد بإمكاننا اليوم أن نعالج المسألة الشّعرية بمعزل عن المسألة اللّغوية، ليس لأنّ الشّعر نصّ مادته اللّغة؛ بل لأنّ ما قدّمته العلوم اللّسانية الحديثة من مفاهيم تخصّ اللّغة ترك أثره العميق والمباشر أحيانا على مفهوم الشّعر، وطبعا على الأجناس الأدبية الأخرى[03].

فالشّعريات هي« الكلّيات النّظرية عن الأدب نابعة من الأدب نفسه وهادفة إلى تأسيس مساره، فهي تناول تجريدي للأدب مثلما هي تحليل داخلي له» [04].

فموضوع الشّعرية, إذاً, « ليس مجموع الوقائع الاختيارية (الأعمال الأدبية)؛ بل بنية مجرّدة هي الأدب»[05]؛ ثمّ إنّ الشّعر ما هو إلاّ «تشكيل للكلمة ذات القيمة المستقلة للكلمة المستقلة»[06] و« أنّ لغة الشّعر غايتها في ذاتيتها وليس في غيريّتها؛ أي لغة تتخالف مع غائية الاستعمال اليومي»[07].

---

[01] Jean dubois et autres, dictionnaire de linguistique. Larousse, Paris, 1973, P381.

[02] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص101، 102.

[03] ينظر: يمنى العيد، في القول الشّعري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص09.

[04] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية، 1985, ص21.

[05] تزفيتان تودوروف، الشّعرية، تر/شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987 , ص27.

[06] تزفيتان تودوروف، نقد النقد، تر/سامي سويدان، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، العراق، 1986، ص25.

[07] رجاء عيد، القول الشّعري، منظورات معاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1995، ص66.

إنّ « النّصّ الشّعري يقدّم نفسه كسلسلة من العلاقات التّرابطية للأدلّة، له بداية ونهاية متميّزتان بصمت أو فضاء أبيض»[01]، وهو أيضا متعدّد الوجوه، والعلاقة بين احتمال وآخر من احتمالات تفسيره؛ أي تأويله، علاقة أقلّ ما يقال فيها أنّها معقّدة. وإذا لم يتّصف النّصّ الشّعري بهذا التعدّد، والتنوّع، فقد – في الحقيقة- جوهره الإبداعي، وهويّته الأدبية، ووحدته[02].

تساءل "جاكبسون Jakobson" قائلا: «ما الذي يجعل الرّسالة اللّغوية عملا فنيّا؟»[03] ويعبّر عن المعنى نفسه بقول آخر:« إنّ استهداف الرّسالة بوصفها رسالة والتّركيز عليها لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشّعرية للّغة»[04]، فالنّص الشّعري الذي نعنيه ليس بالضرورة جزءا ممّا يوصف عادة بالشّعر، وإنّما يكون أيّ شكل من الأدب يمتلك خصائص جمالية أو فنّية[05].

وعلى هذا تكون اللّغة الشّعرية (Poétique) إيحائية بالدرجة الأولى، وليست أداة لنقل المعاني الاتّصالية فحسب، كما هو في اللّغة العادية، فلغة الشّعر باطنية فيها توليد دلالي مزدّوج بين المرسل والمتلقي.

لذا أكّد "جاكبسون Jakobson" على ضرورة وأهميّة دراسة اللّغة في تنوّع وظائفها للتّركيز على فكرة عدم الفصل بين اللّسانيات والشّعريات؛ إذ تعدّ اللّسانيات حقلا خصبا وأساسا لها.

فللّغة وظائف متنوّعة تتعدّد بتعدّد استعمالاتها وموقعها، ويبيّن "رومان جاكبسون Roman Jakobson" أنّ وظائفها تتوزّع على مكوّنات التّواصل اللّغوي: المرسل والمرسل إليه والإبلاغ والشّفرة والاتّصال والسّياق[06].

---

(01) عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص100.

(02) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص98.

(03) Roman Jakobson, questions de poétique, Paris, seuil 1972, P13.

(04) رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر/محمّد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1988، ص31.

(05) ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص75.

(06) Voir : Roman jakobson, essais de linguistique générale, édition de minuit, Paris, 1981, P214

فالتّوزيع الذي وضعه "جاكبسون Jakobson" قد أسند بموجبه لكلّ طرف من الأطراف الدّاخلة في عملية التّواصل اللّغوي وظيفة مخصوصة تقوم بها اللّغة عندما يكون هو محل الارتكاز في عملية الإبلاغ[01].

ويميّز بين ستّة وظائف تؤديها اللّغة وهي:

1. الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية Emotive.
2. الوظيفة الندائية Conative.
3. الوظيفة المرجعية Référentielle.
4. وظيفة إقامة الاتّصال Phatique.
5. وظيفة تعدي اللّغة Métalinguistique انعكاسية كتحديد المعاني "الماء سائل ليس له لون ولا طعم ولا رائحة" أو الحديث عن القوانين النّحوية للّغة باللّغة عينها.
6. وظيفة شعرية Poétique[02].

إنّ وظائف اللّغة التي حدّدها "جاكبسون Jakobson" تعتبر مدخلا لتحليل النصّوص والتّعابير والخطابات المختلفة فتساعد على فهمها على الرغم من الانتقادات التيّ وجّهت إليها فكان منها أنّ هذه الوظائف مرتبطة فيما بينها في رسالة لغوية معيّنة أو خطاب معيّن؛ إذ من النادر أن نعثر على وظيفة واحدة قائمة بذاتها ومستقلّة عن غيرها من الوظائف السّتّة، كما لا توجد مميزات لسانية خاصّة بكلّ وظيفة[03].

وتتيح «كلّ وظيفة من الوظائف المذكورة سالفا، الحصول على فئات دلالية موسّعة تتأتى عن العلاقات المترابطة القائمة بين المتكلّم والآخرين وبينه وبين العالم المحيط به»[04].

---

[01] ينظر: عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص49.

[02] Voir : roman jakobson, essais de linguistique générale, P218.

[03] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، ص125.

[04] ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص245، 246.

وهذه « الوظائف المختلفة تتواجد بالضّرورة ولا يمكن حذف مضمون نصّ أو عزله وخاصة ما يعود إلى الوظيفة المرجعية المحضة "الخبر الكامل" "الموضوعي" في معنى الدّلالة بالكلام على الأشياء ذاتها بعيدا عن الباث. والوظيفتان الانفعالية والانتباهية بالخصوص إذا فهمناهما في المعنى الواسع في علاقتهما المتبادلة وترابطهما بالوظيفة المرجعية تتنزلان في مركز عملية بناء الدّلالة»[01].

ومعلوم أيضا أنّ المنهج البنيوي في الدرس الأدبي «ما انفك يستند إلى ذاك التّوزيع السّداسي، ولاسيما فيما يخصّ الوظيفة الشّعرية التّي تتّصل بالأدب حيث تكون الرّسالة بالمعنى الفنّي في جهاز التّخاطب هدفا في ذاته، فالنّص الأدبي قد عرّف بأنّه ذو لغة ثخنة مقابل الكلام الطّبيعي الذّي تكون فيه اللّغة شفافة، وهذا معناه أنّ الذّهن يخترق اللّغة الفطرية اختراقا أو قل هي تخترق الإدراك الذّهني دون أيّ حاجز، بينما تستوقف اللّغة الأدبية مدارك الإنسان فتحمله على فحصها والتأمّل فيها بغية استيعاب صبغتها المتميّزة» [02].

يمكننا في هذا المقام أن ندرج طرح "جاكبسون Jakobson" الذّي يرى أنّه في الرّسالة الأدبية تكون الهيمنة للوظيفة الشعرية على حساب الوظائف الأخرى دون أن تلغيها، ولتحقيق هذا الإبراز فهو يرى أنّ التّوازي والتّنظيمات المتساندة هي العامل الرّئيسي في الشّعر « إنّ الاختيار ناتج على أساس قاعدة التّماثل والمشابهة والمغايرة والتّرادف والطباق، بينما يعتمد التّأليف وبناء المتوالية على المجاورة، وتسقط الوظيفة الشعرية مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التّأليف، ويرفع التّماثل إلى رتبة الوسيلة المكوّنة للمتوالية ويوضع كلّ مقطع في الشّعر في علاقة تماثل مع كلّ المقاطع الأخرى لنفس المتوالية»[03].

---

[01] كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، تر/المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ,بن عكنون، الجزائر، 1984، ص139.

[02] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص49، 50.

[03] رومان جاكبسون، قضايا الشّعرية، ص33.

ركّز الباحثون الجدد من أتباع "ريتشاردز Richards" على«دراسة النصّوص الشّعرية وعلى عمل المعنى والصّورة فيها. واشتهر اتجاه دراسة الأدب من الدّاخل في فرنسا مع عالم الأنثروبولوجيا "ليفي ستراوس Levi-Strauss" وعالم الدلالات "غريماس Greimas" اللّذين وجها جهدهما باتجاه دراسة النّظم في الشّعر والبنية النصّية في النّثر» [01].

بالإضافة إلى دراسات تبرز أهميّة الخصائص المميّزة للّغة الشّعرية، ففي كتاب المجدّد "لريتشاردز Richards" "مبادئ النّقد الأدبي" 1924 يفرّق بين اللّغة العلمية واللّغة الانفعالية، فاللّغة الأدبية تنقل –حسب هذه النّظرية– تجربة شعورية تثابر فيها الحساسية اتجاه الوجود؛ أي مجموع الوعي المادي والانفعالي الدّاخلي، على الحضور. وبهذه الرّؤية المستمدة من السّلوكية تكون القصيدة المقبولة هي القصيدة الكلّية (قصيدة الاشتمال) التيّ تقدّم تركيبا متوازنا لمختلف الدوافع والمواقف والانفعالات، وقد اقتبس الباحثون الجدد من كتاب "ريتشاردز Richards" "النّقد التّطبيقي" 1929 فكرة أنّ النّصّ يشكّل بنية عضوية يجب النّظر إليها بصورة منفصلة عن سياق الكاتب[02].

ويشارك الشّكلانيون الروس النّقاد الجدد الكثير من افتراضاتهم، فهم أيضا أكّدوا على النصّوص، وأصرّوا على أنّ سياق العالم الخارجي لا يمكن أن يكون مهيمن في النّص الشّعري. ويمكن تكثيف وجهات نظرهم في فكرة "جاكبسون Jakobson" في أنّ النّصّ الشّعري هو النّصّ الذّي يؤكّد على صورته النّصية الخاصّة. وكانوا يختلفون عنهم في اهتمامهم الكبير بالوسائل الإبلاغية وإعراق البنية الشّعرية. وبحثوا دائما عن الشّعري في الشّعر، والنّثري في النّثر، لدرجة أنّه حتّ دراساتهم للنصّوص المفردة كانت تدور حول المبدأ الشّعري[03].

[01] موريس أبو ناظر، الألسنية والنقد الأدبي ، ص08.

[02] ينظر: جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، ص44.

[03] ينظر: روبرت شولز، السيمياء والتأويل، ص34، 35.

لقد تركّزت جهود الشّكلانيين الروس في المرحلة الأولى على تحليل الشّعر، فميّزوا بين المستويات الصّوتية العامّة والصّوتية اللّغوية.وبحثوا مشاكل الوزن والإيقاع باستفاضة وحلّلوا علاقة هذه العناصر بالمستويات الصّرفية والنّحوية والدّلالية[01].

وفهم القصيدة، أو تحليلها، عملية مزدوجة، تتكئ على الغوص في نسيج النّصّ من جهة، وحدس الباحث القادر على لمح الجوانب الخفية في الشّعر، من جهة أخرى. ومن الصّعب الإدّعاء بأنّ في الإمكان أن يقدّم المرء تحليلا للنّصّ الشّعري يجمع بين الشّمول والتّكامل الذّي لا يترك مزيدا لمستزيد. وليس ثمّة من يدّعي القدرة على تحليل النّصّ الشّعري تحليلا يبرز جلّ ما فيه من جوانب جمالية، وفنيّة, ووجدانية، ثمّ التّعبير عنها من خلاله[02].

إنّ «تتبّع الأبنية الصّغرى على المستوى اللّغوي في دراسة الشّعر قد أغرى بعض الباحثين من الوجهة التّطبيقية بإجراء نوع من التّحليلات الميكروسكوبية التّي تتوقف عند علائق الجزئيات الصّغيرة وتضخمها بشكل لا يسمح لها بإمكانية استيعاب الخطوط الكبرى للنصّوص، ممّا يجعل إدراج هذه البنى الصّغرى في بنية كبرى كليّة شاملة خطوة مفتقدة في كثير من الدّراسات، الأمر الذّي أوهم بعض الدّارسين»[03]؛ لأنّ «هذا النّوع من المقاربة النصّية لجزئيات يفضي إلى تفتيت الأعمال ويضيّع الرؤية الشّاملة لأنساقها العامّة، لكن النّقد المتوازن كان دائما يتّخذ التّحليل الميكروسكوبي للخلايا المكوّنة مجرّد وسيلة للنّفاذ إلى بناه الكلّية»[04].

وقد وظّف البنيويون مجموعة من المفاهيم الإجرائية المتعلّقة بتحليل الأجناس بفعالية واضحة، فكانت أفكار مثل الانحراف وتجديد الدّهشة والمصطلحات البديلة تمثّل منطلقات مناسبة لتصوير الأنظمة اللّغوية في الشّعر على اعتبار أنّ ما يمس بالانحراف أو العدول أو الانزياح حسب

---

[01] ينظر: محمّد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية –دراسة في نقد النقد– منشورات إتحاد الكتّاب العرب, دمشق، سوريا، 2003، ص07.

[02] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص108.

[03] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص83.

[04] نفسه، ص83.

ما يفضّله كلّ دارس في الصّياغة يمثّل المنطقة التي يفضي تأمّلها إلى استكشاف خصوصية اللّغة الشّعرية ، واكتشاف فاعلية هذا الإجراء في توليد الدّهشة لدى المتلقين، فعندما تثير الأبنية المعجمية أو التّركيبية أو التّخييلية دهشة المتلقي فإنّها تفعل ذلك بمخالفتها للنّسق المعهود من ناحية وابتكارها لأنواع جديدة في الصّياغة والتّحليل وقدرتها على تحفيز التّلقي الجمالي للنّصّ والتّجاوب الملائم له من ناحية ثانية[01].

ومن المشكلات التي تواجهنا في دراسة اللّغة الشّعرية «كثافة المجاز، ولاسيما الاستعارة والكناية وكلاهما يؤثر في دلالة النّصّ، الاستعارة تعمّق المعنى عبر محور الاستبدال، وهو اختيار شيء لوضعه في موضع شيء آخر. في حين أنّ الكناية تعمّق المعنى عبر خط آخر هو المجاورة وكلاهما؛ أي: محور الاستبدال والمجاورة، يؤثّر تأثيرا كبيرا في البعد الدّلالي للنّصّ، وهذا يجعل تأمّلنا لموضوعه تأمّلا غير قاصر على ملاحظة الشّيء الذّي يحدثنا عنه النّصّ، ولكنّه يشمل – علاوة على ذلك– تلك العناصر التي انتقاها الشّاعر ليشكّل منها معاني القصيدة»[02].

و من هذا المنظور يمكننا القول إنّ نظرية "جاكبسون Jakobson" في الكناية والاستعارة، أو السّلسلة والانتقاء، كما يسمّيها "هاليداي Halliday"، لا تخلو من ثغرة يوّجه من خلالها إليها نقدا. فهذه النّظرية تتناسى أنّ الكناية في بعض الأحيان نوع جديد من الاستعارة، فعلى سبيل المثال يمكننا أن نستعرض الجملتين التّاليتين:

1- "حضر رئيس العصابة ومعه ثلاث بنادق".

2- "حضر رئيس العصابة ومعه ثلاثة مسلحين".

فالمعنى في الجملتين واحد، وهو الكلام على رجال وبنادق، وفي نظرية "جاكبسون Jakobson" تعدّ إحدى الجملتين كناية، في حين أنّ الأخرى استعارة بيد أنّ الخلاف في الجملتين يكاد لا يلحظ. والحالة الوحيدة التي يمكننا فيها أن ندافع عن وجهة نظر "جاكبسون Jakobson "

---

[01] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص83.

[02] إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص98، 99.

هي تلك التيّ يتضمّن فيها استعمال الاستعارة خرقا لطبيعة الأشياء للتّعبير عن معان مجرّدة والحقيقة أنّ "جاكبسون Jakobson" في هذه الفكرة عمّق تأثيره في الدّرس الأسلوبي، والبلاغي[01].

إذا, و تأسيسا على ما تقدّم, يمكن القول إنّ العمل الأدبي-كما اعتبر الشّكلانيون الروس- نظام مغلق يمكن مقابلته بالنّسق، ومن ثمّ يكون الانغلاق هو النّظر إلى العمل الأدبي كنسق مفتوح على ذاته ويتحاور مع سياقاته في إطاره الجمالي بالإضافة إلى رفضهم «للقيمة الإحالية للّغة الشّعرية، فاللّغة الشّعرية في رأيهم ليس لها قيمة مرجعية تتمثّل في الدّلالة على شيء أو أشياء خارجية، الدّلالة كلّها داخل نسق القصيدة والبيت»[02].

إنّ الذّي لا يمكن نكرانه, هو أنّ الشّكلانية الروسية جاءت كتطوّر طبيعي لنتاج فكري, وشكّلت منعطفا حاسما في المسار التّاريخي للدّراسات اللّغوية و الأدبية في تلك الحقبة الزّمنية, و أسهمت إسهاماً فعّالاً في دراسة النّصّ ووصف العلاقات القائمة بين عناصره.و ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الشّكلانية الروسية قد لاقت الرفض والنّقد؛ لأنّها-في رأي الباحثين و الدّارسين- لم تقدّم التّفسير الكافي للأعمال الأدبية, و لم توضّح الجانب اللّغوي والدّلالي للّنصوص. و كان هذا الشرخ الذّي تعرّضت إليه بمثابه التّبشير بميلاد دراسات أخرى.

5- مدرسة براغ اللّغوية:

تعود الجذور الأولى لتأسيس مدرسة براغ الوظيفية إلى العالم اللّساني التشيكي "فيلام ماثيسيوس Vilem Mathesius" الذّي كانت من دعواته الأولى دراسة اللّغة بطريقة جديدة، تختلف عن الدّراسة التّاريخية، ومعنى ذلك أنّه من المؤسّسين لعلم اللّغة الوصفي أو اللّسانيات كما تعرف اليوم في جلّ الكتابات، وينقسم ممثلو المدرسة الوظيفية إلى قسمين: التشيكيون فبالإضافة

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص119.

[02] عبد العزيز حمودة، المرايا المحدّبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أفريل 1998، ص141.

إلى "ماثيسيوس Mathesius" نجد "ب. ترنكا B.Tranka" و"ب.هافرانك B.Havranek" و"ج.فاشكJ.Vachek" واللّسانيون الروس:"تروبتسكوي Troubetzkoy"، و"ت.موكارسفسكي T.Mukarsovsky" ويضاف إليهم "رومان جاكبسون Roman Jakobson" على الرغم من أنّه من أصل بولندي، وظهرت المدرسة الوظيفية في 1926[01]؛ أي « في أواخر العشرينات من القرن العشرين»[02].

وجاء في إعلان براغ أنّه يسمح لنا بممارسة عملية القول في كليّتها وشمولها،ويكشف لنا عن اللّغة لا باعتبارها نظاما ثابتا مفروغا منه وإنّما لما فيها من طاقة خلاّقة[03] ويعدّ «ثورة في علم الأصوات الحديث، واتّضحت الفروق اللّغوية بين العناصر الدّالة وغير الدّالة» [04].

اهتم أعضاء حلقة براغ عموما « بدراسة اللّغة الشّعرية فتوصّلوا إلى وجود نمطين، اللّغة القياسية المعيارية واللّغة الاستشرافية، وعنوا بمشكلة المنهج الملائم للدّراسة اللّغوية، وتبنوا محور التّزامن الذّي اكتشفه "دي سوسير De Saussure" ولم يتجاهلوا أهميّة الدّراسة التّعاقبية للّغة فهي مفيدة لكشف قوانين البنية في الأنظمة اللّسانية، كما اهتموا بالأصوات في الشّعر ونظام المفردات الشّعرية، فقادهم هذا إلى تحديد نظرية في معنى الشّعر، ونظرية في علاقات التّتابع، ونظرية في نظام أشكال المفردات أو مجاميع الأشكال فضلا عن عنايتهم القصوى بالبنية النّحوية»[05].

وتتألّف النصّوص الرّئيسية لمدرسة براغ اللّسانية من البيان المعروف باسم أطروحات "جاكبسون Jakobson"- "تينيانوف Tenianov" 1928؛ أي تاريخ انعقاد أوّل مؤتمر دولي للّسانيات -بلاهاي- ومن أهمّ ما ورد فيه هذه الأطروحات -في إطار المشروع البنيوي- ما قاله "موكاروفسكي Mukarovsky " «من وجوب خضوع العمل الفنّي للتّحليل من مبدأ كونه

---

[01] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، ص110.

[02] نور الدين قارة مصطفى، شعرية رومان جاكبسون، ص17.

[03] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص108، 109.

[04] نفسه، ص110.

[05] عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة - ص16.

محصّلة قوّتين: الحركة الدّاخلية للبنية والتّدخّل الخارجي. إنّ أولى المهمّات المطلوبة هنا هي تعيين مفهوم البنية Structure وتحديدها. ويجهد "موكاروفسكيMukarovsky " لإثبات أنّ الطّبيعة المتميّزة لهذه الكلّية النّاتجة عن بنية جمالية، وليست عن صيغة أو إنشاء مخطط أو كلّية جمع كمّي»[01].

تفترض – مدرسة براغ- أنّ «الدّلالة لا تحدث بحسب مادة الدّال (هذا التّباين يؤسّس علم العلامات)، ولكن أيضا بحسب تعدّد الجوانب التيّ تؤلّف كيان اللاّفظ – فملفوظه ثابت- ويتشكّل دائما تحت أنظار الآخر وبالاستماع إلى حديثه من بعد، يمكن له أن يكون ممارسة؛ وذلك يعني أنّ الدّلالة لا تحدث في مستوى تجريد (اللّغة) كما قال بذلك "سوسير Saussure"،ولكن بترخيص من عملية تستثمر في الوقت نفسه، وبحركة واحدة جدل الفاعل وجدل الآخر، والسيّاق الاجتماعي» [02].

و بناء على ما تمّ ذكره, فإنّ مدرسة براغ اللّغوية استطاعت أن ترسي دعائمها و تصوّراتها المعرفية وأفكارها اللّغوية بفضل المفاهيم التّي جاء بها "دي سوسير De Saussure".

6- مدرسة بلومفيلد التّوزيعية:

لقد كان ظهور "محاضرات" "دي سوسير De Saussure" في علم اللّغة عام 1916 فاتحة عهد جديد في مضمار "العلوم اللّسانية" بصفة خاصّة، و"العلوم الإنسانية" بصفة عامّة[03]، فجميع النّظريات اللّغوية الحديثة مدينة للعالم السويسري الكبير بالكثير من مبادئها الأساسية، خصوصا مبدأ ثنائية العلامة اللّفظية، وأولوية النّسق (أو النّظام) على العناصر، ومبدأ التّمييز بين اللّغة والكلام ومبدأ التّفرقة بين "السّانكروني" و"الدياكروني"، ولعلّ هذا ما حدا بالعالم اللّغوي

[01] جورج مونان، مفهومات في بنية النّص، ص39.

[02] رولان بارت، نظرية النّص، ص93.

[03] ينظر: زكريا إبراهيم ، مشكلة البنية، ص 43.

الأمريكي الشّهير "ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield"[01] إلى القول «بأنّ دي سوسير De Saussure كان أوّل من زوّد علم اللّغة البشرية بأسس نظرية سليمة»[02].

ولابد لنا من أن نلاحظ – في هذا الصّدد– أنّ الأشكال اللّغوية التيّ جعل منها " ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield" موضوعا للوصف التّوزيعي، هي في الحقيقة "علامات لغوية" أريد لها أن تكون "ذات وجهين"، ولكن لمـــّا كان " بلومفيلد Bloomfield" قد عجز عن وصف عملية "الدّلالة" نفسها فقد بقي الوصف التّوزيعي محصورا في دائرة "الصّورة الصّوتية"، أو في مجال الدّال Signifiantالمحض، وبالتّالي فقد ظلّت الوحدات- عند بلومفيلد- مجرّد وحدات ذات وجه واحد[03].

لقدكان "بلومفيلد Bloomfield" ومساعدوه يطوّرون علما للّغة وصفيا وتصنيفيا، ومرتكزا خاصّة على أساليب تقسيمية (Méthodes distributionnelles) ومحدّدين بنيوية النّظام لتزامن السوسورية أوجد هذا أشكالا جديدة في دراسته علم الأصوات الوظيفي La phonologie, وكانت المقابلات (أو الانقسامات الثّنائية في داخل فئة) تخص إلى الآن العلاقات بين الدّلائل والمدلولات في حين أنّه شيّد مع"تروبتزكوي Troubctskoy" نظام مقابلات لفظية يحدّد اللّـــفظ Phonème تبعا لها[04].

فالنّظام اللّغوي الذّي«هو بطبيعة الحال نظام السّلوك الجماعي و الفردي على حد تعبير العالم اللّساني الأمريكي "بلومفيلد Bloomfield" سلوك منظّم متعـــارف عليه بين كـــلّ أعضاء

[01] لساني أمريكي ولد عام 1887، اهتم بدراسة علم الأصوات وعلم الصرف في اللّغات الهندوأوربية، نشر عام 1914 مقدمة في دراسة اللّغة، ونشر مؤلفه اللّغة عام 1933، توفي عام 1949.

[02] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص52.

[03] ينظر: نفسه، ص54، 55.

[04] ينظر: جان بياجيه ، البنيوية، تر/عارف منيمنه، بشير أوبري، دار منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص 67.

الجماعة المتكلّمة يعبّرون عنه بسلوك آخر لغوي منظّم بوحدات لغوية فائقة التّنسيق» [01]

واستطاع "بلومفيلد Bloomfield" أن يجعل الدّراسة اللّسانية دراسة علمية ومستقلة في الوقت نفسه. ويبدو لكثير من علماء اللّسانيات المعاصرين أنّه كان حجر الأساس في بناء النّظرية البنيوية في علم اللّسانيات البشري كما يتجلى ذلك في كتاب "اللّغة"، فقد كان مفهوم "بلومفيلد Bloomfield" لعلمية الدراسة اللّغوية مفهوما تجريبيا مضبوطا مبنيا على أساس استقرائي (Inductive) في جمع المواد اللّغوية ووصفها وصفا دقيقا.

ويرى مازن الوعر أنّ الخطأ المنهجي الوحيد الذّي وقع فيه "بلومفيلد Bloomfield" في دراسته للّغة هو اعتماده على علم النّفس التّجريبي السّلوكي ففي الفترة التيّ كان يكتب فيها كتابه "اللّغة"كان هناك منهج تجريبي جديد في علم النّفس، ذلك المنهج الذي عرف بالمنهج السّلوكي (Behaviorisme) [02].

اعتبر "بلومفيلد Bloomfield" الدّراسات الدّلالية والمعنوية أضعف مستوى في الدّراسات اللّغوية، وفي رأيه ستبقى كذلك إلى أن تتقدّم الدّراسات و البحوث الإنسانية مستفيدة من كلّ العلوم. و هكذا فقد حدّد الدّلالة اللّغوية من خلال علوم أخرى ليست لسانية, ولكن هذا الاعتماد على علوم أخرى لحل المشكلة الدّلالية لا يمنع علم اللّسانيات على حدّ رأيه، من أن يكون علما قائما برأسه.

فبعد أن « استوحى "بلومفيلد Bloomfield" المعطيات النّظرية لعلم النّفس السّلوكي, التيّ كانت سائدة آنذاك، في كلّ مجالات العطاء الفكري الإنساني، أسقطها على المنهج الوصفي اللّساني, ممّا أدى إلى ظهور نظرية لسانية، متكاملة، قائمة على أساس مفهوم الوظيفة (La fonction)، بيد أنّ مصطلح الوظيفة في أوّل أمره استخدم جزافا؛ لأنّه أفرغ من محتواه

[01] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1, 1988، ص 50.

[02] ينظر: نفسه، ص65.

العلمي الذّي عرف به؛ إذ كان المقصود بنعت عنصر لساني بأنّه وظيفي هو الإشارة إلى موقعه بالنسبة إلى العناصر المحيطة به، أو بالأحرى توزيعه في السّياق الكلامي» [01].

و«الدّراسة اللّسانية في نظر التّوزيعيين، ليست البحث عن موجودات مفترضة وراء الأشكال اللّغوية تعدّ أسبابا لها ولانتظامها، إنّ كلّ شيء في الوصف اللّساني يجري على السّطح المنطوق, أو المكتوب، وكلّ محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السّطح هي وهم منهجي عقيم» [02].

ومعنى ذلك أنّ "بلومفيلد Bloomfield" وأتباعه أصرّوا على استبعاد المعنى من التّحليل اللّغوي، مؤكّدين على أنّ الدّراسة الدّلالية لا يمكن أن تخضع لأيّ تحليل علمي دقيق. ولكن لا يمكن إقصاء المعنى أثناء التّحليل؛ لأنّ اللّسان يتبدى في ثلاثة مظاهر هي: الأصوات, التّراكيب والدّلالات.

وتعدّ فكرتا التّوزيع/التّصنيف (Distribution)، والاستبدال/المعاقبة (Substitution) هما أساس تحليل الجملة لدى "بلومفيلد Bloomfield". ويرجع أصلها إلى فكرة "دي سوسير De Saussure" حول العلاقات بين أبنية الجمل والأبنية الصّرفية، ويبدأ التّحليل بالتّجزئة حيث تقسّم الجمل التيّ يمكن ورودها في لغة ما – على المستوى النّحوي- إلى مجموعة من الوحدات المتميّزة وفقا للسّياق الذّي ترد فيه كلّ منها، يطلق عليها وحدات التّقسيم الكلامية: (الأسماء/الأفعال/الصّفات/الحروف...)؛ إذ يلزم ورودها في الجملة حين تتوافر شروط وجودها من جهة السّياق. وتتمثّل العلاقات الأفقية في تلك العلاقات القائمة بين الوحدات النّحوية، والعلاقات الرّأسية في تعاقب أبنية أشكال مختلفة داخل وحدة نحوية بعينها: (قائمة الأفعال وقائمة الصّفات وقائمة الأسماء)[03].

---

[01] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص103.

[02] نفسه:ص 105 .

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص19.

أمّا « الدّلالات فطاقات غير محدودة؛ إذ ينظر إلى الكلمات من منظورات متغايرة، وينتقل في تحديد المعنى من مستوى إلى آخر، وتقسّم الدّلالات إلى مباشرة وغير مباشرة»[01].

و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ مصطلح مؤلف (Constituant) يطلق في اللّسانيات التّوزيعية على كلّ مورفيم Morphème، أو ركن كلامي الذّي يمكن له أن يدرج ضمن بناء أكبر. و تنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين:

أ- المؤلفات المباشرة (Les constituants immédiats): وهي مكوّنات الجملة القابلة للتّحليل إلى مؤلفات أصغر.

ب- المؤلفات النّهائية (Les constituants terminaux): وهي المؤلفات غير القابلة للتّحليل إلى وحدات أصغر[02].

وليكن – مثلا – النّموذج التّالي: بيت شعري من قصيدة "الحزن" لـــ"صلاح عبد الصّبور":

يا صاحبي إنّي حزين.

تتكوّن الجملة من مؤلفين مباشرين هما:

/ يا صاحبي / /إنّي حزين /

2 1

و المؤلفان (1) و (2) نستطيع تحليلهما إلى مؤلفين أيضا:

/ يا / / صاحبي /

4 3

/إنّي / / حزين/

6 5

[01] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص74.

[02] ينظر: أحمد حساني ، مباحث في اللّسانيات ، ص107.

و المؤلف (4) نستطيع تحليله إلى مؤلفين :

/ صاحب / / ي /

8 7

و المؤلف (5) نستطيع تحليله إلى مؤلفين أيضا :

/إنّ / / ي /

10 9

وعليه فإنّ هذه الجملة تتكوّن من عشر مؤلفات:

1- المؤلفات (1)، (2)، (4)، (5) مؤلفات مباشرة؛ أي أنّها قابلة للتّحليل إلى مؤلفات أصغر.

2- المؤلفات (3)، (6)، (7)، (8)، (9)، (10) مؤلفات نهائية؛ أي غير قابلة للتّحليل إلى مؤلفات أصغر منها.

وللتّوضيح أكثر نأخذ المثال الثّاني، الجملة التّالية:

(1) سافر المدير المسؤول.

نلاحظ أنّ هذه الجملة تنقسم إلى مؤلفين مباشرين:

(2) سافر.

(3) المدير المسؤول.

والمؤلف (3) ينقسم، بدوره، إلى مؤلفين مباشرين:

(4) المدير.

(5) المسؤول.

وينقسم كل من (4) و(5) إلى مؤلفين منفصلين:

(6) أل + مدير.

(7) أل + مسؤول.

ولا يزال مفهوم المؤلفات المباشرة مستعملا في أغلبية النّظريات اللّسانية[01].

[01] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص234.

إنّ التّحليل البنيوي الذّي كان يأخذ به "بلومفيلد Bloomfield" وأتباعه والمعروف بتحليل المكوّنات المباشرة فإنّه غير قادر على إعطاء معنى جليّ لا لبس فيه ولا غموض لجملة عربية مثل "زيد وخالد تقابلا". فهذه الجملة تحتمل تفسيرا بنيويا واحدا طبقا لنظرية "بلومفيلد Bloomfield" ولكنّها تحتمل تفسيرات ثلاثة طبقا لنظرية "تشومسكي Chomsky":

1. زيد قابل خالدا.
2. خالد قابل زيدا.
3. زيد وخالد تقابلا.

فالفكرة الأساسية هنا هي أنّ الالتباس أو الغموض الدّلالي وعدم التأكّد منه هو مصدر للتساؤل والحيرة والجدل[01].

و يعتقد "بلومفيلد Bloomfield" أنّ تحليل المعنى هو نقطة الضّعف في الدّراسات اللّغوية, ويذكر أنّه سيبقى كذلك إلى أن تتقدّم المعرفة الإنسانية أشواطا بعيدة تفوق ما هي عليها الآن وإذا كان موقفه مثبطا للعزائم فيما يتعلّق بعلم الدّلالة، فإنّه لم يدع أبدا أنّه من الممكن دراسة القواعد النّحوية والصّوتية للّغة في معزل عن معاني كلماتها و دلالة جملها، إلاّ أنّ أتباع "بلومفيلد Bloomfield" ولاسيما "زيلخ هاريس Zellig Harris"، غالوا أكثر منه في تجاهل الجوانب الدّلالية[02].

ومن خلال هذه الأعمال والاجتهادات اللّغوية التيّ ذكرناها – وباقتضاب شديد- يتجلى لنا أنّ « اللّسانيات تسعى إلى وضع نظرية لدراسة النّصّ المنجز بعد إنهائه وغلق باب تراكيبه باستعمال منهج تحليلي(شكلي) يقوم على شكل النّصّ (من صورته الخارجية)، وبهذا تطرح البنيوية أولا مبدأ الحضور والشّهادةL'immanence يعني الوجود في النّصّ. فالعالم اللّساني يقف عند حدود العبارة المنجزة بالفعل (في مدونة) محاولا تفسير البنية يعني هندسة العناصر الموجودة

[01] ينظر: مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص110.

[02] ينظر: جان بياجيه ، البنيوية، ص 66.

داخل النّصّ وقيامها بذاتها؛ فمدرسة براغ وعلى رأسها "جاكبسون Jakobson" و"بنفنيست Benveniste " تهتم بدراسة علاقة المتكلّم بكلامه يعني وظيفة الكلام وكيفية التّعبير عنها» [01].

أمّا أتباع "دي سوسير De Saussure" (كشارل بالي Bally Charles) فيقترحون لسانيات « تنطلق من اللفّظ (يعني القول) وهي ذات أهميّة، وترفض اللّسانيات التيّ تنظر إلى اللّغة وحدها. وعكسها نجد "بلومفيلد Bloomfield" الذّي يرى أنّه يستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النّصّ بالكون الواقعي، مبيّنا أنّ هناك عوامل كثيرة تتدخّل في نسج العبارة ممّا يعجز على حصرها ويستحيل ضبط خصوصيتها ووصف العلامات البارزة التيّ لها دور في تأليف المقال. وهناك خاصية أخرى هامّة للبنية هي التّمييز بين معاقد الكلام في مختلف وجوهها وبين إنجازها أقوالا ويترتب عن هذا أنّنا نستخلص من النصّوص المختلفة النّاجمة عن ألفاظ القول نظاما للّغة» [02].

إنّ ما يجعلنا نركّز في هذا المقام على "بلومفيلد Bloomfield"هو تبيان وجهة نظره المتعلّقة بإقصاء المعنى من التّحليل اللّغوي, والتّي تعكس تصوّر المدرسة ككلّ, فقد اشتدّحرصه وغيره من المؤيدين في هذه المدرسة على استبعاد الدّلالة من الدّراسات و التّحليلات اللّسانية.

ولابدّأن نشير إلى أنّ المعنى ضروري لتنظيم البناء الدّخلي للنّص, فهو يهدف أساسا إلى الكشف عن المحتويات الدّلالية للكلمات؛ إذ لكلّ لفظ مدلول يختلف عن مدلول لفظ آخر, و هو الذّي يوصل القارئ حتما إلى فهم صحيح لمحتوى النّصّ .

ومن الضّروري ههنا أن نشير إلى أنّ هذه الأفكار التّي تبنّاها "بلومفيلد Bloomfield", قد تعرضت للنّقد و الرّفض من قبل اللّساني الأمريكي "نوام تشومسكي N.chomsky".

---

[01] محمّد الصغير بناي، المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص60.

[02] نفسه، ص61.

وممّا لا شك فيه, أنّ هذا الاعتراض قد شكّل من جهة منعطفا حاسما في المسار التّاريخي للّسانيات من خلال تطوّر الدّراسات اللّغوية و ازدهارها وتعدّد أشكالها. ومن جهة أخرى فإنّ هذا النّقد قد مثل أحد الأسسّ المنهجيّة الهامّة التّي انطلق منها درسه اللّساني الأمريكي.

7- مدرسة تشومسكي التّوليدية التّحويلية:

تنسب النّظرية التّوليدية التّحويلية إلى اللّغوي الأمريكي "أفرام نوام تشومسكي Avram Noam Chomsky"[01]. وأصدر كتابه الأوّل "التّراكيب النّحوية" "Syntactic structure" عام 1957 والذّي بدأ به الثّورة على علم اللّغة الوصفي. وفي هذا الكتاب كان يرتكز أساساً على توليد الجملة وتحويلها فقط و لم يكن يتناول علم الأصوات بصورة منفردة، إلاّ في كتابه "النّظام الصّوتي للّغة الإنجليزية" "The Sound Pattern of English" وكان قد شاركه في تأليف هذا الكتاب العالم المعروف "موريس هالي Morris Halle"[02].

تأثّر "تشومسكي Chomsky" بنظرية "جاكبسون Jakobson" الذّي يرى أنّ الفونيمات هي ملامح مميّزة. وإذا أمْعنّا النّظر في عنوان الكتاب "النّظام الصّوتي للّغة إلانجليزية" لوجدنا أنّه لا يقتصر على قواعد اللّغة إلانجليزية؛ بل كان يريدها قواعد شمولية أو كلّية.

ويرى "تشومسكي Chomsky" أنّ علم الفونولوجي التّوليدي يتناول الفونيمات كوحدات مميّزة في المعنى. والنّظرية التّوليدية التّحويلية لا تتناول هي الأخرى طرق تدريس الأصوات اللّغوية[03].

---

[01] ولد تشومسكي في فيلاديليفيا عام 1928، ودرس علم اللّغة والرياضيات والفلسفة في جامعة بنسلفانيا، كما تتلمذ على يد عالم اللّغة الأمريكي هاريس (Harris) الذي كان أستاذا لعلم اللّغة بجامعة بنسلفانيا. ويعمل تشومسكي الآن أستاذاً لعلم اللّغة في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (M.I.T) منذ عام 1955م.

[02] ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللّغوية www.arabization.org.ma 2007/12/15.

[03] ينظر: نفسه.

وتعدّ اللّسانيات التّوليدية التّحويلية، النّظرية الأكثر استعمالا، ويتجلى ذلك من خلال تأثيرها القويّ في جلّ ميادين المعرفة. كما أصبحت التّيارات اللّسانية تقيس مضامينها وما جاءت به بالقياس إلى النّحو التّوليدي، وما ينتجه من المفاهيـــم ، مفاهيم صورية وأدوات أكثر دقّة وفعالية في تفسير الظّاهرة اللّغوية باعتبارها ملكة بشرية عامّة. وقد نالت هذه النّظرية اهتماما بالغا بفضل تماسكها الدّاخلي، وقيمتها التّفسيرية، وقوّة جهازها المفاهيمي.

لقد اعتمد "تشومسكيChomsky" العقلانية كأساس لنظريته، المتمثّلة في مجال الفلسفة العقلانية متجاوزا كثيرا من الطروحات والمبادئ الفلسفية التيّ تنطلق منها الدّراسات البنيوية، ومنتقدا أيضا تصوّرات علم النّفس السّلوكي في مجال اللّغة واكتسابها و تعلّم قواعدها.

وتعتبر اللّغة،حسب التصوّر العقلاني، تنظيما عقليا فريدا من نوعه، تستمدّ حقيقتها من حيث إنّها أداة للتّعبير والتّفكير الإنساني الحرّ. وبالتالي فهي ليست مجرّد عادات كلامية تقوم على أساس الاستجابة للمثير. ومن هذا المنطلق العقلاني وجّه "تشومسكي Chomsky" انتقاداته العنيفة للتصوّر السّلوكي، الذّي تبَنَّاهُ كثيرٌ من اللّغويين التّوزيعيين أمثال "بلومفيلد Bloomfield"[01].

إنّ "تشومسكي Chomsky" كان واعيا تمام الوعي بالأسس الابستمولوجية التيّ بنى عليها نظريته الجديدة. الأمر الذي مكّنه من تجاوز التصوّر البنيوي في معالجة الظّواهر اللّغوية؛ أي أنّ "تشومسكي Chomsky" نقل اللّسانيات من المرحلة الوصفية إلى المرحلة التّفسيرية .بمعنى أنّه قفز باللّسانيات من مرحلة اعتماد المنهجية التّصنيفية إلى مرحلة التّأكيد على المنهجية التّنظيرية التيّ تهدف إلى وضع نماذج فرضية تمكن من وصف المعطيات وتفسيرها والتكهّن والتّنبؤ بوقوع ظواهر أخرى[02].

---

[01] ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النّص أو لسانيات النّص www.lissaniat.net 2007/12/27

[02] ينظر: نفسه.

فهدف المدرسة التّوليدية التّحويلية الأساسي هو العمل على تكوين نظرية لغوية شاملة Universal تنتظم عموم اللّغات في العالم. والتّمييز بين ما يخص لغة معيّنة وبين ما يخص اللّغات بصورة عامّة[01].

وقد قسّم "تشومسكي Chomsky" الشّمولية اللّغوية إلى قسمين:

أ- كلّية منطقية أو شاملة منطقية Formal universal وهي عبارة عن مبادئ عامّة تحدّد صورة القواعد وشكلها وطريقة عملها من خلال النّظم النّحوية لعدّة لغات معيّنة.

ب- شاملة ثابتة Substantive universal وهي عبارة عن شاملة تحدّد نظماً من العناصر التيّ تتصوّر أو تشكّل في قواعد معيّنة. ويرى "تشومسكي Chomsky" مثلاً أنّ النّظرية التوليدية التحويلية تقترح شاملة منطقية باعتبار أنواع القواعد في النّحو، على حين أنّها تعتبر طبقاً للنّظرية اللّغوية العامّة عناصر كلّية ثابتة[02].

يستعمل "تشومسكي Chomsky" مصطلح النّحو بمعنيين، ويتعلّق الأمر بالمعنى الخاص والمعنى العام، فإذا كان هذا الأخير هو مجموع القواعد اللّغوية كما توجد في ذهن المتكلّم، فإنّ المعنى الخاص للنّحو، هو النّظرية التيّ يسعى عالم اللّسان إلى بنائها وإعدادها، بحيث تكون هذه النّظرية قادرة على وصف ومعالجة القواعد التيّ يتوفّر عليها المتكلّم[03].

ومن هنا فإنّ الهدف الرئيسي للنّحو كما يرسمه "تشومسكي Chomsky"، هو بناء نموذج شكلي يكون بإمكانه اعتبار القواعد التيّ تجعل إنتاج الجمل ممكنا في لغة معيّنة، إنّ هدف هذا النّموذج الشّكلي هو بناء نحو يمكن اعتباره آلية منتجة للجمل في اللّغة. وتتّسم اللّسانيات التّوليدية، في مرحلتها الأولى، بكونها تعتمد التّحليل بواسطة المكوّنات المباشرة المرتكزة على مفاهيم التّوزيع والاستبدال، وهذا الاتجاه التّوزيعي هو الذّي كان سائدا في أمريكا حيث يعتمد رواده على تمثيلات مباينة لتجسيد تقسيمات وتصنيفات الجمل[04].

---

[01] ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللّغوية www.arabization.org.ma

[02] ينظر: نفسه.

[03] ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النّص أو لسانيات النّص www.lissaniat.net

[04] ينظر: نفسه.

و لا بدّ أن نشير ههنا إلى أنّ النّظرية الألسنية الحديثة تحلّل اللّغة من زاوية أنّها مجموعة جمل، كلّ جملة منها تحتوي على شكل صوتي وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن بالشّكل الصّوتي. وقواعد الجملة هي التيّ تفصل التّوافق بين الصّوت والدّلالة[01].

من هذا المنطلق, يظهر أنّ تنظيم القواعد هو الذّي يفصل التّوافق بين الصّوت والدّلالة في الجملة و هو ما نسمّيه بقواعد الجملة. فالقواعد الألسنية التّوليدية والتّحويلية تعتبر أنّ الجملة هي الوحدة الأساسية للبحث الألسني. فتنطلق هذه القواعد من قاعدة بناء الجملة، وتلتزم بوضع وصف بنياني يقدّم كافة المعلومات عن الجملة وعناصرها المؤلفة، عبر قاعدة بناء الجملة بالذّات. فيكون الوصف البنياني هذا بمثابة تحليل الجملة[02].

وتقوم القواعد التّوليدية التّحويلية (Générative transformationnel grammaire) على اعتبار الجملة وحدة لغوية أساسية، وعلى تمييز البنية الظّاهرية للجملة (Structure de surface) عن بنيتها العميقة (Structure de profonde)، وقد ميّز "تشومسكي Chomsky" بين نوعين من تغيير ترتيب الكلمات في الجملة، فالتّغيير الأوّل لا يؤدي إلى تبديل النّظام الأساسي القواعدي للجملة ويحمل فقط طابعاً أسلوبياً سمّاه "التّقديم أو التّأخير الأسلوبي Inversion de stylistique"، أمّا التّغيير الثّاني فيؤدي إلى تبديل النّظام الأساسي القواعدي للجملة وتنجم عنه تحوّلات قواعدية سمّاه "التّقديم أو التّأخير Inversion de Transformation"[03]. ويمكن أن ننظر إلى المستوى النّحوي للجملة على أساس أنّه شيء مستقل كليّاً أو جزئياً عن النّظام الذّي تظهر فيه الكلمات متعاقبة ترتبط إحداها بالأخرى[04].

---

[01] ينظر: محمّد خاقاني، تعليم اللّغة العربية بين المنهج التقليدي والألسنية التوليدية التحويلية www.hawzah.net .2007/12/25

[02] ينظر: نفسه.

[03] ينظر: جعفر دك الباب، مدخل إلى اللّسانيات العامّة والعربية – المنهج الوصفي الوظيفي- www.awu-dam.org 2007/12/15

[04] ينظر: إبراهيم كونغ الجو، رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللّغوية www.arabization.org.ma

فقد أكّد "تشومسكي Chomsky" على وجود علاقة حصرية بين المحتوى الدّلالي والبنية العميقة للجملة، وبأنّ البنى النّحوية للّغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني ولا ترتبط بوظيفة الاتّصـــال التيّ تؤديها اللّـــغة. ثمّ تطـــوّرت نظرية القواعد التّوليدية التّحويلية -على أيدي تلامذة تشومسكي أوّلاً ثمّ تشومسكي نفسه- وأخذت تتّجه إلى اعتبار المحتوى الدّلالي للجملة أحد العوامل الأساسيّة في البنية النّحوية؛ أي أنّها اتّجهت إلى ربط اللّغة بوظيفة الاتّصال. وتسعى نظرية القواعد التّوليدية التّحويلية إلى عدم قصر غاية البحث اللّساني على وصف الظّواهر اللّغوية؛ بل تطمح أن تكون النّظرية اللّسانية قادرة على تقديم التّفسيرات العلمية لجميع الظواهر اللّغوية[01].

إنّ ما يمكن استخلاصه من نظرية "تشومسكي Chomsky"« تخطيها للدّراسة السّطحية التيّ تنتهجها اللّسانيات البنيوية، ولا تتعداها للبحث عن المستوى العميق للكلام، ولا تأخذ مبدأ التّأويل في حسبانها، فالدّرس التّوليدي التّحويلي يعالج عملية التكلّم وميكانيزماتها التيّ تظهر في الاستعمال المبدع للّغة »[02].

و تجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنّ النّحو التّوليدي التحّويلي لم يسلم من النّقد,فقد سعى البعض إلى تبديد رؤية "تشومسكي Chomsky" الرّامية إلى إعطاء الأولية للجملة, و اقتصار التّحليل اللّغوي عليها, و قد تضمّن هذا الاعتراض والنّقد دعوة صريحة وملحّة إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة, والتطلّع إلى وحدة تحليلية أكبر منها؛ لأنّ التّحليل اللّساني للجملة لا يقدّم التّفسير الكافي بالنسبة لما يقدّمه النّصّ.

8- أصول تحليل لسانيات الجملة في الوصف اللّغوي:

[01] ينظر: جعفر دك الباب، مدخل إلى اللّسانيات العامّة والعربية – المنهج الوصفي الوظيفي- www.awu-dam.org

[02] أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.net 2007/12/11.

تساءل "ديكرو Ducrot" « هل يمكن للّسانيات أن تكون ضرورية لتحليل النصّوص؟ وهل يمكن لتحليل النصّوص أن يكون ضروريا للّسانيات؟ »[01] من خلال هذا القول يتبدى لنا أنّ اللّسانيات تقتحم حقل النصّوص متفحصة مركباته اللّغوية والدّلالية[02].

وذلك بفضل« العمل البنيوي الذّي يقوم على تقسيم النّصّ إلى وحدات كبرى تكوّنه وهي المقطوعات ثمّ على تقسيمها إلى مراحل أو إلى عناصر تسمى جملا، ثمّ تدرس مختلف العلاقات بين المقطوعات وبين المراحل وبين الجمل» [03].

وقد استهلّت اللّسانيات دراستها بالوحدات الصّوتية المميّزة، مع علم الأصوات ثمّ بالجملة وبأقسام الجملة مع النّحو التّحويلي، ثمّ تتجاوزها لتصل إلى الخطاب[04].

وإذا كانت «دلالة الخطاب تتضمّن في المعجم اللاّتيني الحوار, وكذا معاني الخطابة فإنّ اللّسانيات المعاصرة حدّدت جغرافية الخطاب عند حدود الجملة، حيث حظيت بالاهتمام والدّرس بوصفها وحدة تتوافر على شرط النّظام. وهي غير قابلة للتّجزئة، وإذا أمعنا النّظر في ماهية الخطاب على أنّه ملفوظ يشكّل وحدة جوهرية خاضعة للتأمّل. ففي حقيقة الأمر فإنّ الخطاب ما هو إلاّ تسلسل من الجمل المتتابعة التيّ تصوغ ماهيته في النّهاية» [05].

وهنا يظهر مأزق اللّسانيات أو محدوديتها على الأصح. في معالجة إشكالية الخطاب؛ لأنّها تحصره في نطاق الجملة التيّ نظر إليها "أندريه مارتيني AndréMartinet" أنّها أصغر مقطع ممثّل بصورة كليّة وتامّة للخطاب. غير أنّ هذا لا يفضي إلى عجز الدّراسات اللّسانية في عدم إمكانيتها على معالجة قضايا أكبر من الجملة، وبالتّالي قدرتها على تحليل الخطاب. فهناك تباين

---

[01] Oswald ducrot, les mots du discours, édition de minuit, Paris, 1981, P07.

[02] ينظر: الحبيب مونسي، النّص وفاعلية التذوق الأدبي – مقارنة تطبيقية لكيفيات تلقي النصوص- التلقي المشهدي- مجلة الموقف الأدبي، دمشق،سوريا، العدد 383، السنة الثانية والثلاثون، محرّم 1424، آذار 2003، ص85.

[03] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص103.

[04] ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص131.

[05] أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.com.

في تحديد بنية الظّاهرة اللّغوية. فعلماء اللّغة يحدّدون الكلمة بأنّها "وحدة في جملة تحدّد معالم كلّ منها بإمكانية الوقوف عندها"[01]؛ ثمّ «إنّ الكلمات بتركيبها ودلالاتها وأشكالها الخارجية والدّاخلية ليست علامات منقطعة عن الواقع، وإنّما تملك وزنها الخاص وقيمتها الخاصّة»[02]، و« تشكّل – مجتمعة - بناءً مرصوصا لا صدع فيه، وهي تتّفق – مجملة - في المقاصد والغايات»[03].

أ- مفهوم الجملة:

حظيت الجملة بنصيب وافر من الدّراسات على مرّ العصور, وتعاقب الحضارات كونها ميدانا خصبا للدّراسة الإجرائية في مختلف جوانبها, الصّوتية و الصّرفية و النّحوية و الدّلالية,و أيضا وظائفها داخل الأبنية اللّغوية من خلال الكشف عن تنوّعاتها المختلفة.

إنّ« اهتمام المنظرين اللّسانيين بوصف الجملة وتحليلها يعدّ ظاهرة لسانية، رافقت القرن العشرين ويرتدّ هذا الاهتمام الملحوظ إلى طبيعة البنية التّركيبية للجملة بوصفها آلية جوهرية قادرة على توليد عدد لا حصر له من البنى اللّسانية، زيادة على كونها الرابط الضّمني بين التّمثيل الصّوتي والتّمثيل الدّلالي للنّظام اللّساني» [04]. ولذلك «فالوحدة الأساسية في اللّغة هي الجملة، فاللّغة مجموعة جمل وهي وحدة أخيرة في اللّغة» [05].

إنّ الجملة « هي الصّيغة التيّ يعبّر بها عن الصّورة اللّفظية، والتيّ تدرك بواسطة الأصوات والجملة كالصّورة اللّفظية عنصر الكلام الأساسي. فبالجمل حصلنا لغتنا، وبها نتكلّم ونفكّر أيضا، الصّورة اللّفظية يمكن أن تكون في غاية التّعقيد، والجملة تقبل بمرونتها أداء أكثر العبارات

---

[01] ينظر: أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.com.

[02] Roman jakobson, questions de poétique, P124.

[03] ناصر لوحيشي، تداخل علوم اللّسان وتكاملها – العروض وعلاقته بالعلوم الشرعية- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد2، محرّم 1424، مارس 2003، ص181.

[04] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص99.

[05] مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث، ص76، 77.

تنوّعا فهي عنصر مطاط، غير أنّ الجملة لها امتداد الصّورة اللّفظية بالضّبط؛ بل إنّها غير محدودة بالطّاقات الصّوتية؛ إذ أنّه في غالب الأحيان لا يكفي نفس واحدة لنطق جملة بتمامها» [01].

الجملة« كلام في عملية الاتّصال، وعليه فإنّها تعرف استنادا إلى خاصية بنيوية –قواعدية– يتمتّع بها كلّ كلام مفيد»[02]، و« يتمّ تركيبها بكلمات يتعلّق بعضها بالبعض الآخر»[03]؛ إذ « هي رهينة كلماتها المكوّنة لها »[04]، وهي « عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها تتألّف من أجزاء لسانية تحكم بنيتها لتجعل منها نظاما تربطه علائق دلالية تعدّ مرتكزاته الأساسية الماثلة والمتمثّلة في جملة من القضايا اللّغوية» [05].

ليست الجملة مجرّد مجموعة من الكلمات؛ بل إنّ علاقة هذه الكلمات بنيويّا هي التيّ تجسّد الجملة[06]؛ وهي وحدة نظرية نظامية، إطارها اللّغة، وتنطلق من قدرة لغوية[07]. وقد حدّدها "بلومفيلد Bloomfield" وتلاميذه بأنّها أكبر وحدة في التّحليل والوصف[08].

لقد رأى "دي سوسير De Saussure" «أنّ الجملة عبارة عن تتابع من الرّموز، وأنّ كلّ رمز يسهم بشيء من معنى الكلّ؛ لهذا فكلّ رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده، وأطلق على تتابع الرّموز وارتباطها في داخل الجملة مصطلح Syntagmatique. وتضمّ الجملة كذلك علاقة رأسية، أطلق عليها مصطلح Paradigmatique، ويقصد بها دخول الرّمز الواحد

---

[01] فندريس، اللّغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر , 5 ديسمبر ,1950، ص101.

[02] صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص57.

[03] عبد الحميد كمون، أهمّ المدارس اللّسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص71.

[04] نفسه، ص73.

[05] صفية مطهري، التفاعل الدلالي بين المستويات اللّسانية، ص04.

[06] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص128.

[07] ينظر: ياسين سرايعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص– قراءة في وسائل السبك النّصي–www.ulum.nl .2007/12/27

[08] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص109.

في علاقة مع كلّ الرّموز، التيّ يمكن أن تشغل المكان المحدود المعيّن للرّمز المعيّن. وهكذا اعتمد تحديد الوظائف على العلاقتين الرأسية والأفقية معا»[01].

إنّ الجملة عند "دي سوسير De Saussure" تعدّ «أفضل نمط للتّركيب، تنتهي إلى الكلام لا إلى اللّسان»[02]؛ وقد اعتبر "سابير Sapir" «الجملة اللّغوية وحدة وظيفية أساسية في العملية التّبليغية أو الاتّصالية، وقد نظر إلى الكلمات على أنّها وحدات نفسية تختلف من لغة إلى أخرى»[03]؛ وحدّها «بأنّها التّعبير اللّغوي الذّي يعبّر عن قضية ما. وهو في هذا يجمع بين عناصر شكلية ودلالية ومنطقية، حيث يربط بين الشّكل اللّغوي والمعنى»[04].

يرى "بنفنيست Benveniste" أنّ « الجملة تخضع لمجموعة من الحدود؛ إذ هي أصغر وحدة في الخطاب؛ ونجده يقيم مع العديد من اللّسانيين الغربيين مفهوم التّلفظ Enonciation وهو يعني الفعل الذّاتي في استعمال اللّغة؛ إنّه فعل حيوي في إنتاج نصّ ما، كمقابل للملفوظ énoncé باعتباره الموضوع اللّغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذّات التيّ أنجزته»[05]. وهكذا يتيح التّلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التّواصل ووظائف اللّغة. ويرى "بنفنيست Benveniste" أنّ التّلفظ هو موضوع الدّراسة وليس الملفوظ[06].

ويرى أيضا – العالم اللّساني الفرنسي "بنفنيست Benveniste"- أنّ « العبارة وحدة لسانية متميّزة بخصائص فريدة، فهي تستوعب الإشارات، وإن لم تكن إشارة بحدّ ذاتها، ولا يصح تعريفها إلاّ بوصفها محمولا، ولذلك تختلف اختلافا بيّنا عن سائر الوحدات اللّسانية. فهي ترقى إلى الحد الأقصى في تحليل المستويات من الوحدات الصّوتية (Phonèmes) إلى الوحدات الدّالة

---

(01) سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص19، 20.

(02) عبد الجليل مرتاض، اللّغة والتواصل- اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي- دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة, الجزائر، 2000، ص54.

(03) رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص86.

(04) سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص23.

(05) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، ص18، 19.

(06) ينظر: نفسه، ص19.

(Monèmes) فالعبارة، وإذا أمكن إحصاء الوحدات الصّوتية والوحدات الدّالة فإنّ العبارة لا حصر لها، كذلك يمكن دراسة الوحدات الصّوتية والوحدات الدّالة، من حيث توزيعها أمّا العبارات فلا توزيع لها»[01].

إذا كانت اللّسانيات تصف الجملة على عدّة مستويات (صوتية، نحوية، فونولوجية...) وتتيح لنا نظرية المستويات مع "بنفنيست Benveniste" النّظر إلى نمطين من العلاقات التّوزيعية والإدماجية فعلينا القيام بإنجاز مثل هذا العمل فيما يتّصل بالحكي[02].

إنّ «هذا المعطى التّصوّري للجملة لا يقلّل من قيمة اقترابها من مفهوم الخطاب، فإذا كانت عناصر مثل الكلمة والصّوت والنّغم تشكّل إطار الجملة، وتعمل على بناء المعنى، فهذا لا يعيق دراسة الخطاب من وجهة نظر لسانية. "فإميل بنفنيست Emile Benveniste" يعالج مشكل الخطاب معالجة لسانية، فالجملة بالنسبة إليه وحدة لسانية لا تؤلّف صنفا شكليا من الوحدات المتعارضة بينها، مثل تعارض الفونيمات مع الفونيمات أو هذه الأخيرة مع المورفيمات، أو المفردات مع المفردات»[03].

و على هذا الأساس يمكن القول إنّ "بنفنيست Benveniste"قد ركّز على قيمة عملية التّلفظ التيّ لم تنل اهتمام اللّغويين القدامى، ونظر إليها بوصفها موضوعا لا يندرج في نقاط الدّراسة اللّسانية. ولكنّها أضحت مادة جديرة بالاهتمام ؛لأنّها تنقل اللّغة من سكونيتها إلى حركية الاستعمال الفردي (الكلام والخطاب)[04].

---

[01] صالح الكشو، مدخل في اللّسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص131، 132.

[02] ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)،ص38.

[03] أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.com

[04] ينظر: نفسه.

إنّ الجملة في نظر "هاريس Harris" « وحدة هلامية المعاني، سديمية، في اللّغة المحكية وهي موضع تأمّل علم اللّسان البنيوي، في حين أنّ الكتابة، وحدها، هي التيّ تضفي على هذه الجملة تسلسلها، ونظامها السّياقي»[01].

ويذهب "هاريس Harris" إلى أبعد من ذلك « فيؤكّد أنّنا إذا تأملنا الجملة المحكية "جورج هو الذّي اشترى الصّورة" من حيث تركيبها النّحوي والدّلالي، وطريقة ترتيب الألفاظ واحدة بعد الأخرى، تكشف ذلك عن حقيقة واحدة، وهي أنّ النّموذج المتحكّم في اختيارات المتكلّم الذّي يبني جمله هو النّموذج نفسه الذّي عرفناه –تاريخيا– من خلال الجملة المكتوبة "جورج هو الذّي اشترى الصّورة"»[02].

ولا بدّمن الإشارة ههنا إلى أنّ الجملة ليست « بعلامة ولكن وحدة من الخطاب لا يمكن فصلها إلى مجموعة مكوّناتها إلاّ بالاعتماد على وظيفة الإسناد prédication؛ أي وضعها في علاقة مع المرجع من جهة، وإخبار المتلفّظ وإثباته من جهة أخرى»[03].

و انطلاقا من هذا يمكننا أنّ نقول إنّ « الحدث اللّغوي يتجلى في الجملة Prédication هذه الأخيرة ليست مجموع كلماتها ولكنّها كينونة مستقلة. إنّها قد تشير إلى الحدث اللّغوي ولكن هذا الحدث لا يفنى ويبقى في الجملة. والعلاقة بين المعنى والحدث اللّغوي علاقة جدلية. إنّ اللّغة لا تتكلّم، ولكن النّاس يتكلّمون، والحدث اللّغوي يشير في جانب منه إلى المتكلّم، وفي جانب منه إلى الكلام، والعلاقة بينهما علاقة تأثير متبادل» [04].

---

[01] إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص88.

[02] نفسه، ص89.

[03] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص137.

[04] نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص45، 46.

إنّ الجهاز الشّكلاني للتّلفظ عنصر من عناصر اللّغة التيّ تشكّل ماهية الخطاب. فتحديد العلاقة بين الباث والمتلقي، تسمح للفاعل المتلفظ أن يجد منزلة في الخطاب، وقد يجد أيضا الفلاسفة ضالتهم في البحث عن الذّاتية التّي تتجلى في حريّة كلام الفاعل المتلفّظ الفردية[01].

إنّ«ربط تصوّر الملفوظ بالخطاب كان يقتضي وضع قواعد للتّسلسل وللمسار الذّي يتوافر على قابلية التّعبير بالكلام، غير أنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ الملفوظ وحده لا يحدّد الخطاب إلاّ إذا أضيفت إليه وضعية الاتّصال Situation de communication + énoncé = discours »[02]

وبذلك تكون الجملة هي « الوحدة اللّغوية المجرّدة، تقابلها مجموعة من الكلمات المركّبة حسب قوانين التّركيب، المجموعة المأخوذة خارج كلّ حالة خطاب، ما ينتجه المتكلّم، وما يسمعه المخاطَب»[03]. وإذا كانت « الجملة عبارة عن وحدة نحوية فالنّصّ لا يعدّ وحدة نحوية أوسع من الجملة وفقط؛ بل هو وحدة دلالية تتشكّل انطلاقا من متواليات من الجمل في مقام اتّصالي محدّد»[04].

و ما من شك في أنّ « القارئ لا يجد منفذا شرعيا ومهيّأ للولوج إلى الأعماق الدّلالية للنّص غير الجمل، فهي بمثابة العناصر التيّ تؤازرنا على وصف العلاقات بين أجزاء النّص في علاقتها مع الكلّ»[05]. وهذا من خلال التّفاعل بين العناصر النّحوية والعناصر الدّلالية« فكما يمدّ العنصر النّحوي العنصر الدّلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذّي يساعد على تمييزه وتحديده، يمدّ العنصر الدّلالي العنصر النّحوي كـــذلك ببعض الجوانـــب التيّ تســـاعد على تحديده وتمييزه؛ إذ يوجد بين العنصرين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري دائم»[06]؛ إذ تنمو علاقات هرمية تتشابك بها سائر عناصر النّصّ لتكوّن دلالاته الكليّة[07].

---

(01) ينظر: أحمد يوسف، تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات www.nizwa.com

(02) نفسه.

(03) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص137.

(04) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصّية، ص68.

(05) عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي – طروحات جدلية في الإبداع والتلقي- ص118.

(06) محمّد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة –مدخل لدراسة المعنى النحوي- القاهرة، مصر، 1983، ص113.

(07) ينظر: عبد الله محمّد الغذامي، تشريح النّص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، ص40.

تقوم الجملة على نظام من العلاقات بين العناصر، ولا وجود لهذه العناصر إلاّ في هذه العلاقات، وأي تغيير يحدث في العلاقة بين عنصرين -أي بين عنصر وآخر- ينجرّ عنه تغيير في النّظام كلّه.

بحيث «تتعقّد العلاقات بين مكوّنات الصّياغة اللّغوية، وترتد أعجازها على صدورها وتتشابك العلاقات في نسيج معقّد بين الشّكل والمضمون على نحو يصبح فيه ردّ الأمر كلّه إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلا للظّاهرة المدروسة، وردّا لها إلى بساطة مصطنعة تخلّ بجوهرها وتفضي إلى عزل السّياقات المقالية والمقامية والأطر الثّقافية، واعتبارها أمرا قائما خارج النّحو وطارئا عليه» [01].

فالوصف يرتكز على العناصر نفسها؛ بل على العلاقات التّي تربطها مع بعضها، والتّي يجب على اللّسانيات أن تصفها، وهذه الفكرة مقابلة ومتناسبة مع قول "سوسير Saussure" بدراسة الجملة في ذاتها ولذاتها[02].

ومن هنا فقد حاول "سوينسكي Sowinski" أن يقدّم تصوّرا مجملا لتحديد مصطلح "جملة" معروفة، وما دام المرء لا يتشبث بتعريف معيّن و ثابت لها فإنّه لا يمكنه أن يفصل – بلا ريب- الجملة عن النّصّ. بيد أنّه حتى في تعريفات لغوية محدّدة للجملة، مثلا: الجملة تتكوّن من مركب اسمي ومركب فعلي تابع له (S = NP + VP) يتبيّن أنّه توجد ظواهر نحوية أخرى تتجاوز حدّ الجملة, ولا يمكن أن تتّضح إلاّ من خلال ترابط النّصّ (مثل: صور التّحويل إلى الضّمير، والموقع الخارجي وأشكال التّمحور، والجمل التابعة، والجمل المجتزأة والجمل الاعتراضية... إلخ)[03].

---

[01] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص36.

[02] ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص58.

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص139.

و على العموم بإمكاننا القول إنّ حدود الجملة كثيرة و متنوّعة, و ليس من السّهل تحديد تعريف كامل و شامل و موحد لها؛ فبعض التّعريفات تعتمد على المعنى, و بعضها يضيف إلى المعنى الشّكل, و بعض ثالث يعتمد على الشّكل فقط, و هذا ما يفرض على المنشغل في البحث عن مفهومها المعرفي العام تتبع جلّ الدّراسات و الأعمال اللّغوية التّي وردت فيها مفهوما و تطبيقا.

أمّافيمايخص اللّسانيات, فقد حدّدت الجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النّحوي، فمعنى ذلك أنّها تتضمّن وحدات أخرى يطالها الوصف اللّساني بالضّرورة. وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ اللّسانيات بوقوفها عند حدّ الجملة كوحدة كبرى ما تزال مطروحة عليها العديد من القضايا والمشاكل التّي يثيرها الموضوع، وتتعدّد في تناوله ومقاربته الاتجاهات والنّظريات. لذلك نجد العديد من اللّسانيين إلى يومنا هذا ما يزالون يصرّون على ضرورة الوقوف عند حدّ الجملة وعدم تجاوزها، وإن كان آخرون يؤكّدون على حتمية تخطي و تجاوز هذا الحدّ لما له من فوائد على تحليل الجملة ذاته[01].

إنّ « الدّراسات النّحوية السّابقة قد عنيت – بما لا يدع مجالا للشّك- عناية كبيرة بالعلاقات بين وحدات الجملة، وقدّمت أشكالا متعدّدة من الوصف والتّحليل اللّذين يستخدمان حتى الآن في إطار هذه الاتجاهات الشّكلية»[02]؛ من«خلال الكشف عن العلاقات بين الوحدات اللّغوية المكوّنة لها ومحاولة تقعيدها وفقا لخواصها التّركيبية»[03].

وبذلك « تتوقّف اللّسانيات عند حدود الجملة، وتعطي بوضوح الوحدات التّي تركّبها "تراكيب تعبيرية، كلمات صوتات". ولكن ماذا وراء الجملة ؟ ما هي الوحدات البنيوية للخطاب – إذا عدلنا عن التّقسيم المعياري للبلاغة التّقليدية-؟ هنا احتاجت العلامية الأدبية إلى مفهوم النّصّ

---

[01] ينظر:سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص15، 16.

[02] نفسه، ، ص222.

[03] حلمي خليل، العربية وعلم اللّغة البنيوي – دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديث- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر, 1992، ص132.

كوحدة استدلالية سطحية أو داخلية للجملة، وهو دائما مختلف عنها؛ لأنّ مفهوم النّص لا يتحدّد على مستوى واحد كذلك الذّي للجملة بهذا المعنى يجب أن يتميّز النّصّ من الفقرة التيّ هي وحدة طباعية مؤلفة من عدّة جمل»[01].

بما أن النّصّ مصمت[02]، فإنّنا نستطيع أن نجد له بتمامه مقياسا استدلاليا. ونحن نعرف أنّ ذلك المقياس مقسّم تقليديا إلى ميدانين متمايزين وغير متجانسين، الأوّل هو أنّ كلّ مظهر خطابي ليعدّ أقلّ من الجملة أو معادل لها ينضوي قانونيا تحت لواء اللّسانيات؛ والثّاني هو أنّ كلّ ما وراء الجملة يلتحق بالحديث الذّي هو موضوع علم معياري قديم هو البلاغة.

إنّ « الأسلوبية والبلاغة تستطيعان معالجة ظواهر داخلية في الجملـــة – اختيار الكلمات، التّقفية, الأشكال- وعلى أنّ بعض اللّسانيين حاول من جانب آخر تأسيس لسانيات حديثية – تحليل الحديث - فإنّ تلك المحاولات لا تقارن بعمل التّحليل النّصّي ذلك لأنّها إمّا متجاوزة بلاغة وإمّا محدودة أسلوبيا وإمّا مفسدة بحس ما وراء اللّغة، متموضعة في ظاهر الملفوظ، وليس في داخل اللفّظ»[03].

إنّ « الدّراسات النّحوية – مثلا- قدّمت تحليلات جزئية مهمّة لبعض الجوانب الخاصّة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية، وشروط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب وأشكال السّياقات والدّلالات الخاصّة، وغير ذلك من الظّواهر التيّ يختص بها نحو الجملة»[04].

لقد نشأ التّحليل – نصّا وخطابا- في حضن لسانيات الجملة، و لم تراع في الجملة إلاّ صحة التّركيب واتّساق المعنى بغض النّظر عن انسجامه مع سياقه. وإبعاد السّياق كان نتيجة قرار منهجي؛ لأنّ المشروع النّظري لنحو الجملة ولسيميائيات "غريماس Greimas" هو اختيار

---

[01] رولان بارت ، نظرية النّصّ، ص91، 92.

[02] مصمت: Massif أي لا جوف له.

[03] رولان بارت ، نظرية النّصّ، ص97.

[04] سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص134.

بعض المستويات الوجيهة لتحليلها بحسب غاية متوخاة؛ وهي صياغة نحو للّغة ونحو للسّرد والاهتمام بالسّياق – الذّي هو متشعّب وغير منضبط- يشوّش على هذه الصّياغة وإن لم يعقها على أنّ إستراتيجية باحثين آخرين أخذت بعين الاعتبار الخصائص السّيميائية للقول وللتّلفظ في آن واحد مثل "جوليا كريستيفا Julia kristiva"[01].

ترتبط دلالة الجملة وتفسيرها بالسّياق ارتباطا وثيقا، فبفضله يتحدّد معنى الجملة وقيمتها وهو الذّي يفرز الدّلالة بكلّ أنواعها الصّوتية، والصّرفية، والنّحوية، ويحتلّ السّياق أهميّة قصوى في نظرية الدّلالة باعتباره أحد الأسس المنهجية في التّحليل اللّغوي، ولأجل هذا رأينا أنّه من واجبنا التطرّق إلى ماهية السّياق وحقيقته ولو بصورة مقتضبة.

ب- مفهوم السّياق:

تتعدّد معاني الجملة الواحدة حسب السّياق الذّي تذكر فيه[02]؛ فالحرص على تحديد الموقف أو المناسبة التّي يقال فيها الكلام، وموضوع الكلام، والعناصر الأخرى المرتبطة به كالمكان والزّمان والكيفية والهدف، كلّها أمور جوهرية تؤثّر على مضمون الرّسالة وعملية توصيلها ولا يخلو أي نموذج من تلك العناصر، ويضاف إليها الأجناس البلاغية التّي يستفاد منها خلال تحليل النصّوص[03].

السّياق هو « الذّي يحدّد اللّغة، ويفرز الدّلالة الصّوتية والصّرفية والنّحوية»[04]. وهو مجموع الشّروط الاجتماعية والطّبيعية والنّفسية التّي تؤثّر على الأقوال والملفوظات، ومجموع المعطيات التّي يشترك فيها كلّ من المخاطِب والمتلقي، إلى جانب المعلومات

---

[01] ينظر: محمّد مفتاح، التشابه والاختلاف- نحو منهاجية شمولية- ص34.

[02] ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، ص106.

[03] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص11.

[04] مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص124.

المشتركة بينهما وما يربطهما من تجارب وثقافة؛ فاستعمال اللّغة يقتضي الخضوع لهذه الشروط[01].

و بهذا فالسّياق هو « النّاتج الفنّي الكلّي لمجموع القيم الإبداعية للجنس الأدبي، ويتكوّن من أعراف أدبية تنمو داخل هذا الجنس ممّا يميّزه عن سواه من الأجناس» [02]؛ وهو الذّي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوّعة التيّ في وسعها أن تدلّ عليها، لأنّها توجد في كلّ مرة في جو يحدّد معناها تحديدا مؤقتا، كما أنّه يزيل دلالتها الماضية التيّ تراكمت في الذّاكرة، فيخلق لها قيمة حضورية[03].

يرى "فيرث Firth" أنّ « للّغة وظيفة اجتماعية مهمّة، والسّلوك اللّغوي العادي في عمومه يعدّ جزءا من العملية الاجتماعية، أو هو طريق العمل والتّنفيذ في الحياة، ولهذا السّبب يؤكّد على أهميّة الرجوع إلى المقام أو الموقف الكلامي (Contexte de situation) أو ما يسمّى بالقرائن الحالية وهي جميع ملابسات النّصّ وظروفه»[04].

و من الضّروري ههنا أن نشير إلى أنّ السّياق هو « دراسة الكلمة داخل التّركيب أو التّشكيل الذّي تظهر فيه، فلا يمكن فهم أيّة كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى، ذات الصّلة بها والتيّ تحدّد معناها»[05].

و لا بدّ أن نوضّح أنّ «علاقة المتكلّم بالسّياق الذّي يدور فيه الحديث هو تحديد الزّمان والمكان، وكشفهما مرتبط بشروط خاصّة بالمتكلّم بإحداثيي الزّمان والمكان اللّذين يصدر عنها

---

[01] ينظر: ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص07، 15.

[02] عبد الله محمّد الغذامي، تشريح النّص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، ص68.

[03] ينظر: فندريس، اللّغة، ص231.

[04] طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر،1997، ص214.

[05] جون ليونز، اللّغة، المعنى، السياق، تر/عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، العراق، ط1 ,1987، ص83.

الخطاب (الحديث) فعلى المحلّل الكشف عن السّياق الذّي يرد فيه الخطاب، ذلك ما تستـــوجبه بعض الحدود اللّغوية التيّ تتطلب معلومـــات سياقية أثناء التّـــأويل، ومن هذه الحـــدود العناصر Déterminant مثل أنا، أنت، هنا، الآن، وغير ذلك» [01].

إذن, فالسّياق «هو دراسة البنى النّحوية والكلمات مثلا»[02] ، وله دور فعّال في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه[03].

ولكي تتحقّق السّيرورة اللّسانية، ويحقّق التّحادث فعاليته لابدّ من وجود اتّصال يمثّل قناة طبيعية، وارتباطا نفسيا بين الباث و المتلقي، هذا الاتّصال الذّي يسمح ببث الخطاب وإبقائه متواصلا[04].

وهو أيضا يدلّنا على أنّ هذه المجموعة من الجمل ينضمّ بعضها إلى بعض للدّلالة على شيء. والسّياق نوعان لغوي (مقالي) وحالي (مقامي) وكلاهما يؤدي في نظرها إلى تماسك عناصر النّصّ[05].

فسياق النّصّ، نفسه، ينطوي على كلمات، أو إشارات، تتخلّل نسيجه اللّغوي وظيفتها أن تجعل المتلقي على صلة دائمة بموضوع الحديث، وظروفه، وملابساته "الحالية" وهذا شيء موجود في معظم اللّغات، وهذا ما يعرف بالسّياق المرجعي، مثال – "فان ديك Van Dijk"–

---

[01] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص105، 119.

[02] رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، ص76.

[03] ينظر: محمّد خطابي، لسانيات النّص – مدخل إلى انسجام الخطاب– ص56.

[04] ينظر: نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث– دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1, 1997، ص217.

[05] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص135، 136.

"الطّاولة تضحك" مرفوضة دلاليا مقبولة نحويا، ولكن إذا كان أناس جالسون أمام طاولة وهم يضحكون في صخب، وقلنا هذه الجملة لكانت مقبولة دلاليا وتقبّلها السّامع[01].

لقد اعتبر السّياق محتويا على النّشاط اللّغوي الذّي يضمّ كلا من الكلام والكتابة، وتتألّف عناصره من:

1- المتكلّم والسّامع والحاضرين معهما، سواء شاركوهما في الحوار أو اكتفوا بالاستماع والمشاهدة، وعلاقة الحاضرين بموضوع الحديث، ومستواهم الثّقافي و الفكري، وغير ذلك ممّا له علاقة بهذا الموقف.
2- الانطباعات التيّ يتركها الكلام في نفوس السّامعين من تصديق أو عدمه وتقدير أو سخرية، وغير ذلك ممّا يثيره الموضوع الكلامي، فالاستعمالات اللّغوية مرتبطة بالمقام الذّي يرد فيه الكلام، والذّي يحدّد بواسطة قرائن متعدّدة، وعبّر عنه البلاغيون العرب القدامى بقولتهم الشّهيرة "لكلّ مقام مقال"[02].

و بناء على ما تمّ ذكره, فإنّ «السّياق هو جزء من مدونة تشتمل على المحتوى والظّرف والوقت والحضارة»[03] وهو كما عرّفه بعض الباحثين «كلّ مجموعة من الرّموز المختلفة في الوظائف، وهي على الأقل ثنائية، وتقوم بين أطرافها علاقة من التّكيّف المتبادل»[04].

إنّ ما هو جدير بأن يشار إليه, هو أنّ النّظرية الدّلالية قد صنّفت جملة من السّياقات المتنوّعة منها ما يلي:

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص137.

[02] ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، ص157.

[03] جورج مونان، اللّسانيات والترجمة، تر/حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر , 01-2000، ص99.

[04] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص455.

2- **السّياق اللّساني:** هو « المحيط الدّلالي الذّي يحدّد مدلول العناصر اللّسانية، فيختلف المدلول باختلاف السّياقات التيّ يرد فيها»[01]، ويظهر ذلك في الأمثلة التّالية:

- "راح إلى الجمعة : أي ذهب".
- "راحت الماشية: رجعت عشية إذا كانت سرحت أو سامت صباحا".
- "راح الرجل رواحا: مات".

فالبنية المورفولوجية "راح" اختلف مدلولها من سياق لساني إلى آخر[02].

2- **السّياق العاطفي أو الانفعالي:** أمست المداخل المعجمية الدّالة على الانفعالات المختلفة متفاوتة من حيث درجة الانفعال وفق السّياقات العاطفية التيّ تتوافر فيها عادة. ومن ذلك التّفاوت الدّلالي بين الغضب والسّخط على الرغم من انتمائهما إلى مجال دلالي مشترك[03].

3- **سياق الموقف:** إنّ السّياق الموقفي في رحاب النّظرية الدّلالية السّياقية هو « الإطار الخارجي الذّي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللّغوي؛ أي الحيّز الاجتماعي الذّي ينتج فيه مدخل معجمي ما، ويمكن أن نمثّل لذلك بالمدخل المعجمي "عملية" الذّي يتغيّر مدلوله في النّظام اللّساني العربي بتغيّر السّياق الموقفي الذّي يرد فيه، فإجراء العملية في سياق موقفي تعليمي يعني إجراء عملية حسابية مألوفة من ضرب أو جمع أو طرح، وفي السّياق الطبّي تعني إجراء عملية جراحية لاستئصال ورم أو غيره، أمّا إجراؤها في سياق الموقف العسكري فيعني تنفيذ خطّة عسكرية معيّنة »[04].

---

[01] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة، الكويت، ط1، 1983، ص69.

[02] ينظر: عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي – طروحات جدلية في الإبداع والتلقي- ص71.

[03] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص157.

[04] نفسه ، ص158.

4- السّياق الثّقافي: يظهر السّياق الثّقافي في استعمال كلمات معيّنة في مستوى لغوي محدّد، فالمثقّف العربي المعاصر يختار كلمة زوجة أو مدام للدّلالة على امرأته، على حين يستخدم الرجل العادي كلمة مَرَه للدّلالة على زوجته[01].

إذن, حقيقة يهدف السّياق إلى الكشف عن المحتويات الدّلالية للكلمات, و يسهم في توضيح دلالة النصّ بشكل يتناسب واحتياجات المتلقي, و في الإبانة عن أغراض المتكلّمين.

ج- مفهوم الإحالة:

تعدّ الإحالة من أهمّ الوسائل التيّ تسهم في بناء النّصّ و التحامه, وذلك بالرّبط بين مختلف مقاطع النّصّ

إنّ دلالة التّركيب اللّغوي في السّياق قد لا تكفي لضبط المعنى وعليه يقام بعملية تأويلية الهدف منها الموافقة بين النّصّ والواقع الذّي يتحدّث عنه[02]؛ إذ لا تحدّد النصّوص من خلال الأشكال اللّغوية التيّ تكوّنها (الكلمات، الأشكال المورفولوجية والتّركيبية والأصوات والنّغمات) فحسب؛ بل أيضا من خلال ظواهر غير لغوية للحالة من زمان ومكان التلّفظ (أين ومتى) والموضوع (نصّ الحديث)، وعلاقة المتخاطبين بما يحدث (التّقدير)[03].وهذا ما يعرف بالإحالة " Référence " أو المرجع.

لقد اعتبرت اللّسانيات التّقليدية المرجع La référence مجالا ينبغي إبعاده من الدّراسات اللّغوية بالرغم من الأهميّة الكبيرة التيّ يكتسيها في فهم النّصّ، فقد كانت حجّتها في ذلك استحالة الجمع بين علامات من طبيعة متنوّعة، وكون المرجعية من طبيعة غير لغوية Extra linguistique

---

(01) ينظر: أحمد محمّد قدور، مبادئ اللّسانيات، ص295.

(02) ينظر: عرابي أحمد، التأويل النحوي بين الخرق والمعيارية، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون، تيارت، العدد1، 2005، ص90.

(03) ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص89.

فلا مجال للرجوع إلى الأشياء لتفسير العلامات اللّغوية، فالمرجعية هي التيّ تحدّد العلاقة بين الملفوظ والمرجع؛ أي مجموع الآليات التيّ تطابق بعض العناصر ذات الحقيقة اللّغوية ببعض العناصرذات الحقيقة غير اللّغوية[01].

و«تقوم الجملة -كما هو معلوم- بالوظيفة الإحالية باعتبارها أبسط وحدة للخطاب فهي التي تقصد إصدار شيء حول الواقع، على الأقل داخل الخطاب التّقريري – وهو الذّي يقوم بوظيفة التّعيين؛ أي الإشارة إلى الواقع أو وصفه- هذه الوظيفة الإحالية هامّة جدّاً إلى درجة جعلتها توازن (أو تعوّض) -إذا صحّ التّعبير- ميزة أخرى للّغة هي الفـــصل بين العلامـــات وبين الأشياء» [02].

و من هذا المنظور يمكننا القول إنّ اللّغة مليئة بما يؤمّن الارتباط بين النّصّ وبين ظرفيته الزّمانية والمكانية، فأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وظروف الزّمان والمكان والضّمائر وأزمنة الأفعال، وعموما كلّ "الأدلة التّعيينية" Déictiques و"الوصفية الإشارية" Ostensifs تعمل على ربط الخطاب وترسيخ علاقته بالواقع الزّماني والمكاني الذّي يحيط بوجوده كخطاب. فلا وجود لنصّ بدون إحالة ما. من هنا بالضّبط ستكون مهمّة القراءة – باعتبارها تأويلا- هي إقامة الإحالة وتأسيسها. وعلى أيّ حال، فإنّ النّصّ - داخل هذا التّعليق حيث يتغيّر اتجاه الإحالة- أي خارج العالم أو بدون عالم. وبفعل هذا التّعطيل الذّي يمسّ علاقة النّصّ بالعالم، يصبح كلّ نصّ حرّاً في إقامة علاقات مع كلّ النصّوص الأخرى[03].

تنشأ الإحالة من استخدام الضّمائر,وهي إمّا أن تكون "قبليّة" أو"تبعيّة" ، ومثالها الجملتان التّاليتان:

"اغسل، وانتزع نوى ست تفاحات، ضعها في طبق مقاوم للنّار"، فالضّمير في "ضعها" هو الرابط الذّي يضمّ الجملة الثّانية إلى الأولى في وحدة نصّية تفيد العلم بطلب معيّن. و لولا هذا الضّمير

---

[01] ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص92، 94، 96.

[02] بول ريكور، النّص والتأويل، ص38، 39.

[03] ينظر: نفسه، ص39.

لما كان هناك ربط و انسجام بين الجملتين. وإذا وضع المتكلّم كلمة "تفاحات" مرّة ثانية، بدلا من الضّمير، فإنّ الرابط هنا، هو: تكرار كلمة "التّفاحات وتقسّم الروابط إلى: "نحوية Grammaire"،" معجمية Lexique " "وصوتية Phonologie "، وتنشأ الإحالة من استخدام أدوات أخرى، مثل أداة التعريف[01].

وبذلك ترتبط الجملتان وتشكلان نصّا قد قدّم الضّمير "ها" وظيفة الإحالة القبلية, والتيّ أدّت إلى السّبك, وهو شكل من أشكال الإحالة؛ فالإحالة إلى سابق Anaphore تكون عندما تحيل إلى عنصر لغوي متقدّم وقيل أنّها إحالة بالعودة حين تعود إلى مفسّر أو عائد Antécédent ومنها يجري تعويض لفظ المفسّر الذّي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، فالإحالة هي بناء جديد للنّصّ[02].

ومن خلال هذا يتجلى لنا أنّ السّياق والإحالة عنصران مهمان يسمحان بفهم دلالة النّصّ ومعناه، بحيث يخترقان كيانه اللّغوي من خلال الكشف عن مغزاه وعلائقيته في شكله النّسيجي وخصائصه.

9- التّحليل اللّغوي من نحو الجملة إلى نحو النّصّ:

اقتصرت البحوث اللّسانية في تناولها للّغة على دراسة الجملة من خلال معالجة مستوياتها الصّوتية و الصّرفية و النّحوية و الدّلالية باعتبارها الوحدة الأساسية في التّحليل اللّغوي؛ إذ إنّ التّناول اللّساني لها قد حظي باهتمام الكثير من اللّغويين الذّين انشغلوا بدراستها فكان لهم دور معتبر في وضع زخم كثيف من المفاهيم و التّصوّرات.

---

[01] ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، ص136، 137.

[02] ينظر: ياسين سراعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النصّي- www.ulum.nl

إنّ ما هو جدير بأن يشار إليه, هو أنّ عدم كفاية الجملة للتّفسير والتحليل اللّغويين والمعالجة التّركيبية وعدم استطاعتها تقديم صياغة كليّة ودقيقة لكلّ أبعادها؛ كان سببا رئيسا في ظهور علم يتجاوز حدودها وأهدافها وكذا وسائلها.

إنّ نحو الجملة لم يعد قادرا على تفسير بعض الظّواهر بشكل كاف؛لأنّه يعتمد على معيار افتراضي، وظهرت كتابات تنادي بتجاوز نحو الجملة، حدث هذا عندما تعرّض اتجاه نحو الجملة هجوما عنيفاً من علماء علوم النّفس وعلوم الاجتماع وعلوم الكمبيوتر تمثّل في أنّ نحو الجملة قاصر عن تلبية الكثير من احتياجات هذه العلوم، ودعوا لتجاوز نحو الجملة، وكان البديل القويّ لاتجاه نحو الجملة هو اتجاه نحو النّصّ؛ حيث يتميّز هذا الاتجاه بفضاءات أرحب في التّحليل ويتيح للمحلّل حريّة كبيرة في التّنقل كما أنّه ينفتح على كثير من العلوم؛ لأنّ نحو الجملة يكتفي – في التّحليل – بعناصر وأدوات لغوية بحتة[01].

و بهذا فإنّ « وحدة الجملة وحدها ليست كافية للوصف اللّغوي، بالإضافة إلى الحاجة إلى معلومات الجمل السّابقة (السيّاق اللّغوي) لتفسير جملة قائمة»[02]؛ إذ ركزت اللّسانيات التّقليدية عليها ثمّ التّسليم بوجود علاقة تماثلية بينها والخطاب، هذا الأخير عوّض مقولة الكلام، وعدّ مجموعة من الجمل ذلك يعني تجاوز حدود الجملة التيّ اهتمت بها اللّسانيات[03].

إذا كان « الخطاب مرادفا للملفوظ أو القول، فإنّه في تحليلاته لا يقف عند حدود الجملة ولكن يقتحم وراءها؛ وما بعدها؛ أي الاهتمام بمختلف مستوياتها، وبذلك تنتقل من الجملة

---

[01] ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النّص أو لسانيات النّص www.lissaniat.net

[02] شبلنر بلند، علم اللّغة والدراسات الأدبية –دراسة الأسلوب، البلاغة علم اللّغة النّصي– تر/محمود جاد الرب، الدار الفنيّة، القاهرة, مصر، 1987، ص184، 185.

[03] ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص142، 180.

ومن ميدان اللّغة كنظام من الأدلة إلى عالم تعتبر فيه اللّغة وسيلة للتّواصل، والعبارة هي الخطاب « L'expression et le discours »[01].

فإذا كانت لسانيات الجملة تعتمد على مجموعة من المستويات التيّ ترى من خلال فرضياتها أنّها السّبيل للإمساك ببنية الجملة والإفادة بتحليلها، فإنّ لسانيات النّصّ تعتمد على المستويات نفسها، لكن مع التّعالي بها إلى ما يتجاوز حدّ الجملة أي – النّص – وبعيدا عن مناقشات النّصّ والخطاب والجملة وتحديداتها الدّقيقة، وتتحدّد مستويات التّحليل اللّغوي بالنسبة للّسانيات النّصّ على أساس النّقاط التّالية:

- المستوى الفونولوجي (الصّوتي).
- المستوى النّحوي (التّركيبي).
- المستوى الدّلالي[02].

إنّ « الانتقال من الجملة، إلى ما فوقها، يثار كثير من الإبهام والالتباس، وما تزال مختلف اتجاهات تحليل الخطاب تسلّم بصعوبة هذا الانتقال ومشاق احتمال التّغلّب عليه وتجاوز أمريّاته وحيثياته»[03].

ويكاد يجمع كلّ المتحدثين عن الخطاب وتحليل الخطـــاب على ريادة "زليـــخ هاريس Zellig Harris " في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـــ"تحليل الخطاب". إنّه أوّل لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللّساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب، باعتبار

---

[01] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ص138.

[02] ينظر: الطاهر مرابعي، المقاربة النصّية – قراءة في مقرّر اللّغة العربية للسنة الثانية ابتدائي– merabai.tahar@caramail.com، الحوار المتمدن– العدد: 2074 - 2007/01/20.

[03] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي(الزمن– السرد– التبئير)، ص69.

"هاريس Harris" توزيعيا، فإنّه سعى إلى تحليل الخطاب بنفس التّصوّر والأدوات التيّ يحلّل بها الجملة[01].

وفي هذا الشّأن نلفي "هاريس Harris " يقول: «نحدّد توزيع العنصر بأنّه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر (أ) يتكوّن من ترتيب العناصر التيّ ترد معه؛ أي العناصر الأخرى التيّ يتوافق كلّ منها، في موقع معيّن مع العنصر في تركيب كلامي والعناصر التيّ ترد مع عنصر (أ) موقع معيّن تدعى (انتقاء) هذا العنصر لهذا الموقع»[02]؛ فكلّ الكلمات التي يمكنها أن تحتل الموقع ذاته من مجموعة أشكال الأقوال الحرّة المتعلّقة بحدّ أدنى يجب أن تنتمي إلى القسم نفسه للخطاب[03].

وبمقتضى هذا التّعريف يسعى "هاريس Harris " إلى تطبيق تصوّره التوّزيعي على الخطاب، فمن خلاله تصبح كلّ العناصر أو متتاليات العناصر لا يلتقي بعضها ببعض بشكل اعتباطي وفي مختلف مواطن النّصّ؛ إذ أنّ التّوزيعات التيّ تلتقي من خلالها هذه العناصر تعبّر عن انتظام معيّن يكشف عن بنية النّصّ. ومحدّد هذا الانتظام بين متتاليات الجملة يكمن فيما يسميه بالتّوازي équivalence الذّي يضبط بنية النّصّ، وذلك عن طريق تشكيل طبقات التّوازي الحاصلة في لوحة ذات محورين أفقي وعمودي. تظهر في المحور الأوّل العلاقات بين طبقات التوازي داخل كلّ جملة في النّصّ، أمّا في المحور العمودي فإنّنا نجد تتابع الجمل حسب ترتيبها كما هي عليه في النّصّ المتن[04].

---

[01] ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي(الزمن- السرد- التبئير ، ص17.

[02] ميشال زكريا، الألسنية (علم اللّغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1984, ص245.

[03] Voir : George mounin, clefs pour la linguistique, édition de minuit, Paris, 1971, P113.

[04] ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي(الزمن- السرد- التبئير)،ص18.

إنّ التّحليل التّوزيعي ينظر إلى العنصر على أنّه « مجموع كلّ البيئات التيّ يقع فيها؛ أي مجموع كلّ المواضع المختلفة أو وقوع عنصر ما بالنّظر إلى اتّصاله بوقوع العناصر الأخرى»[01]. إنّ هذا المنهج لا يمكن تطبيقه على جميع أنواع الجمل أو الأجزاء الرئيسية من تلك الجمل، ثمّ إنّه – المنهج – غير ملائم وغير كاف لفهم التّراكيب اللّغوية[02].

و بناء على ما تمّ ذكره, فإنّ تحليل الخطاب مجاله هذا مرتبط بوثوق بالتّحليل اللّساني، وهو من ثمّة يمتلك "شرعية" استخدام مفاهيمه وأدواته وإجراءاته التيّ ينقلها من مجال الجملة إلى ما فوق الجملة. كمثل مكوّنات الجملة (الزّمن- الجهة- الصّيغة) (Temps/aspect/mode)، كما نجد إشكالا ابستمولوجيا يطرح بصدد انتقال تلك الأدوات المستمدة من تحليل الجملة إلى مجال تحليل الخطاب؛ إذ أنّ هذا الانتقال يطرح معه قضايا عديدة ترتبط من جهة بمشاكل التّحليل اللّساني ذاته، وترتبط من جهة ثانية بخصوصية أشكال الخطاب وأنماطه، وبدايات تحليل الخطاب الذّي رغم ما تراكم فيه من دراسات عديدة ما يزال في بدايات بداياته من جهة أخرى[03].

إذن, حقيقة أن جهود "هاريس Harris " و أتباعه لم تبلغ غايتها في تجاوز حدود الجملة إلى وحدة تحليلية أكبر منها؛لأنّ طرائق و أدوات معالجة النّصّ عنده وعند غيره من اللّغويين هي نفسها تقنيات التّحليل المطبّقة في الجملة.

وقد تطلّعت نظريات النّصّ إلى ما وراء الجملة، فنتج عن تلك الرؤية ضرورة إدخال عناصر جديدة أو أخرى كانت معزولة. وبالتّالي يمكن تفسير اختلاف علماء النّصّ في ماهية النّظرية النّصيّة وأجزائها؛ إذ أنّهم استندوا إلى نظريات المدارس اللّغوية السّابقة، ثمّ أدخلوا بعض

---

[01] Oswald ducrot, Tzvetan todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, édition de seuil, Paris, 1972, P49.

[02] ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979، ص294.

[03] ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي(الزمن- السرد- التبئير)،ص62، 170.

التّعديلات التيّ تميّزها على المبادئ الأصلية، وهذا يؤكّد عمق الصّلة بينها وبين نظريات النّصّ بوجه عام[01].

وعلى هذا الأساس يمكننا تأطير عملية التّحليل اللّغوي باعتبار النّصّ بنية دلالية مجرّدة، وقولنا بالبنية الدّلالية يقتضي لا محالة اعتبار كلّ التّخصصات إنجازات نصّيّة، تكون الإحالة إلى نظمها المعرفية من خلال النّظم اللّغوية نفسها[02]، وهذا ما يعرف بلسانيات النّصّ.

ويُقصدُ بها الآليات اللّسانية التيّ تصف وتفسّر النّصّ اللّغوي الذّي يتجاوز الجملة، ولقد ساد لمدّة عقود طويلة نحو الجملة أو لسانيات الجملة، ولكن لّما غلب الاهتمام بالنّصّ وبقضايا تتجاوز عتبات الجملة فكّر اللّسانيون في وضع مقاييس لوصف النّصّ فاختلفوا في ذلك؛ منهم مَن قال إنّ لسانيات الجملة أو تركيب الجملة يمكنُ تمديده ليشمل بالوصف والتّفسير كيانا لغويا أكبر هو النّصّ، ومنهم من قال إنّ الجملة والنّص هيئتان لغويتان مختلفتان وينبغي أن توصفا بآليات مختلفة[03].

إنّ لسانيات النّصّ فرع من فروع اللّسانيات تعنى بدراسة النّصّ وإبراز مميّزاته وَحَدِّه وتماسكه واتّساقه والبحث عن محتواه الإبلاغي التّواصلي، حيث تحتل النّصيّة فيها مكانا مرموقا؛ لأنّها تجري على تحديد الكيفيات التيّ ينسجم بها النّص/الخطاب (Texte/discours), وتكشف عن الأبنية اللّغوية وكيفية تماسكها وتجاورها، من حيث هي وحدات لسانية؛ تتحكّم فيها قواعد إنتاج متتاليات مبنية، ويتّسم هذا العلم بتشعبه إلى حدٍّ بعيد؛ إذ أنّنا لا نجد إلاّ قدراً ضئيلاً من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوّراته ومناهجه, فقد استوعب حدّاً لا يستهان به من المفاهيم نظرا لكثرة منابعه، وأخذت اتجاهات البحث في هذا العلم أشكالا عدّة تبعاً للأسس التيّ يستند إليها

---

[01] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص76، 77.

[02] ينظر: الطاهر مرابعي، المقاربة النصّية – قراءة في مقرّر اللّغة العربية للسنة الثانية ابتدائي– merabai.tahar@caramail.com، 2007/01/20.

[03] ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النّص أو لسانيات النّص www.lissaniat.net 2007/12/27.

هذا العلم، فنجد اتجاها يعتمد على علم اللّغة الوصفي، وآخر يعتمد على علم اللّغة الوظيفي وثالثا يقوم على علم اللّغة التّركيبي، لا شك أنّ هذا التشّعب جعل مهمّة ما توصل إليه مهمّة صعبة[01].

إنّ « نحو النّصّ نمط من التّحليل ذو وسائل بحثية مركّبة، تمتد قدرتها التّشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التّركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرّجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثمّ الفقرة، ثمّ النّصّ (أو الخطاب بتمامه)»[02].

و يمكن تحديد نحو النّصّ من وجهة نظر لسانيات النّصّ « على أساس أنّه نقل لمستوى نحو الجملة إلى نحو النّصّ، وليس يعني بالضّرورة قولنا "نحو النّصّ" ظاهرة الإعراب وما يترتب عنها من توابع، ولكن يقصد من ذلك "الجانب التّركيبي"؛ أي الجمل في تعالقها وتشكيلها للمعنى، وهنا نذكر بفرضية البنية الكبرى Macro structure التيّ ترى باحتواء كلّ نصّ جوهرا ظاهرا يمكن الوصول إليه وتثبيته بعد ذلك من خلال البنيات الثّانوية التيّ تتوزّع عبر أنحائه»[03].

إذن, تكمن أهميّة لسانيات النّصّ Linguistique textuelle « على مستوى النّصّ ككلّ لا الجملة، فأساس تعلّم اللّغة هو التّعامل معها كخطاب متناسق الأجزاء منسجم العناصر، واكتساب آليات انسجام أجزاء الخطاب، كما أنّ لسانيات النّصّ على مستوى ديداكتيكي تميّزت بكونها وجّهت الاهتمام إلى الانتقال على مستوى النّصّ ككلّ لا الجملة، من هنا تمكّن من بناء بيداغوجيا أدبية لفهم النّصّوص وإنتاجها»[04].

---

[01] ينظر: ياسين سرايعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النصّي-www.ulum.nl .2007/12/27

[02] سعد مصلوح، العربية من نحو "الجملة" إلى نحو "النّص"، ص407.

[03] الطاهر مرابعي، المقاربة النصّية – قراءة في مقرّر اللّغة العربية للسنة الثانية ابتدائي- merabai.tahar@caramail.com، .2007/01/20

[04] عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية – مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك - دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط ,المغرب، ط1، 1994، ص185.

ميّزت الدّراسات الجديدة في لسانيات النّصّ بين ما إذا كان المقصود توسيع المجالات الفرعية في علم اللّغة – مثل علم النّحو وعلم الدّلالة – لتشمل الوحدة اللّغوية (النّصّ) أو ما إذا كان من الضّروري تحديد وحدة النّصّ بناء على المكوّنات أو العناصر الصّغرى، أو يدرك النّص بوصفه الوحدة الأساسية، التيّ تندرج فيها وحدات أصغر، وأخيرا ما إذا كانت الأجناس العملية (غير اللّغوية كالموقف والمؤلف والقارئ ...إلخ) مندمجة في لسانيات النّصّ، ثمّ ما إذا كانت هذه الأخيرة – لسانيات النّصّ – مدمجة في نظرية التّناول أو التّعامل اللّغوي الشّاملة أو غير مدمجة[01].

أمّا فيما يخصّ هذه الدّراسات والاجتهادات اللّغوية فقد كانت الأساس الفعلي الذّي بنيت عليه الاتجاهات النّصيّة بكلّ ما تتّسم به من تشعب في أفكارها وتصوّراتها، وقدّمت دراسات خاصّة بأجزاء الجملة ومتواليات الجمل, و لم تخرج عن الظّواهر التيّ يختص بها نحو الجملة. ونظرا لقصور نحو الجملة على تفسير بعض الظّواهر لجؤوا إلى الإشارة إلى وحدة أكبر من الجملة يمكن أن تكون وحدة النّصّ غير أنّ نحو النّصّ يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ويحاول أن يقدّم صياغات كليّة دقيقة للأبنية النّصيّة وقواعد ترابطها[02].

ولقد عني الدّرس اللّساني النّصّي في دراسته لنحو النّصّ بظواهر تركيبية نصّية مختلفة علاقات التّماسك النّحوي النّصّي، وأبنية التّطابق، والتّقابل، والتّراكيب المحورية والتّراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتّحويل إلى الضّمير، والتّنويعات التّركيبية وتوزيعاتها في نصّوص فردية، وغيرها من الظّواهر التّركيبية التيّ تخرج عن إطار الجملة المفردة[03].

---

[01] ينظر: شبلنر بلند، علم اللّغة والدراسات الأدبية ، ص187.

[02] ينظر: ياسين سراعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النصّي- www.ulum.nl

[03] ينظر: نفسه

حدّد "دي بوجراند و دريسلر De beaugrande et Dresslar" معايير النّصانية التيّ لم تستوفها أطروحات " هاريس Harris" والتّوليديين؛ لأنّها لم تستطع أن تحدّد موقفا محدّدًا من النصّوص غير النّحوية واختلاف الأساليب داخل النّصوص وأهمّ هذه المبادئ النصّانية:

1- **السّبك (cohésion)**: التّرابط الوصفي القائم على النّحو في البنية السّطحية، بمعنى التّشكيل النّحوي للجمل وما يتعلّق بالإحالة والحذف والربط وغيره، و« يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضا بالعلاقات بين جمل النّصّ وفقراته؛ بل بين النّصوص المكوّنة للكتاب ومن ثمّ يحيط – السّبك – التّماسك بالنّصّ كاملا داخليا وخارجيا»[01].

2- **الحبك (Cohérence)**: وهو حبك عالم النّصّ؛ أي الطريقة التيّ يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّصّ، ويظهر هنا الربط المنطقي للأفكار التيّ تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب.

3- **القصد (intentionnalité)**: وهو التّعبير عن هدف النّصّ الذّي يغدو وسيلة متاهة لحظة معيّنة بغية الوصول إلى هدف محدّد.

4- **المقامية (Situationalité)**: متعلّقة بالسّياق الثّقافي والاجتماعي للنّصّ؛ أي مؤسسة على تحكّم المقام في دلالات النّصّ.

5- **التّناص (intertextualité)**: هو أهمّ عنصر من العناصر المحقّقة للنّصانية وهو أنّ تشكّل النصّوص السّابقة خبرة للنصّوص اللاّحقة[02].

6- **الإخبارية (informative)**: تقتضي الإعلامية والإخبار حيث يحمل كلّ نصّ قدراً معلوما من القدرات الإخبارية.

7- **الاستحسان (acceptabilité)**: يتحقّق من خلال مستوى علاقة النّصّ بالمتلقي، من خلال إظهار موقف المستقبل للنّصّ إزاء كونه صورة من صور اللّغة ينبغي أن يكون مفهومًا ومقبولاً[03].

---

[01] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصّي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ج1، 2000, ص97.

[02] ينظر: ياسين سراعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النصّي- www.ulum.nl

[03] ينظر: نفسه.

ويتحقّق للنّصّ نصّانيته حسب "دي بوجراند و دريسلار De beaugrande et Dresslar" من خلال المعايير السّبعة التيّ ذكرت آنفا، ومن خلال هذا يتجلى لنا أن التّحليل اللّساني النّصّي في ضوء نحو النصّوص يتجاوز نظرة التّحليل النّحوي التّقليدي والأسلوبية، حيث تتجلى مهامه في دراسة الخواص التيّ تؤدي إلى تماسك النّصّ وتعطي عرضا لمكوّنات النّظام النصّاني، وإن كانت مبعثرة يجب حينها على المحلّل اكتشاف الآلية الحدسية والعرفية التيّ تمكّنه من إيجاد فتيل الربط لتكوين البناء المتميّز، فقد حاول مجموعة من الدّارسين في وقت مبكر بدراسة نحو النّصّ لتأسيس نظرية شاملة تبحث في التّرابط النصّي من حيث أشكاله ووسائله(01).

ومن هذا المنظور يمكننا القول إنّ للمعايير السّبعة دورا فعّالاً في بناء النّصّ و فهمه, وكلّ نصّ خلا من هذه المعايير يعدّ مجرّد جمل مفككة و متراصة لا تقدّم نصا مترابطاً و متكاملا.

فعلى الرغم من ظهور مفهوم ما للنّصّ أو الدّراسة تحت مفهوم أشمل أطلق عليه الوحدة الكليّة وغير ذلك، إلاّ أنّنا ما نزال في حقيقة الأمر عند حدود الجملة ولا تعني الإشارة إلى تلك الشذرات في بعض الأعمال و الاجتهادات أنّ البحث اللّغوي قد انتقل بصورة نهائية من مستوى إلى مستوى آخر ولا غرابة إذن في أنّ النّماذج التيّ تعدّ الجملة أساس الوصف والتّحليل اللّغويين ما تزال لها الغلبة والسّيطرة على مسارالدّراسات و البحوث اللّغوية. فإنّه ليس من السّهل تغيير مسار ذلك الإرث بما يحويه من مفاهيم وتصوّرات وقواعد ترسّخت في الدّرس اللّغوي(02).

لا يقصد معظم علماء لسانيات النّصّ أن ينحي نحو الجملة جانبا، ولكن يرى أغلبهم أنّه غير كاف إلى نحو أشمل هو نحو النّصّ، ولا ننسى أنّ النّصّ – في معظم حالاته وأشكاله – هو عبارة عن جمل متتالية أو متتابعة؛ ثمّ إنّ نحو النّصّ لم يستطع – حتى الآن- تحديد أهدافه وآلياته بشكل محدّد ،علاوة على هذا فإنّ الدّراسة النّصّية إذا نظرنا إليها من خلال الكلام المكتوب

(01) ينظر: ياسين سراعية، مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النصّي- www.ulum.nl

(02) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص: المفاهيم والاتجاهات، ص56.

فهي معتمدة على نحو الجملة ما لم نخرج منها إلى القضايا الخارجة عن النّصّ والتيّ تسهم بدور فاعل في نشأة النّصّ وإنتاجه[01].

وما من شك في أنّ دراسة النّصّ و التّطرّق إليه و الاهتمام به أصبح ضرورة ملحّة لابدّ منها لما له من ضوابط فكرية و أسلوبية و لفظية و دلالية من شأنها أن تجعل الإقبال عليه من كليهما؛ أي من المبدع و المتلقي في أي وقت شاء وأي ظرف أراد, له أهداف محدّدة لا يمكن للمعلّم و المتعلّم بلوغ الغاية إلاّ به, لذا بات لزاما علينا التطرّق إليه غاية سبر أغواره وفهم كنهه من جهة, وتجسيدمحتواه و أهدافه من جهة ثانية.

[01] ينظر: عبد الرحمان بودرع، نحو النّص أو لسانيات النّص www.lissaniat.net

الخاتمة

خـــاتمـــة

من خلال رحلتنا مع هذا البحث,نستطيع أن نجمل أهمّ النّتائج التّي أفضت إليها هذه الدّراسة فيما يلي:

1. إنّ التّراث البلاغي العربي الذي خلّفه الأولون يبيّن تلك العناية المعجزة في جمع أصول النّصّ واستنباط أحكامه العامّة والفرعية، وتجلى ذلك بوضوح في المراجع النفيسة التّي تركوها والكتب المستفيضة التّي خلفوها، وتعترف بنصيبهم الوافر من الدقّة والتّحري والضّبط والأمانة، تدلّ على فهم ثاقب وعقل راجح لتلك الصّفوة الممتازة من علمائنا السّابقين، فبدا البون شاسعا والمفارقة كبيرة مقارنة بالدّراسات الحديثة.

2. إنّ الاهتمام بالنّصّ و التّطرّق إليه أصبح ضرورة لازمة و ركيزة أساسية لا مناص منها, باعتباره المرجع النّظري و التطبيقي لكثير من التّصوّرات و المفاهيم.

3. إنّ جهود لسانيي الجيل الأوّل قد أثمرت التّوفيق في بعض الجوانب وقدّمت دراسات تتوافق و أحدث النّظريات،غير أنّ استخدامهم لنحو الجملة بدل النّصّ جعلت الدّراسة اللّغوية للنصوص توصف بعدم الكفاية والملاءمة؛ لأنّ نحو الجملة كان لجمل منعزلة ومستقلة.

4. إنّ الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّصّ لم يكن مجرّد نقلة في طبيعة مادة التّحليل؛ بل كان أيضا نقلة في المنهج المتّبع ،وفي الأدوات والإجراءات، وحتّ في المرامي والأهداف. وبذلك تكون لسانيات الجملة تمهيد نظري لأبحاث لسانيات النّصّ ،والتّي انطلق منها التّيار المعرفي الجديد.

5. غدت لسانيات الجملة إحدى الأسس الفاعلة للسانيات النّصّ فقد كانت ترمي إلى تحقيق التّناسق الدّلالي والربط لوحدات الجملة بغية إقامة اتّصال بين عناصرها ووحداتها على المستوى الدّلالي, باعتبارها سلسلة تركيبية من الوحدات الألسنية مؤلفة من كلاسيمات، تستطيع ضمان التّجانس التّركيبي للوحدات اللّغوية والعناصر الصّوتية والمعجمية والتّركيبية ضمانا لانسجامها.

6. طغيان لسانيات الجملة على كلّ الدّراسات والبحوث اللّسانية وعدم الخروج عن معطياتها ومناهجها، فالكثير من الاجتهادات والأعمال مازالت تحول دون تحقيق التّجديد والثّورة الضّروريين، والنّقلة النّوعية أو بديل على المستوى الإجرائي؛ إذ نلمس تعثر البحث العلمي بصفة عامة، وعدم تكامل المعارف.

7. لقد حققت لسانيات الجملة حصادا معرفيا وهي خطوة نظرية بالنسبة للسانيات النّصّ هذه الأخيرة تحوّل معرفي منهجي، ولا تكتمل – لسانيات النّصّ – إلاّ بالتحليل من خلال الرّبط بين مستويات الجمل المختلفة.

8. تدرس لسانيات النّصّ النّصّ على أنّه متتالية من الوحدات اللّغوية الدّلالية ،وليس كيانا منعزلا أو بنية مغلقة على ذاتها، وتسعى – لسانيات النّصّ – إلى اكتشاف النّصّ وتحقيقه، وقراءته وتحليله من خلال معرفة كيفية اشتغاله وطريقة تركيبه.

9. تفتح لسانيات النّصّ المجال للتّنويع التّحليلي الدّلالي، والتّقييم اللّغوي الفّني الجمالي، بحيث يصبح النّصّ واحدا من أكبر الإشكاليات التيّ يطرحها الفكر اللّساني، لاسيّما إن كانت النصّوص المراد دراستها، وكشف مغزاها، وعلائقيتها في شكلها النّسيجي زئبقية التّناول، تخضع لقراءات عدّة، وبمناهج متباينة في انطلاقاتها وخصائصها وغاياتها.

10. إنّ غاية لسانيات النّصّ هي كشف نظام العلامات النصّية وعلاقاتها ببعضها في شكل شبكة من الأنظمة الدالة وذلك باستعمال خصائص وأدوات، بهدف الكشف عن مغزى النّصّ

ومعرفة بناه الجوهرية المشكّلة لا لسبب سوى أنّ النّصّ مفتوح، قابل للتّأويل من قبل المتلقي حسب ثقافته وخبرته وكفاءته التّحليلية.

11. يعتمد التّحليل اللّساني للسانيات النّصّ على تفسير العلامات اللّغوية بضرب من التّحليل النّحوي (التّركيبي) والدّلالي والصّوتي، قصد الكشف عن الأنظمة التيّ تقيم المعنى من خلال ما يتضمّنه الكلّ من عناصر مغايرة متلاحمة في شكل أنساق دالة..

12. تسعى لسانيات النّصّ إلى وضع قواعد أساسية في تحديد بنى النّصّ وعلى هذا الأساس برزت عدّة اتجاهات أهمّها نظريات القراءة والتّأويل بفضل المتلقي الذي يطبّق على النّصّ مناهج مختلفة الغرض منها هو تحقيق أهداف وغايات علمية محضة.

13. تهدف لسانيات النّصّ إلى كشف معنى النّصّ وحقيقته من خلال الإسقاطات التّحليلية الموحية المسلّطة عليه و ذلك من خلال كفاءة وبراعة المحلّل في تعامله معه ؛ إذ تهتم – لسانيات النّص – بشكلنة النّصّ أي في شكله الخارجي (البنية اللّغوية)، انطلاقا من بعض المفاهيم أو العناصر اللّغوية الجوهرية التيّ تبرز معمارية النّصّ منها: الأسلوب، التّناص، وغير ذلك.

14. إنّ القول بوجود قواعد ثابتة لنحو النّصّ كقواعد الجملة أمر سابق لأوانه؛ لأنّ العلم لا يثبت له قواعد وأركان إلاّ بتراكم المعارف وتجمّع الخبرات والتّجارب العلمية والدّراسات المؤيّدة، وهذا ما حصـــل للسانيات الجملة، واللّسانيات الصّوتية والصّرفية، أمّا لسانيات النّصّ لم تحظ بعد بدراسات تراكمية متفق عليها من قبل علمائها ، ولا تزال الاجتهادات والأعمال اللّغوية وكذا الكتابات تصدر متلاحقة .

15. إنّ نحو النّصّ لم يحل محلّ نحو الجملة بصفة مطلقة، وإنّما ثمّة تعايش وتكامل بينهما، وبذلك تعدّ لسانيات الجملة المنطلق الحقيقي للسانيات النّصّ هذه الأخيرة تراكم معرفي لها.

وختاما فالنّصّ هو موضوع البحث والمستهدف لتفهمه وتحليله، وتذوقه وتفسيره، وإدراك عناصره، وأنظمته وعلاقات جمله، وطرق أدائها ووظائفها.

هذا هو جهدنا جهد المقلين غير المتهاونين, فإنّ كنّا قد وفقنا إلى شيء من الصواب,فللّه عزّ و جلّ, ولأساتذتنا الكرام الذّين يعود لهم فضل الإرشاد و التوجيه, والرّعاية العلمية والدّعم الكبير, و إن كنّا مقصرين فما قصدنا ذلك, ويكفينا أنّنا سعينا لتقديم محاولة علمية جادّة .

الفهارس العامّة

- أوّلا: المصـــادر و المراجع العربيّة.
- ثانيا: المراجـــع المترجمة.
- ثالثا: المصـــادر و المراجع الأجنبيّة.
- رابعا: الدّوريات و المجلات.
- خامسا:الرّسائل الجامعية.
- سادسا: بحـــوث من الأنترنيت.

الفهارس العامّة

أوّلا: المصادر و المراجع العربية.

❖ **القرآن الكريم,** برواية ورش عن الإمام نافع.

أحمد حساني

1. السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية –مقاربة لسانية– ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1993.

2. مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر, 1999.

ابن الأثير ضياء الدين

3.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح/أحمد الحوفي ود، بدوي طبانة، القاهرة، مصر، ط1، ج3، 1960.

أدونيس

04. الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط3، 2000.

أرسطو

05 . الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق, سوريا، 1959.

أحمد عزوز

06. المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 2005.

أحمد محمّد قدور

07. مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1999.

أحمد مختار عمر

08. البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار المعارف، مصر، 1971.

09. علم الدلالة، دار العروبة، الكويت، ط1، 1983.

10. محاضرات في علم اللّغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995.

أحمد مومن

11. اللّسانيات النشأة والتطور, ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون, الجزائر، ط2، 2005.

إبراهيم خليل

12. الأسلوبية ونظرية النّص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، منشورات بيروت، لبنان, 1997.

بسام بركة،ماتيو قويدر، هاشم الأيوبي

13 .مبادئ تحليل النّصوص الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان, الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 2002.

أبو البقاء الكفوي

14.الكليات، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ج4، 1976.

أبو بكر الباقلاني

15.إعجاز القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط3، 1971.

بلمليانى بن عمر

16.تراث ابن جني اللّغوي والدرس اللّساني الحديث – دي سوسير نموذجا- ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ديسمبر 2006.

بوقرة نعمان

17.محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة, الجزائر,2006.

الجاحظ

18.البيان والتبيين، تح/درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت ، لبنان، ج1، ج2، ط2، 2000.

19 .الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ج1،ج3، ط1 ، 1943.

جميل عبد المجيد

20.البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النصّية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ، مصر، 1998.

21.بلاغة النّص – مدخل نظري ودراسة تطبيقية- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة، مصر، 1999.

حازم القرطاجني

22 .منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمّد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي, بيروت، لبنان، ط2, 1981.

حسام الدين البهنساوي

23 .أهميّة الربط بين التفكير اللّغوي عند العرب ونظريات البحث اللّغوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، 1994.

حسن مصطفى سحلول

24.نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها- دراسة- منشورات اتحاد الكتّاب العرب, دمشق، سوريا ، 2001.

حسين جمعة

25. في جمـــالية الكلمـــة — دراســـة جمـــالية بلاغية نقدية - منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2002.

حلمي خليل

26. العربية وعلم اللّغة البنيوي - دراسة في الفكر اللّغوي العربي الحديـــث- دار المعـــرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ، 1992.

حمادي صمود

27. التفكتير البـــلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس)، منشورات الجـــامعة التونسية، تونس، 1985.

حنّا الفاخوري

28. تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط6، (د.ت).

حنفي بن عيسى

29. محاضـــرات في علـــم النـــفس اللّغوي، الشـــركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971, ط2، 1980.

ابن خلدون (عبد الرحمان)

30. المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

خير الله عصار

31. مقـــدمة لعلـــم النفـــس الأدبي، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون, الجزائر، 1982.

ذهبية حمو الحاج

32. .لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2005.

رابـح بوحـوش

33. الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.

رجـاء عيـد

34 .القول الشعري، منظورات معاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1995.

زكـريا إبراهيـم

35 .مشكلة البنية، مكتبة مصر، مصر، ط1، 1975.

الـزواوي بغـوره

36. المنهج البنيوي- بحث في الأصـــــــول والمبادئ والتطبيقـــــات- دار الهدى، عين مليلة، الجزائر, ط1، 2001.

زوبيـر دراقـي

37. محاضرات في اللّسانيات التاريخية والعامّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

سعـد مصلـوح

38. العربيـــة من نحـــــو "الجمـــــلة" إلى نحـــو "النـّص"، مقالة في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون، في ذكراه الثانية، إعداد وديعة طه النجم وعبده البدوي، قسم اللّغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1989، 1990.

سعيـد حسن بحيـري

39.علم لغة النَّص: المفاهيـــــم والاتجاهـــــــات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مكتبة لبنان ناشرون ، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1997.

سعيـد يقطيـن

40. انفتاح النّص الروائي (النّص- السياق)، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان،ط1, 1989.

41. تحليل الخطـــــاب الروائـــي (الزمن-السرد-التبئير)**.**المركـــز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997.

السكـاكي(أبو يعقـوب يوسـف)

42. مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1348هـ- 1927م.

الشـريف علي بن محمـّد الجرجانـي

43. التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.

صـالح بلعيـد

44. التراكيب النحويـــة وسيـــاقاتهـــا المختلفة عند الإمام عبـــد القاهـــر الجرجـــاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1994.

صالـح الكشـو

45 .مدخل في اللّسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.

صبحـي إبراهيـم الفقـي

46. علم اللّغة النصّي بين النظـــرية والتطبيـــق، دار قـــباء للطبـــاعة والنشـــر والتوزيـــع ، القاهرة،مصر، ج1، 2000.

صفيـة مطهـري

47. الـــدلالة الإيحـــائيةفي الصيـــغة الإفـــرادية، منشـــورات إتحـــاد الكتـــّاب العـــرب، مكتبة الأسد ، سوريا, 2003.

صـلاح فضـل

48. بلـــاغة الخطـــاب وعلـــم النّـــص، الشـــركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان- مصر، 1996.

49. علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامّة، مصر، 1985.

50. مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان, الدار البيضاء، المغرب، 2002.

51. نظريـــة البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجـــديدة، بيروت، لبنان، ط2, 1980.

طـاهر سليمـان حمـودة

52. دراســـة المـــعنى عنـــد الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1997.

الطيـب دبـه

53. مبادئ اللّسانيات البنيوية (دراسة تحليلية ابستيمولوجية)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001.

عبـد الجليـل مرتـاض

54. التحولات الجديدة للّسانيات التاريخية، مطبعة دار هومه، الجزائر، 2005.

55. دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2005.

56. الظاهر والمختفي – طروحات جدلية في الإبداع والتلقي – ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون ، الجزائر، 2005.

57. اللّغة والتواصل- اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهي والكتابي- دار هومه للنشر والطبع والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2000.

عبـد الحميـد كمـون

58. أهمّ المدارس اللّسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.

عبـد الرحمـن بـدوي

59. مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977.

عبـد السـلام المسـدي

60. الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1982.

61. التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981.

62. قضية البنيوية – دراسة ونماذج – دار الجنوب للنشر، تونس، 1995.

63.اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

عبد العزيز حمودة

64.المرايا المحدّبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أفريل, 1998.

عبد القادر عبد الجليل

65. التنوّعات اللّغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

عبد القاهر الجرجاني

66. أسرار البلاغة، تح/محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، مصر، ج2، 1972.

67. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح/محمّد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، 1981.

68. العوامل المائة، تح/بدراوي زهران، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1988.

عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي

69. معرفة الآخر – مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة – المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب, بيروت، لبنان، ط2، 1996.

عبد اللطيف الفاربي وآخرون

70.معجم علوم التربية – مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك – دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 1994.

عبد الله محمّد الغذامي

71.تشريح النّص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ،ط1، 1987.

72.الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي، المملكة العربية السعودية, 1985.

عدنـان بن ذريـل

73.النّص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.

عمـر مهيبـل

74.البنيوية في الفكر الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993.

فـاضل ثامـر

75.اللّغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث, المركز الثقافي العربي،بيروت ، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

فـؤاد أبـو المنصـور

76.النقد البنيوي الحديث، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1985.

فـاطمـة الطبـال بـركة

77.النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت، لبنان، ط1، 1993.

القـزوينـي الخطيـب

78. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمـــن البرقوقي، دار الكتـــاب العـــربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

ابـن كثيـر الدمشـقي

79. البداية والنهاية، تح/ناصر الدين الألباني، دار الإمام مالك، الجزائر، ج4، 2006.

كـريم زكـي حسـام الديـن

80. أصول تراثية في علم اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1985.

كمـال أبـو ديـب

81. جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر – دار العلم للملايين ، بيروت, لبنان ، 1979.

مـازن الوعـر

82. دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا،ط1, 1989.

83. قضايا أساسية في علم اللّسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، سوريا، ط1، 1988.

84. نحو نظرية للسانيات في اللّغة العربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللّغة العربية- دار طلاس، بيروت، لبنان ، ط1، 1987.

مـحمّد إبـراهيم عبـادة

85. الجملة العربية (دراسة لغوية نحوية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1988.

محمّـد بنيـس

86.ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب - مقاربة بنيوية تكوينية- دار العودة، بيروت، لبنان ط1، 1979.

محمّـد البـاردي

87.في نظرية الأدب، تقديم فتحي التريكي، دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط)، 1996.

محمّـد حماسـة عبد اللطيـف

88. النحو والدلالة –مدخل لدراسة المعنى النحوي- القاهرة، مصر، 1983.

محمّـد حمـود

89. تدريس الأدب – استراتيجية القراءة والإقراء- منشورات ديداكتيكا، الدار البيضاء المغرب، 1993.

محمّـد خطابـي

90. لسانيات النّص– مدخل إلى انسجام الخطاب- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء, المغرب، ط1، 1991.

محمّـد الشـاوش

91.أهمّ المدارس اللّسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990.

محمّـد الصغيـر بنانـي

92.المدارس اللّسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

محمّـد عـزام

93. تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية – دراسة في نقد النقد – منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 .

محمّـد عبد المطلـب

94.البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، 1984.

محمّـد عيـد

95.الملكة اللّسانية عند ابن خلدون، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1979.

محمّـد المبـارك

96. استقبال النّص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط,1 1999.

محمّـد مفتـاح

97.التشابه والاختلاف–نحو منهاجية شمولية– المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب, ط1، 1996.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم)

98.لسان العرب ، إشراف عبد العالي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ج2، ط1، 1413هـ - 1993م.

محمـود فهمـي حجـازي

99.علم اللّغة العربية –مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللّغات السامية– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992.

محمود فهمي زيدان

100. في فلسفة اللّغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002.

مشري بن خليفة

101. سلطة النّص، نشر رابطة كتّاب الاختلاف، الجزائر، ط1، جويلية، 2000.

منذر عياشي

102. مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 1990.

موريس أبو ناظر

103. الألسنية والنقد الأدبي – في النظرية والممارسة– دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1979.

ميشال زكريا

104. الألسنية (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان, ط1، 1980، ط2، 1983.

105. الألسنية (علم اللّغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع, بيروت، لبنان، (د.ط)، 1984.

نايف خرما

106. أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979.

نبيل راغب

107. موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

نصر حامد أبو زيد

108. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4 ، 1994.

نور الدين السّد

109. الأسلوبية وتحليل الخطاب – دراسة في النقد العربي الحديث – دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، (د.ط)، (د.ت) وج1، 1997.

نور الدين النيفر

110. فلسفة اللّغة واللّسانيات، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس،ط1, 1993.

وليد محمّد مراد

111. نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللّغوية عند الجرجاني، دار الفكر، دمشق, سوريا، ط1، 1983.

يمنى العيد

112. في معرفة النّص – دراسات في النقد البنيوي- منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت, لبنان، ط2، 1984.

113. في القول الشعري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

يوسف شكري فرحات

114. معجم الطلاب عربي- عربي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت, لبنان، ط6، 2004.

115. معجم الكنز، منشورات عشاش، بوزريعة، الجزائر، 2007.

ثانيا : المراجع المترجمة.

بيير جيرو

01 . الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

02. علم الإشارة - السيميولوجيا- تر/منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 1988.

تزفيتان تودوروف

03. الشعرية، تر/شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1987.

04. نقد النقد، تر/سامي سويدان، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، العراق، 1986 .

جـان بياجيـه

05.البنيوية، تر/عارف منيمنه، بشير أوبري، دار منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1, 1971.

جـورج مونـان

06. تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، تر/بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة حلب ، سوريا،1981.

07.اللّسانيات والترجمة، تر/حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، بن عكنون، الجزائر ، 01- 2000.

08. مفهومات في بنية النّص، تر/وائل بركات، دار مهد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق, سوريا، ط1، 1996.

جـون ليـونز

09. اللّغة، المعنى، السياق، تر/عباس صادق الوهاب، مراجعة يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، العراق، ط1، 1987.

روبـرت دي بوجـراند

10. النّص والخطاب والإجراء، تر/تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1988.

روبـرت شـولز

11. السيمياء والتأويل، تر/سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان, ط1، 1994.

روبـرت هـولب

12. نظرية التلقي، تر/ عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدّة، السعودية، ط1, 1994.

رولان بـارت

13. قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر/ عمر أوكان، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب ، 1994.

14. مبادئ في علم الأدلة، تر/ محمّد بكري، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء ، المغرب، 1986.

رومـان جاكبسـون

15. الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، تر/علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

16.الشكلانيون الروس: نظرية المنهج الشكلي، تر/إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المغرب، ط1، 1982.

17. قضايا الشعرية، تر/محمّد الولي ومبـــارك حنـــون، دار توبقـــال للنشر، المغرب، ط1 , 1988.

رينيـه ويليك،أوستين وارين

18. نظرية الأدب، تر/ محي الدين صبحي، تر/حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

شبلنـر بلنـد

19. علم اللّغة والدراسات الأدبية –دراسة الأسلوب، البلاغة علم اللّغة النّصي- تر/محمود جاد الرب، الدار الفنيّة ، القاهرة، مصر، 1987.

فـان ديـك

20. علم النّص، تر وتع/سعيد حسن بحيري، دار الكتاب، القاهرة، مصر، ط 1،2001 .

فردينـان دي سـوسير

21. دروس في الألسنية العامّة، تر/صالح القرمادي، محمّد الشاوش، محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.

فنـدريس

22. اللّغة، تر/عبد الحميد الدواخلي، محمّد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 5 ديسمبر 1950.

كاتـرين فوك، بيارلـي قوفيـك

23. مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، تر/المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية, الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1984.

كلـود ليفي ستـراوس

24. الأنثروبولوجية البنيوية، تر/مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق, سوريا، 1977.

ميشيـل فوكـو

25. نظام الخطاب وإرادة المعرفة، تر/أحمد السطاتي وعبد السلام بن عبد العالي، دار النشر المغربية، المغرب، 1985.

ثالثا : المصادرو المراجع الأجنبية.

George mounin.

1.Clefs pour la linguistique, édition de minuit, Paris, 1971

Jean dubois et autres.

2. Dictionnaire de linguistique. Larousse, Paris, 1973.

Oswald ducrot.

3. Les mots du discours, édition de minuit, Paris, 1981.

Oswald ducrot, Tzvetan todorov.

4.dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, édition de seuil , Paris, 1972.

Roman Jakobson.

5. Essais de linguistique générale, édition de minuit, Paris, 1981.

6.Questions de poétique, Paris, seuil 1972.

رابعا : الدّوريات والمجلات.

أحمد أوزي

1. التحليل النفسي والأدب القصصي، مجلة الثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، البحرين، العدد 2، 2002.

أحمد يوسف

2. بين النّص والخطاب، مجلة تجليات الحداثة، وهران،الجزائر، العدد الأوّل، السنة الأولى، 1992.

بسّام قطّوس

3.محمود درابسة، إشكالية المصطلح النقدي المعاصر: السيميولوجيا نموذجا, حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد ،02، 1995.

بشير إبرير

4.التواصل مع النّص – من أجل قراءة فعالة محقّقة للفهم- مجلة اللّغة العربية, المجلس الأعلى للّغة العربية، دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها، العدد الرابع، 2000.

بول ريكور

5.النّص والتأويل، تر/منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث، 1988.

جمال حضري

6.اللّسانيات وأثرها في نشأة البنيوية والأسلوبية، مجلة المبرّز، مجلة فكرية أدبية محكّمة، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر, 5-6 فيفري 2002.

جميل حمداوي

7.السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية محكّمة تصدر أربع مرات في السنة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير/مارس، 1998.

الحبيب مونسي

8.النّص وفاعلية التذوق الأدبي – مقارنة تطبيقية لكيفيات تلقي النصوص- التلقي المشهدي - مجلة الموقف الأدبي، دمشق ،سوريا، العدد 383، السنة الثانية والثلاثون، محرّم 1424، آذار 2003.

حسن حنفي

9.قراءة النّص (الهرمنيوطيقا والتأويل)، مجلة "ألف"، مجلة البلاغة المقارنة, القاهرة، مصر، العدد الثامن، ربيع 1988.

حسين قحام

10. التناص، مجلة اللّغة والأدب، دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها يصدرها المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، العدد12، 1997.

رولان بارت

11.نظرية النّص، تر/محمّد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث, 1988.

رياض مسيس

12.لسانيات النّص حول بعض: المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرّز, بوزريعة، الجزائر، عدد خاص، 5 و 6 فيفري, 2002.

سعيد يقطين

13. من النّص إلى النّص المترابط – مفاهيم ، أشكال، تجليات- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، المجلد 32، العدد2، أكتوبر- ديسمبر، 2003.

شعيب مقنونيف

14.منزلة علوم اللّسان في التفكير الإسلامي، مجلة المبرّز، بوزريعة، الجزائر, 5 و6 فيفري, 2002.

صفية مطهري

15. التفاعل الدلالي بين المستويات اللّسانية، القلم، مجلة لغوية أدبية دورية أكاديمية محكّمة، يصدرها أساتذة من قسم اللّغة العربية وآدابها،جامعة وهران، الجزائر، العدد3, مارس, 2006.

علي ملاحي

16.عن ولادة النّص الجديدة من أجل طمأنينة القارئ، مجلة اللّغة والأدب, معهد اللّغة العربية, وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد 12، 1997.

عرابي أحمد

17. التأويل النحوي بين الخرق والمعيارية، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، العدد1، 2005.

عبد الحميد بورايو

18.إنتاجية النّصّ-دراسة في أركولوجية الثقافة الجزائرية من خلال ثلاثة أنماط نصّية أدبية الأسطورة/ الملحمة/ الرواية/- مجلة اللّغة والأدب، الجزائر، العدد 12، 1997.

عبد القادر زروقي

19. الدرس اللّساني وأثره في النقد الأدبي، مجلة القلم، جامعة وهران الجزائر، العدد03، مارس 2006.

عبد الملك مرتاض

20. اللّغة والمعنى، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد02، 1995.

21. بين السمة والسيميائية، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران, الجزائر، العدد 02، 1993.

عبد الوهـاب شعلان

22. القراءة المحايثة للنّص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا, السنة الثانية والثلاثون، العدد 383، محرّم 1424،آذار 2003 .

محمّد بلقـاسم

23. دراسة الشعر العربي القـــديم بالمناهج النقديـــة الحديثة – دراسة محمّد مفتاح نموذجا مجلة- المصطلح،جامعة تلمسان ،الجزائر ،ع05 ،يناير, 2007.

محمّد خير البـقاعي

24. تلقي رولان بارت في الخطاب العربي النقدي واللّساني والترجمة - في كتابه: لذة النّص- مجلة عالم الفكر ، الكويت، العدد 03، 1997.

محمّد السـاري

25.علم النَّص من التأسيس إلى التأصيل، مجلة اللّغة والأدب العربي، الجزائر, العدد 12، 1997.

محمّد الصغير بنـاني

26.مفهوم النّص عند المنظرين القدماء، مجلة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر العدد12 , شعبان 1418هـــ ديسمبر 1997.

محمّد عبـاس

27.المنظور الأسلوبي لنظرية النظم، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانيـــة والعلميـــة، جامـــعة وهران، الجزائر، العدد02، 1995.

محمود خضر خربطلي

28. إشكالية موت المؤلّف، مجلة الآداب، جامعة قسنطينة،الجزائر, العدد 4 ، 1997.

مصطفى بيومي عبد السـلام

29. إشكالية قراءة التراث، مجلة فصول، القاهرة، مصر، العدد 63، شتاء وربيع 2004 .

نـاصر الديـن الأسد

30. الثقافة العربية بين العولمة والعالمية، مجلة الأكاديمية الملكية المغربية، الرباط ،المغرب، العدد 16، 1999.

ناصر لوحيشي

31. تداخل علوم اللّسان وتكاملها – العروض وعلاقته بالعلوم الشرعية- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد2, محرّم 1424، مارس 2003.

نورية شيخي

32.العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم، مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية صناعة المصطلح وتعريبه وترجمته إثراء للّغة العربية المعاصرة، تصدر عن مخبر تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر, ع5، يناير 2007.

وليد بوعديلة

33. مظاهر التفكير في التواصل اللساني عند حازم القرطاجني – دراسة في منهاج البلغاء وسراج الأدباء – مجلة المبرز ،بوزريعة ، الجزائر ،5-6فيفري 2002.

وولف دييتير ستيمبل

34.المظاهر النوعية للتلقي، تر/آنفي محمّد، سعيد بنكراد، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد الثالث، 1988.

خامسا: الرّسائل الجامعية.

نور الدين قارة مصطفى

1. شعرية رومان جاكبسون, رسالة لنيل درجة الماجستير في النقد المعاصر، إشراف الدكتور عبد الله بن حلّي، جامعة السانية – وهران – الجزائر، ماي 1999.

سادسا : بحوث من الأنترنيت.

1.إبراهيم كونـغ إلجو

رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات اللّغوية.

www.arabization.org.ma 15 /2007/12.

2.أحمد يـوسف

تحليل الخطاب: من اللّسانيات إلى السيميائيات .

www.nizwa.net 2007/12/11.

3.جعفر دك البـاب

مدخل إلى اللّسانيات العامّة والعربية – المنهج الوصفي الوظيفي.

www.awu-dam.org 2007/12/15

4.الطاهر مـرابعي.

المقاربة النصّية– قراءة في مقرّر اللّغة العربية للسنة الثانية ابتدائي–

merabai.tahar@caramail.com، الحوار المتمدن– العدد: 2074 – 2007/01/20.

5.عبد الرحمان بودرع

نحو النّص أو لسانيات النّص.

www.lissaniat.net 2007/12/27.

6.محمّد بلـوحي

الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية.

www.dahsha.com 2008/05/28.

7.محمّد خاقـاني

تعليم اللّغة العربية بين المنهج التقليدي والألسنية التوليدية التحويلية.
. 2007/12/25 www.hawzah.net

8. ياسين سرايعية

مقاربة نحو النّص في تحليل النصوص- قراءة في وسائل السبك النّصي-
2007/12/27 www.ulum.nl

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ-هـ

الفصل الأوّل: النّصّ من حيث النّشأة و الاصطلاح.....2-54

1-إشكالية النّصّ في ضوء التّراث البلاغي العربي.....2

2-النّصّ عند اللّغويين العرب 5

أ- أبو بكر الباقلاني وإعجاز النّصّ القرآني 8

ب- تجلّيات النّظرة الشّمولية للنّصّ عند ضياء الدّين بن الأثير 9

ج- التّماسك النّصّي عند حازم القرطاجني 10

3-المدونة المثالية للّسان العربي لدى جهابذة الكلام العربي 15

أ- المدرسة البيانية عند الجاحظ.....16

1-دلالة اللّفظ.....19

2- دلالة الإشارة 21

3 – دلالة العقد 22

4 – دلالة الخط.....23

5 – دلالة النّصبة 24

ب-نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني 26

ج- مدرسة السكاكي الشّمولية 41

د- المدرسة الخلدونية الارتقائية 44

هـ- حقيقة اللّفظ في كلّيات أبي البقاء الكفوي 50

الفصل الثّاني: النّصّ في منظور اللّسانيات العامّة.....56-107

1- النّص في التّصور ماقبل البنيوي 56

2- مقوّمات النّص في التّصور التّقليدي 62

أ- الانغلاق 62

ب-الأحادية 62

ج- الكاتب هو صاحب النّص.....62
3-ماهية المناهج الحديثة في دراسة النّص 63
4- المناهج السّياقية الكلاسيكيّة 64
أ- المنهج التّاريخي 65
ب-المنهج الاجتماعي 66
ج- المنهج النّفسي 68
5- النّصّ مدخل تمهيدي 71
6- أسس الفكر اللّغوي عند دي سوسير 72
7- الثّنائيات السوسيريّة 73
أ- اللّغة والكلام 74
ب-الدّال والمدلول 77
ج- الألسنيّة الآنية والزّمانية 78
د- العلاقات السّياقيّة والعلاقات التّرابطية 80
8- النّصّ في اللّسانيات العامّة 83
أ- الانفتاح 84
ب- التّعدد 85
ج- التّناص 85
9- المناهج النّسقية المعاصرة 88
أ- المنهج البنيو.....89
ب-المنهج الأسلوبي 91
ج- المنهج السّيميولوجي 92
10- النّص قراءة في المفهوم 96
الفصل الثّالث: إرهاصات البحث في لسانيات الجملة ولسانيات النّصّ.....109-170
1- النّصّ في الدّرس اللّساني الحديث.....109
2- التّجربة الشّكلانية 111
3- الشّكلانية الروسية بين النّظرية والتّطبيق 114

4- الشعرية اللّسانيّة وفق نظريّة رومان جاكوبسون 121
5- مدرسة براغ اللّغويّة 128
6- مدرسة بلومفيلد التّوزيعية 130
7- مدرسة تشومسكي التّوليدية التّحويلية 138
8- أصول تحليل لسانيات الجملة في الوصف اللّغوي 142
أ- مفهوم الجملة 144
ب- مفهوم السّياق 153
ج- مفهوم الإحالة.....158
9- التّحليل اللّغوي من نحو الجملة إلى نحو النّصّ 160
الخاتمة.....172
الفهارس العامّة 176-199
المصادر والمراجع العربيّة 177
المراجع المترجمة.....189
المصادر والمراجع الأجنبية 192
الدّوريات والمجلاّت 193
الرّسائل الجامعيّة 197
بحوث من الأنترنيت 199
فهرس الموضوعات 201

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

ملخص

إن موضوع بحثنا لا يدور حول حقيقة اللغة و إنما ما تخلقه هذه اللغة و هو النص فهو الطريقة التي تنتظم بها الجمل باعتباره أداة للتحليل و خلق لغة من لغة أخرى فقد تأرجح بين الحضور و الغياب، فمجموعة من اللسانيين إهتمو بالنص في دراستهم و بحثهم و تنقيبهم مما فرض سلطة النص. و هناك مجموعة أخرى أولة الإهتمام بالجملة مما أهمل النص في الدراسة اللسانية لهذا إختلفت اللآراء و تباينت حول : النسق، السياق، الإحالة و الدلالة، فعلى الرغم من هذا الفصل في الإنطلاق سواء كانت جملة أو نصا إلا أن هناك تداخل و تكامل و تعايش بينهم

الكلمات المفتاحية:

شرعية الحضور؛ مسوغات الغياب؛ الجملة؛ النسق؛ الإحالة؛ الدلالة.